جمهورية تركيا

جامعة تشانكري كارا تكين

معهد العلوم الاجتماعية

العلوم الإسلامية الأساسية

القيادات الواردة في سورة يوسف وأهم ما يميزها

محمد جاسم محمد محمد

أطروحة ماجستير

إشراف: د. ليث مطيع يحيى العزب

تشانكيري _ 2022م

جمهورية تركيا

جامعة تشانكري كارا تكين

معهد العلوم الإجتماعية

العلوم الإسلامية الأساسية

القيادات الواردة في سورة يوسف وأهم ما يميزها

محمد جاسم محمد محمد

أطروحة ماجستير

إشراف: د. ليث مطيع يحيى العزب

تعتمد جامعة (تشانكري كاراتكين) هذه الدراسة كمشروع أطروحة ماجستير

رقم (198314348)

تشانكيري _ 2022 م

المحتوى

الصفحة

المحتوى ..... **İ**

بيان أخلاقيات البحث العلمي ..... **İV**

المصادقة و اعتماد الأطروحة..... HATA! YER İŞARETİ .....
TANIMLANMAMIŞ.

المقدمة ..... **Vİ**

ملخص الأطروحة ..... **X**

ÖZET ..... **Xİ**

ABSTRACT ..... **Xiii**

الرموز المستخدمة ..... **XV**

1. الفصل التمهيدي / مفاهيم عامة حول سورة يوسف **1**

1.1. المبحث الأول: تعريف القيادة لغةً واصطلاحاً. **1**

1. 2. المبحث الثاني:بين يدي سورة يوسف (ט). **4**

1. 3. المبحث الثالث: سبب نزول سورة يوسف (ט). **7**

1. 4. المبحث الرابع: المحور الرئيس لسورة يوسف وعلاقته بالقيادات الواردة في السورة ... **10**

1. 4. 1.المطلب الأول: المحور الرئيس لسورة يوسف. 10

2. 4. 1.المطلب الثاني: علاقة المحور الرئيس لسورة يوسف بعنوان البحث وهو

(القيادات الواردة في سورة يوسف وأهم مايميزها). 14

2.الفصل الأول 16

القيادات الرئيسة الواردة في سورة يوسف (υ) وأهم مايميزها 16

1. 2. المبحث الأول: قيادة سيدنا يعقوب (υ) وأهم ما يميزها. 17

1. 1. 2. المطلب الأول: التعريف بسيدنا يعقوب (υ). 17

2. 1. 2. المطلب الثاني: قيادة سيدنا يعقوب (υ) الواردة في سورة يوسف وأهم ما

يميزها. 20

2.2. المبحث الثاني: قيادة سيدنا يوسف (υ) وأهم ما يميزها. 62

3. الفصل الثاني 130

القيادات الثانوية في سورة يوسف..... 130

1. 3. المبحث الأول: قيادة عزيز مصر: 130

1. 1. 3. المطلب الأول: التعريف بعزيز مصر. 130

2. 1. 3. المطلب الثاني: أهم ما يميز قيادة عزيز مصر..... 131

2. 3. المبحث الثاني: قيادة ملك مصر وأهم ما يميزها..... 137

3. 3. المبحث الثالث: الشخصيات التي تحمل السمات القيادية في السورة. 145

1. 3. 3. المطلب الأول: السمات القيادية لإخوة يوسف (ט). 145

2. 3. 3. المطلب الثاني: السمات القيادية لامرأة العزيز. 167

الخاتمة 178

المصادر والمراجع 183

السيرة الذاتية للباحث 192

بيان أخلاقيات البحث العلمي

أصرح بأني قد التزمت بعناية بالأخلاقيات العلمية والقواعد الأكاديمية أثناء إعدادي لأطروحة الماجستير المعنونة (القيادات الواردة في سورة يوسف وأهم مايميزها) وذلك بدءًا من مرحلة تقديم الاقتراح إلى أن انتهيت من هذه الدراسة، و أن المعلومات المذكورة في الأطروحة حصلت عليها ضمن إطار الأخلاقيات و التقاليد العلمية، و أنني قمت بذكر والإشارة إلى جميع المصادر والمراجع التي اقتبست منها سواء بشكل مباشر أو غير مباشر في هذه الدراسة التي أعددتها وفقًا لقواعد كتابة الأطروحة، و أصرح بأن جميع المصادر و المراجع التي لجأت إليها هي تلك الموضحة في قسم المصادر و المراجع.

2022...\...\....

محمد جاسم محمد

ÇANKIRI KARATEKİN ÜNİVERSİTESİ

SOSYAL BİLİMLER ENSTİTÜSÜ MÜDÜRLÜĞÜNE

[MOHAMMED JASIM MOHAMMED MOHAMMED] tarafından hazırlanan [*YUSUF SURESİ'NDE ADLARI GEÇEN LİDERLER VE EN ÖNEMLİ ÖZELLİĞİ]* başlıklı bu çalışma, *[17.2.2022]* tarihinde yapılan tez savunma sınavı sonucunda *[oybirliği]* başarılı bulunarak jürimiz tarafından *[Temel İslam Bilimleri]* Anabilim Dalı'nda Yüksek Lisans tezi olarak kabul edilmiştir.

TEZ JÜRİSİ ÜYELERİ (Unvanı, Adı ve Soyadı)

Danışman: Dr. Öğr. Üyesi, LAITH MOTEI YAHIA ALAZAB, İmza: .....

Üye : Dr. Öğr. Üyesi, ABDULSALAM YOUSUF ESSA AL YACOUB, İmza: .....

Üye : Dr. Öğr. Üyesi, MÜCAHİT ELHUT, İmza:.....

ONAY

Bu Tez, Çankırı Karatekin Üniversitesi Sosyal Bilimler Enstitüsü Yönetim Kurulunun 27/01/2022 tarih ve 2022/04-09-F sayılı oturumunda belirlenen jüri tarafından kabul edilmiştir.

Prof.Dr.Coşkun POLAT

Enstitü Müdürü

المقدمة

الحمد لله الذي أوجد الخلق بقدرته ونظم حياة البشرية وسن لهم قوانين يديرون بها شؤونهم بحكمته, وأصلي وأسلم على سيدنا محمد خيرته من خلقه, وصفوته من عباده وقادته, وعلى جميع الرسل والأنبياء إخوته, وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً يليق بجنابه وحضرته وبعد:

فمن حكمة الله تعالى أن جعل للناس نظاماً للعيش الجماعي الذي يمنح الوحدة والقوة والتعاون والألفة والمحبة والأخوة, وهذا النظام الرباني يقتضي أن يكون للناس قائد يقودهم لما فيه الخير, والصفات والمميزات المطلوبة في القائد تكاد تكون متشابهة في كل زمان, لذلك رأيت من الحاجة بمكان أن أسلط الضوء على سورة مهمة في القرآن الكريم وردت فيها شخصيات قيادية وأخرى تحمل الصفات القيادية وفي مختلف المواقع، ومحل بحثي هو (القيادات الواردة في سورة يوسف وأهم ما يميزها).

منهج البحث: كان منهجي في البحث هو التناول الموضوعي والوصفي للشخصيات التي ورد ذكرها في سورة يوسف, وبيان ماتحمل من قدرات ومواصفات قيادية, فمنها ما هو قيادة فعلية, ومنها ما هو شخصية تحمل صفات وقدرات قيادية برزت من خلال الأحداث والمواقف التي عرضتها لنا السورة الكريمة, والتنبيه على السبب الرئيس لنزول سورة يوسف (ʊ) عبر طرح الآراء المشهورة للمفسرين في سبب نزولها, وبيان السبب الرئيس لنزولها عبر الربط بين المحور الرئيس للسورة وعلاقته بالقيادات الوارد ذكرها في السورة الكريمة, وكذلك تتبع كل شخصية من تلك القيادات أو الشخصيات التي تحمل مواصفات قيادية حسب ما ورد ذكرها في سورة يوسف (ʊ), مع بيان صفات كل شخصية وإظهار ماتميزت به حسب موقفها في الحدث المذكور في الآية، وبيان الموقف القيادي لكل حدث, وذلك بحسب ما يرد عنهم من أفعال أو أقوال تعكس تصرفاتهم وقدراتهم في تدبير الأمور وإدارة شؤونهم

وشؤون رعيتهم، وسأذكر ما يدعم فكرتي بطرح أقوال المفسرين ومن الكتب المعتبرة في علم التفسير, و ترجيح بعض الآراء على الأخرى مع ذكر سبب الترجيح, وإيراد بعض الأحاديث النبوية الشريفة المتعلقة ببعض الأحكام, وتخريج تلك الأحاديث.

إشكالية البحث:

1. الأزمة القيادية التي يعاني منها المجتمع .
2. الابتعاد عن المنهج القرآني في تطوير وصقل المواهب القيادية.
3. هل يمكن إسقاط الصفات القيادية المذكورة في السورة على الواقع ؟

أهداف البحث:

1. إبراز الصفات القيادية التي تتمتع بها القيادات والشخصيات االوارد ذكرها في سورة يوسف كي تكون محل اعتبار واهتمام لكل قائد وفي كل مجال.
2. تسليط الضوء على المنهج القرآني سواء في تطوير القدرات القيادية لدى القيادات الناشئة أم في اختيار القادة.
3. الإثبات بأن الصفات القيادية التي وردت في السورة يمكن الاستفادة منها في الوقت الحاضر كونها معتبرة في كل زمان.

الدراسات السابقة: لما للسورة الكريمة من أهمية كبيرة فقد تعددت الدراسات التي تناولتها, فكلٌّ ينهل منها ما ينفعه, لأنها تناولت نماذج مختلفة من المجتمع, وكل باحث ينظر إليها من جانب, والكل يسعى لإظهار ما حوته تلك السورة من علوم في شتى المجالات, ومن تلك الدراسات بحسب بحثي:

1. (الإدارة في سورة يوسف υ), وهي أطروحة ماجستير تقدم بها الطالب (نايف شعبان عبدالله قرموط) من الجامعة الإسلامية بغزة في العام 2009م, وهي دراسة موضوعية تناول فيها أسلوب الإدارة في السورة, وذكر في بعض المطالب الصفات القيادية لبعض الشخصيات واختارها بعشوائية, وعامة بحثه يتحدث فيه عن كيفية وأسلوب الإدارة في السورة, ويختلف كثيراً عن محل بحثي فقد تناولت الشخصيات الواردة في السورة كقيادات منها رئيسة, وأخرى ثانوية, ومنها مايحمل صفات تنفع القائد, وتتبعت الصفات القيادية لكل شخصية وحسب ترتيب الآيات.
2. (سورة يوسف/ دراسة تحليلية), للدكتور أحمد نوفل/كلية الشريعة/الجامعة الأردنية, وهي دراسة تحليلية جعلها في قسمين, الأول: مدخل عام للسورة, والثاني: تفسير السورة, وقد ركز في دراسته على إبراز الأسلوب القرآني الجميل في عرض قصة يوسف عليه السلام, وبيان الإعجاز الفني في السورة, وكذلك التعرض البسيط للشخصيات الواردة فيها عبر التقييم العام لها, وهو مختلف عن منهجي في تناول تلك الشخصيات.
3. (يوسف في القرآن) لأحمد ماهر البقري, ويحتوي هذا الكتاب على أربعة أبواب, الأول: تفسير السورة وتحليل بعض ألفاظها لغوياً, والثاني: أثر الوراثة والتربية الدينية في خلق الشخصية اليوسفية, والثالث: تأثر الشعراء والأدباء بما حوته السورة, والرابع: مقارنة بين قصة سيدنا يوسف عليه السلام بين التوراة والإنجيل.
4. (في التذوق الجمالي لسورة يوسف عليه السلام) وهو كتاب لمحمد علي أبو حمدة, تناول فيها المؤلف البنية الفنية لسورة يوسف عبر تراكيبها اللغوية الجميلة, وبيان النسق القرآني الجميل في عرض الأحداث.

5. (تأملات في رؤيا يوسف عليه السلام) وهو كتاب لأحمد عبد العزيز قشوع, المملكة العربية السعودية–جدة, تحدث فيه عن رؤيا سيدنا يوسف عليه السلام وما تحمل من معانٍ ودلالات.

والمتأمل للدراسات السابقة للسورة يجد أن أغلبها يدور حول الإدارة في السورة الكريمة, أو الصور الفنية في قصة يوسف عليه السلام, وكذلك التحليل اللغوي للألفاظ الواردة فيها, ويجد كذلك تحليل عام للشخصيات التي وردت في السورة, أما في هذه الدراسة فسأقوم ببيان صفات ومميزات كل شخصية فيها, سواء كانت قيادية أو تحمل شيئاً من صفات القيادة بحسب ورودها في الآيات الكريمة, وبصورة سهلة وبعيدة عن التعقيد, لتكون ميسرة للفهم لعامة الناس, راجياً أن تضيف دراستي هذه شيئاً مهماً يضاف إلى ما قدمه من سبقوني في تناول هذه السورة الكريمة, ومن الله التوفيق.

2022 \...\...

محمد جاسم محمد

ملخص الأطروحة

عنوان الأطروحة: القيادات الواردة في سورة يوسف وأهم ما يميزها

مُعِد الأطروحة: محمد جاسم محمد

المشرف: الدكتور ليث مطيع يحيى العزب

القسم:

نوع الأطروحة: ماجستير

تاريخ الموافقة:

الملخص

لقد تناولت في بحثي هذا الشخصيات التي ورد ذكرها في سورة يوسف عليه السلام, وهي الشخصيات الرئيسة والثانوية في السورة, كسيدنا يعقوب وسيدنا يوسف عليهما السلام كشخصيات قيادية رئيسة في السورة, وتناولت شخصيات عزيز مصر وملك مصر كشخصيات قيادية ثانوية في السورة, وتناولت إخوة يوسف (υ) وامرأة العزيز كشخصيات تحمل صفات قيادية يمكن الاستفادة منها, لأنها مكملة لقصة سيدنا يوسف (υ), وسمَّيت تلك الشخصيات بالقيادات لأنها استطاعت أن تقود نفسها وتقود من معها بطرق مختلفة, فمنها ماكان يقود بالحكمة والنية الحسنة لجلب المصلحة لنفسه أو لمن هم في مسؤوليته, ومنهم من يقود نفسه ومن معه بخطط تعبر عن ذكاء القادة ولكنها استخدمت للمكر السيء كما هو الحال مع إخوة يوسف (υ) أو امرأة العزيز, وكان منهجي في البحث هو المنهج الموضوعي والوصفي بأن أتناول كل شخصية بحسب ورودها في الآيات الكريمة من السورة, وأبين مميزاتها القيادية, وأدعم فكرتي ببعض آراء المفسرين إن وجدت, والهدف من ذلك هو إبراز ما تحمل تلك الشخصيات من قدرات وحكمة في القيادة, وهذه المميزات يمكن إسقاطها على الواقع الحالي, إذ تنفع في كيفية اختيار القائد من خلال معرفة حمله لتلك المميزات, وكذلك الاستفادة من النتائج التي أتوصل إليها في تنمية القدرات القيادية لدى كل من يتولى شيئاً من أمور الناس, سواء كان قائداً في بيته أو أي منصب إداري أو اجتماعي يكون فيه هو القائد وصاحب القرار.

الكلمات المفتاحية: القيادات, يوسف عليه السلام , يعقوب عليه السلام, التفسير الموضوعي .

Özet

Tez Başlığı: **Yusuf Suresi'nde adları geçen liderler ve en önemli özelliği**.

Tezi Hazirlayan: **Mohammed Jasim Mohammed**

Danişman: **Doktor Öğretim Üyesi Laith Motei Yahia ALAzab**

Bölüm: **Temel islami Bilimler**.

Tez Türü: **Yüksek Lisans**

Onay Tarihi:

Araştırmamda Yusuf Suresi'nde adı geçen şahsiyetleri ele aldım. Onlar surenin ana önde gelen figürleri gibi, böyle bizim ustası Yakup ve bizim ustası Joseph, barış onun üzerine olsun olarak surenin ana ve ikincil karakterler vardır. Mısırlı Aziz'in kişiliği, Yusuf'un kardeşlerinin kişiliği, Aziz'in eşinin kişiliği ve Mısır Kralı'nın kişiliği sûrede ikincil önde gelen şahsiyetler olarak ele alınmıştır.

Araştırmada Benim yaklaşımım, surenin soylu ayetlerinde oluşun göre her karakter ile uğraşmak oldu ve onun liderlik özelliklerini göstermek için. Ben varsa müfessirlerin görüşleri bazı ile benim fikrini benimsiyor ve amacı liderlik bu kişiliklerin yeteneklerini ve bilgeliğini vurgulamak için, ve bu özellikler

geçerli gerçeğe uygulanabilir. Bu avantajları taşıdığını bilerek lideri seçmenin yararlı olduğu durumlarda, Hem de İnsanların işlerinin bazı görevini alır herkesin liderlik yeteneklerini geliştirmede ulaştığınızı sonuçlarından yararlanan olarak. İster evinde lider olsun, isterse lider ve karar verici olduğu herhangi bir idari veya sosyal pozisyonda.

Anahtar Kelimeler: Liderler, Yusuf, barış onun üzerine olsun , yakup, barış onun üzerine olsun, nesnel yorum.

Abstract

Thesis Title: **The leaders contained in Surat Yusuf and the most important characteristic of it**

Author : **Mohammed Jasim Mohammed**

Supervisor: **Assistant Professor Dr. Laıth Moteı Yahıa ALAzab**

Department : **Basic Islamic Sciences**

Thesis Type : **Master's Thesis**

In my research, I dealt with the personalities mentioned in Surat Yusuf, (peace be upon him), and they are the main and secondary characters in the Surah, such as Our Yaqoub and Our Yusuf, (peace be upon him), as the leading figures in the Surah.

It dealt with the characters of Aziz Egypt, Joseph's brothers, the Aziz woman, and tthe King of Egypt as secondary leading figures in the surah, because they are complementary to the story of Joseph, (peace be upon him). These personalities were called leaders because they were able to lead themselves and lead those with them in different ways, some of them were led with wisdom and good intention to bring the interest to himself or those who are in his responsibility, and some of them lead themselves and those with them with plans that express the

intelligence of leaders, but they were used for bad cunning as is the case with brothers Joseph, peace be upon him, or the wife of the dear, My method in the research was to deal with each character according to its occurrence in the noble verses of the surah, and to explain its leadership characteristics, and to support my idea with some of the views of the commentators, if any, and the aim is to highlight the abilities and wisdom of these characters in leadership. These advantages can be applied to the current reality, as they are useful in how to choose the leader by knowing his bearing those advantages, as well as benefiting from the results that he reached in developing the leadership capabilities of everyone who takes charge of something from people's affairs, whether he is a leader in his home or any administrative position. Or social in which he is the leader and the decision-maker.

Keywords: Leaders, Joseph, peace be upon him, Jacob, peace be upon him, objective interpretation.

الرموز المستخدمة

ت:	توفي
ر:	رقم الحديث
ص:	صفحة
ط:	طبعة
ج:	مجلد
م:	ميلادي
هـ:	هجري
د. ط:	دون طبعة

1. الفصل التمهيدي

مفاهيم عامة حول سورة يوسف

1.1. المبحث الأول: تعريف القيادة لغة واصطلاحاً.

قال ابن منظور: "القَوْدُ: نقيض السَّوْق, يَقُودُ الدابَّةَ من أمامها ويَسُوقُها من خلفِها, فالقَوْد من أمام والسَّوقُ من خَلْف. يقال: هذه الخيل قَوْدُ فلان القائدِ, وجمع قائد الخيل قادَة وقُوّاد, وهو قائد بيِّن القِيادة, والقائدُ واحد القُواد والقادةِ ؛ ورجل قائد من قوم قُوَّد وقُوّاد وقادة"[1].

يقول الشيخ أحمد رضا: "القيادة لغةً: قادَ, قَوْداً وقِيادةً ومَقادةً وتِقْواداً وقَيْدُودةً الفَرسَ: جرَّهُ خَلفَه, فهو قائِدْ ج (أي جمعها) قادةٌ وقُوادٌ. والفَرَسُ مَقُودٌ ومَقُودَةٌ "[2].

نلاحظ من التعريفات اللغوية السابقة للقيادة أن كلمة القيادة تعني أن هنالك قائد, ومقُود, وواسطة للقيادة, وتابع ومتبوع, وتدل على إن القائد يكون في المقدمة ليقتدي به من خلفه, وإذا كان في المؤخرة فهو لتوجيه من يقتدي به والدفع بهم بالاتجاه الصحيح, ففي كل الأحوال يكون القائد هو من يتحكم بالتوجيه والارشاد واتخاذ القرارالمناسب.

تعريف القيادة اصطلاحاً:

لقد أوردت الكتب المعنية بالإدارة والتنظيم وكذلك كتب السياسة وكتب التنمية البشرية تعريفات كثيرة لكلمة القيادة في الاصطلاح, وتختلف التعريفات بحسب طبيعة مكان القيادة, ولكن التعريفات جميعها تلتقي في أماكن معينة لتعطي المعنى الاصطلاحي القريب للواقع لكلمة القيادة,

---

1) جمال الدّين محمد بن مكرم ابن منظور أبو الفضل الافريقي المصري (ت711هـ)، *لسان العرب*, بيروت، دار صادر، د.ط, 370/3.

2) أحمد رضا , *معجم متن اللغة*, بيروت، دار مكتبة الحياة، 1960 م, د.ط, 672/4 .

وبما أن موضوع القيادة موضوع واسع فقد كثرت فيه المؤلفات والكتب وحظي بعناية كبيرة من ذوي الاختصاص الإداري, وكذلك رواد التنمية البشرية وتحفيز الذات, واهتم رواد السياسة أيضا اهتماماً كبيرا بموضوع القيادة وتعريفاتها, والذي يبحر في هذا الموضوع يجد أن لكل فئة من الباحثين تعريف لكلمة القيادة يناسب فكره أو تصوراته, ويناسب المجال الذي يعمل فيه, فقد ورد في كتاب القيادة الإدارية الإبداعية: " إن تعريف القيادة يعتمد على الزاوية التي يتم التركيز عليها, فالاهتمام بعملية التأثير يؤدي إلى تعريف القيادة أنها تلك القدرة على التأثير في الأفراد لتحقيق المطلوب منهم من خلال عملية الإقناع, وبالتالي تكون القيادة هنا هي محصلة التفاعل بين سمات القائد والاتباع وخصائص المهمة "[3].

وورد في كتاب مبدأ القيادة الأكثر فعالية في العالم حول تعريف القيادة قوله: "القيادة: هي التأثير في الناس بحيث يشاركون بإرادتهم واختيارهم في السعي نحو تحقيق أهداف مشتركة مفيدة لجميع الأطراف بكل قلوبهم, وعقولهم, وابداعهم, وتميزهم, وكل الموارد الأخرى التي يمتلكونها. فالقيادة هي التأثير في الناس بحيث يلتزمون بالرسالة والمهمة والأهداف, والقيادة هي التأثير في الناس بحيث يكونون أفضل مايمكنهم أن يكونوه, وبالتالي فإن القيادة ليست مرادفاً للإدارة, القيادة في الواقع هي مرادف للتأثير"[4].

والنبي عليه الصلاة والسلام يشير إلى أن كلَّ فرد هو راعٍ ومسؤول عن رعيته بحسب المسؤولية المناطة به, فقد ورد في الحديث الشريف:" عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّهُ: سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «كُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَالإِمَامُ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ فِي أَهْلِهِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالمَرْأَةُ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا رَاعِيَةٌ وَهِيَ مَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا،

---

3) محمد الصيرفي , *القيادة الإدارية الإبداعية*, الاسكندرية، دار الفكر الجامعي، د.ط, 2006 م, ص 124-125.

4) جيمس سي هانتر, *مبدأ القيادة الأكثر فعالية في العالم,كيف تصبح قائداً خادماً*, السعودية، مكتبة جرير، ط1، 2006م, ص46.

وَالخَادِمُ فِي مَالِ سَيِّدِهِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ»، قَالَ: فَسَمِعْتُ هَؤُلَاءِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَحْسِبُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «وَالرَّجُلُ فِي مَالِ أَبِيهِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ»"[5], ونلاحظ من خلال المفاهيم السابقة للقيادة بأنَّ جميع القيادات تسعى مع تابعيهم لتحقيق أهداف مشتركة تنفع الجميع, ولكنها تختلف بالأساليب المتبعة لتحقيق تلك الأهداف, وكذلك تختلف بالدوافع والمنطلقات والمحددات, فالقيادات الإدارية العامة محددة بقوانين تضبط صلاحياتها, أما القيادات في الإسلام فإنها محددة بقوانين وأحكام شرعية فضلاً عن القوانين الوضعية، لذلك تكون مهمتها أصعب قياساً بغيرها من القيادات, والقيادات في المصطلح الإسلامي لاتنفك بحال من الأحوال عن الشريعة من بداية اختيار القائد، إلى سلوكه ونمط تعامله مع من هم دونه في الإدارة أو السلطة, وكذلك كل مقرراته وأوامره تخضع لأحكام الشريعة الإسلامية, ويحاسب القائد إذا خرج عن أحكام الشرع أو تقاعس عن تطبيقها, وله الحق في محاسبة من هم في مسؤوليته إذا خالفوا الشريعة.

فبعد هذه السلسلة من المفاهيم للقيادة أجد أن التعريف الأول للقيادة للصيرفي هو الأقرب للواقع, إذ يعرف القيادة بأنها تلك القدرة على التأثير في الأفراد لتحقيق المطلوب منهم من خلال عملية الإقناع, وهو قريب جداً من تعريف (جيمس سي هانتر) الذي عرف القيادة فقال: هي التأثير في الناس بحيث يشاركون بإرادتهم واختيارهم في السعي نحو تحقيق أهداف مشتركة مفيدة لجميع الأطراف بكل قلوبهم, وعقولهم, وإبداعهم, وتميزهم, واعتبر القيادة مرادفاً للتأثير, وفرق بينها وبين الإدارة وهو الواقع, لأن حسن الإدارة والمهارة السياسية هي جزء من القيادة, وهذه التعريفات أقرب

---

5) صحيح البخاري, كتاب الإستقراض وأداء الدَّين, باب العبد راع في مال سيده, ر (2409), 120/3.

إلى الواقع لأنها تتيح لكل فرد أن يكون قائداً على من دونه, فيؤثر فيهم ويقودهم نحو مايطمح من أهداف, وهو ما يرشدنا إليه حديث النبي عليه الصلاة والسلام السابق الذكر.

2. 1. المبحث الثاني: بين يدي سورة يوسف.

وهي السورة الثانية عشر في ترتيب المصحف الشريف وعدد آياتها مئة وإحدى عشرة آية, وتقع بعد سورة هود وتأتي بعدها سورة الرعد, وتقع في الجزء الثاني عشر من المصحف الشريف, وقد وافق ترتيبها في المصحف نزولها بعد السورتين السابقتين لها, ذكر ذلك السيوطي في الإتقان من حديث جابر بن زيد حينما ذكر فيه مانزل في مكة من القرآن فقال: "يونس ثم هود ثم يوسف"[6] وسميت هذه السورة بسورة يوسف ولم تعرف ولم ترد بغير هذا الاسم, يقول ابن عاشور: "لم تعرف هذه السورة بغير سورة يوسف ... , ووجه تسميتها ظاهر لأنها قصَّت قصة يوسف (ʊ) كلها، ولم تذكر قصته في غيرها، ولم يذكر اسمه في غيرها إلا في سورة الأنعام وغافر, وفي هذا الاسم تميز لها من بين السور المفتتحة بحروف (الر)".[7]

يقول ابن حجر: "وحكى ابن إسحاق أن رافع بن مالك أول من قَدم المدينة بسورة يوسف" [8],وهي مكية بإجماع علماء التفسير، إلا أن منهم من قال بمدنية بعض الآيات الأولى منها, ذكر ذلك الإمام القرطبي فقال: "وهي مكية كلها, وقال ابن عباس وقتادة: إلا أربع آيات منها"[9], ورفض أكثر علماء التفسير القول بمدنية بعض آياتها الأولى، ولم يلتفت إلى تلك الأقوال, يقول محمد الطاهر بن عاشور: "وهي مكية على القول الذي لا ينبغي الإلتفات الى غيره, وقد قيل: إن الآيات الثلاث من أولها مدنية "[10].

---

6) جلال الدّين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي(ت911هـ),*الإتقان في علوم القرآن*, ضبطه وصححه وخرج آياته محمد سالم هاشم, دار الكتب العلمية, بيروت_لبنان, د.ط, 53/1.

7) محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت 1393هـ), *التحرير والتنوير*, تونس, الدار التونسية للنشر، د.ط, 1984م , 197/12 .

8) أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت852هـ), *الإصابة في تمييز الصحابة*, دراسة وتحقيق وتعليق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض, دار الكتب العلمية _ بيروت, ط1, 1995م, 370/2.

9) محمد بن أحمد الأنصاري أبي عبدالله القرطبي, *الجامع لأحكام القرآن*, القاهرة, دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، ط3، 1967م, 118/9.

10) ابن عاشور, *التحرير والتنوير*, 197/12.

ومثله أيضاً ما قاله محمد رشيد رضا: "هي مكية وآياتها مائة وإحدى عشرة آية فقط, وما قيل من أن الثلاث الأولى منها مدنيات فلا تصح روايته ولايظهر له وجه وهو يخل بنظم الكلام "[11].

يقول السيوطي في الردِّ على من يقول أن الآيات الثلاث الأولى منها مدنية: " استثني منها ثلاث آيات من أولها, حكاه ابو حيان وهو واه جداً ولايلتفت إليه"[12] , والذي أذهب إليه هو الرأي القائل بأن السورة بأكملها مكية لأنها روت قصة سيدنا يوسف (υ) كاملة ولم تذكر القصة في مكان آخر كما أسلفنا, وأصحاب الاختصاص ومن لهم ذائقة في سماع ورواية القصة يدركون هذا المعنى, إذ لا يمكن أن تكون الآيات الثلاث الأولى أو الآية السابعة منفصلة عن أخواتها أو متأخرة بالنزول لأن ذلك سوف يخل بسياق القصة, والسؤال المنطقي هو كيف كان المسلمون يقرأون السورة قبل نزول الآيات الثلاث الأولى؟ فهذا سيحدث خللاً واضحاً في ابتداء وسياق القصة, وإلى ماسبق أشار سيد قطب (رحمه الله تعالى) بقوله:

"والسورة مكية بجملتها, على خلاف ما ورد في المصحف الأميري[13] من أن الآيات الأولى والثانية والثالثة والسابعة منها مدنية, ذلك أن الآيات الثلاث الأولى هذا نصها: (الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ (1) إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (2) نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ (3)), وهذه الآيات هي مقدمة طبيعية لما جاء بعدها مباشرة من البدء في قصة يوسف (υ), ونص الآية التالية في السياق هو: (إِ ذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَاأَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ) , ثم تمضي القصة بعد ذلك في طريقها إلى النهاية, فالتقديم لهذه القصة بقول الله تعالى: (نَحْنُ نَقُصُّ

---

11) محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني (ت 1354هـ), *تفسير القرآن الحكيم المشهور بتفسير المنار*, القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب, د.ط, 1990م, 206/12.

12) السيوطي, *الإتقان في علوم القرآن*, 31/1.

13) وهو طبعة للمصحف الشريف صدرت من مطبعة بولاق في عهد فؤاد الأول سلطان مصر, وكان أكثر مايميزها أنها تمت باستخدام طريقة صف الحروف وليس بطريقة التصوير العادية لمصحف مكتوب بواسطة خطاط.

عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ (3)) ، يبدو هو التقديم الطبيعي المصاحب لنزول القصة"[14].

وكذلك فإن الكلام في الآيات الأولى يعبر عن الجو المكي السائد في ذلك الوقت من مناقشة الكفار لإثبات عربية القرآن الكريم، إذ زعم الكفار أن الذي يعلم النبي (ε) أعجمي فتحداهم الباري جل وعلا بأنه قرآن عربي مؤلف من حروف عربية, فابتدأ السورة بـ (الر) وهذا يدل على أن هذا الحوار هو طابع مكي وأن الآيات الثلاث من السورة هي مكية, يقول سيد قطب (رحمه الله تعالى):

"فهناك حبكة بين التقدمة للقصة والتعقيب عليها؛ ظاهر منها نزول التقدمة مع القصة والتعقيب, أما الآية السابعة فالسياق لايستقيم بدونها أصلاً؛ ولا يتأتى أن تكون السورة قد نزلت في مكة وهي ليست من سياقها ثم أضيفت إليها في المدينة! ذلك أن في الآية الثامنة ضميراً يعود على يوسف وإخوته في هذه الآية السابعة, بحيث لايستقيم نزول الآية الثامنة دون أن تكون معها الآية السابقة وهذا نصها: (لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِلسَّائِلِينَ (7) إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (8))، مما يقطع بأن الآيتين نزلتا معاً, في سياق السورة الموصول, والسورة كلها لحمة واحدة عليها الطابع المكي واضحاً في موضوعها وفي جوها وفي ظلالها وفي إيحاءاتها "[15].

14) سيد قطب, *في ظلال القرآن*, دار الشروق, ط34، 2004 م, مج4, ص1949.

15) سيد قطب, *في ظلال القرآن*, مج4، ص1950.

3. 1. المبحث الثالث: سبب نزول سورة يوسف (υ).

وردت في كتب تفسير القرآن الكريم عدة أسباب لنزول السورة الكريمة, وهذه الأقوال في سبب نزول السورة ذكرها من يرى أن للسورة سبباً للنزول, والقسم الآخر من المفسرين يرى أن السورة الكريمة نزلت من دون سبب، وقالوا إن ما ورد في سبب نزول سورة يوسف (υ) لايرقى إلى درجة الصحة فلا يجزم به القول, أما من قال بوجود سبب لنزول السورة فقد استدلَّ بقول الله تعالى في بداية السورة الكريمة: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِلسَّائِلِينَ﴾[16], فقالوا إن هنالك سؤال مسبق من الكفار عن قصة سيدنا يوسف (υ) وأن الله تعالى أجابهم عن هذا السؤال فنزلت السورة الكريمة, وهذا القول لايمنع من أن تكون السورة الكريمة نزلت من دون سبب أو سؤال مسبق من أحد خصوصاً إذا فسرت الآية السابقة بأن في سورة يوسف (υ) عبر وحكم لمن أراد أن يسأل عن أخبار السابقين من الأمم والأنبياء, ولمن يبحث عن تقدير الله تعالى وحكمته ورعايته لمن يتوكل عليه, فقد ذكر ابن جرير الطبري في تفسيره لقول الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِلسَّائِلِينَ﴾ قال أبو جعفر :

"يقول تعالى ذكره: (لقد كان في يوسف وإخوته) الأحد عشر, (آيات) يعني عبر وذكر, (للسائلين) يعني السائلين عن أخبارهم وقصصهم. وإنما أراد جل ثنائه بذلك نبيه (ε), وذلك أنه يقال: إن الله تبارك وتعالى إنما أنزل هذه السورة على نبيه, يعلمه فيها ما لقي يوسف من أدانيه (أي أقاربه) وإخوته من الحسد, مع تكرمة الله تعالى إياه, تسلية له بذلك مما يلقى من أدانيه وأقاربه من مشركي قريش"[17].

---

16) يوسف 7/12 .

17) محمد بن جرير أبي جعفر الطبري, *جامع البيان عن تأويل آي القرآن*, (224هـ- 310هـ)، تحقيق: الدكتور عبدالله بن عبد المحسن التركي, القاهرة، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان, ط1، 2001م , 17/13 .

ومن ذهب إلى أن لسورة يوسف سبباً للنزول أورد لذلك روايات , منها:

"أَخْبَرَنَا أَبُو زَكَرِيَّا يَحْيَى بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ السَّلَامِ، ثنا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْحَنْظَلِيُّ، أَنْبَأَ عَمْرُو بْنُ مُحَمَّدٍ الْقُرَشِيُّ، ثنا خَلَّادُ بْنُ مُسْلِمٍ الصَّفَّارُ، عَنْ عَمْرِو بْنِ قَيْسٍ الْمُلَائِيِّ، عَنْ عَمْرِو بْنِ مُرَّةَ، عَنْ مُصْعَبِ بْنِ سَعْدٍ، عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ، فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ {نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ}[18] قَالَ: نَزَلَ الْقُرْآنُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَتَلَا عَلَيْهِمْ زَمَانًا فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَوْ قَصَصْتَ عَلَيْنَا. فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ {الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ}[19] تَلَا إِلَى قَوْلِهِ {نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ}, فَتَلَا عَلَيْهِمْ زَمَانًا فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَوْ حَدَّثْتَنَا, فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ {اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا}[20]كُلُّ ذَلِكَ يُؤْمَرُ بِالْقُرْآنِ"[21] .

إذاً فالمتأمل لسورة يوسف (υ) يجد فيها الكثير من المؤاساة للنبي (ε), وكأن الله تعالى يقول للنبي (ε) أن الذي مرَّ بك وما تعاني منه قد مرَّ بالأنبياء من قبلك, وقد بانت هذه المؤاساة واضحة جلية في الآيات الأخيرة من سورة يوسف (υ) وذلك بقوله تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾[22], يقول الواحدي:

"لم نبعث قبلك نبياً إلاَّ رجالاً غير امرأةٍ, وكانوا من أهل الأمصار, ولم نبعث نبياً من باديةٍ, وهذا ردٌّ لإنكارهم نبوَّته. يريد: إن الرسل من قبلك كانوا على مثل حالك, ومَنْ قبلهم من الأُمم كانوا على مثل حالهم,

---

18) يوسف 3/12.

19) يوسف 1/12.

20) الزمر 23/39.

21) محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني أبو عبد الله الحاكم النيسابوري المعروف بابن البيع (ت405هـ)، *المستدرك على الصحيحين*، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1990م. ر 3319, وقال عنه صحيح, 376/2.

22) يوسف 109/12.

فأهلكناهم, فذلك قوله: (أفلم يسيرو في الأرض فينظروا) إلى مصارع الأمم المكذِّبة فيعتبروا بهم (ولدار الآخرة) يعني الجنَّة (خير للذين اتقوا) الشرك في الدنيا (أفلا تعقلون) هذا حتى تؤمنوا ؟! "[23].

والظرف الذي نزلت فيه السورة السورة الكريمة يثبت أن نزول سورة يوسف (υ) لم يكن للتسلية بأخبار الأُمم السالفة, أو استجابة لطلب معين من أحد, وإنما نزلت لتبين لرسول الله (ε) ومن معه أن هذا هو حال الأنبياء, وأن ما تمرون به من ظروف عصيبة مرَّ به مَنْ قبلكم من الأنبياء, فهي في جزء كبير منها للتثبيت على الحق, وفي أجزاء أُخرى هي ترسم منهجاً لرسول الله (ε) كي يسير عليه في القادم من الأيام, لأنه بعد هذا التعب والعناء والمشقة الكبيرة لابد أن يأتي الفتح والفرج من النصير الأعلى والمدبر الكبير جلَّ وعلا, وأنه مقبل على مرحلة جديدة تتطلب منه معرفة تامة بأحوال الناس, ومن مختلف المعتقدات, وهذا يتطلب قيادة حكيمة وذات خبرة كبيرة في إدارة التنوع الفكري والإعتقادي, لذلك فقد تولى الله تعالى تعليم نبيه الكريم كيفية إدارة الدولة في ظل هذا التنوع الكبير في الفكر والاعتقاد والتوجهات المختلفة للناس عبر القصص وضرب الأمثال,

فهي منهاج عمل لفترة قادمة في حياة النبي (ε), وهي ليست حديثاً عابراً , وإنما هي عبر ومواعظ ودروس مكثفة للنبي الكريم (ε) حتى يكون على استعداد تام لقيادة أمة كانت تعاني من أفكار ومعتقدات كثيرة ومتنوعة, وتحيط بها أطماع شرقية وغربية, وقد أشار الله تعالى إلى تلك الدروس والعبر بقوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ

23) علي بن أحمد بن محمد بن علي أبو الحسن الواحديّ النيسابوري, *الوجيز في تفسير الكتاب العزيز*, (ت 468هـ), تحقيق: صفوان عدنان داوودي, دمشق، دار القلم, بيروت، الدار الشامية، د.ط, 562/1- 563.

تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾[24], يقول الإمام فخر الدّين الرازي:

"اعلم أن الاعتبار عبارة عن العبور من الطرف المعلوم إلى الطرف المجهول, والمراد منه التأمل والتفكر, ووجه الاعتبار بقصصهم أمور: الأول: إن الذي قدر على إعزاز يوسف بعد إلقائه في الجب, وإعلائه بعد حبسه في السجن، وتمليكه مصر بعد أن كانوا يظنون به أنه عبد لهم, وجمعه مع والديه وإخوته على ما أحب بعد المدة الطويلة, لقادر على إعزاز محمد (ε) وإعلاء كلمته, والثاني: أن الإخبار عنه جارٍ مجرى الإخبار عن الغيب, فيكون معجزة دالة على صدق محمد (ε), والثالث: أنه ذكر في أول السورة (نحن نقص عليك أحسن القصص) ثم ذكر في آخرها (لقد كان في قصصهم عبرة لأُولى الأباب) تنبيهاً على أن حسن هذه القصة إنما كان بسبب أنه يحصل منها العبرة ومعرفة الحكمة والقدرة" [25].

4. 1. المبحث الرابع: المحور الرئيس لسورة يوسف وعلاقته بالقيادات الواردة في السورة.

ويحتوي هذا المبحث على مطلبين:

1. 4. 1.المطلب الأول: المحور الرئيس لسورة يوسف.

لقد تناولت السورة الكريمة محاور عديدة, منها محاور تقليدية تحمل الطابع المكي الذي نزلت فيه السورة, ومنها محاور رئيسة تحدَّث عنها الباري جل وعلا في أغلب آيات هذه السورة, وهي المادة الأهم لأنها تورد أشياءً جديدة لم يذكرها القرآن من قبل, وذلك بذكر قصة نبي الله يوسف (υ) التي ورد ذكرها كاملة في نفس السورة, وقد بين الله تعالى قصة هذا النبي بذكر أدق التفاصيل

---

24) يوسف 111/12.

25) محمد فخر الدين ابن العلاّمه ضياء الدين الرازي (544- 604 ه), *تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب*, بيروت- لبنان، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1981م، 232/18.

التي من شأنها أن تضع هذه القصة كما وصفها الباري جل وعلا من أحسن القصص, فقد أعجزت الكفار بما تحمله من معلومات عن نبي الله يوسف (υ) وما مرَّ به من شدائد وكرب, قال السمرقندي في تفسير قوله تعالى: ﴿الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾[26] :

"قوله تعالى: (تلك آيات الكتاب) يعني حججه وبراهينه. ويقال هذه الآيات التي وعدتكم في التوراة أن أنزلها على محمد (ε), وعدهم بأن ينزل عليه كتاباً في كثير من أوائل سوره حروف الهجاء (المبين) يعني مبين حلاله وحرامه, ويقال فيه خبر يوسف وإخوته"[27].

بما أن السورة هي مكية فلا تبتعد في كثير من الآيات الواردة فيها عن الطابع المكي الذي تنزل فيه الآيات الكريمة وهي تتحدث عن العقيدة والوحي والتوحيد, وأن هذا القرآن ليس من كلام البشر, وإنما هو كلام الله تعالى أنزله عن طريق الوحي, وهو معجز بحد ذاته لأنه مكون من أحرف عربية تتحدثون بها وتفهمون خفاياها أكثر من غيركم, مع ذلك كله فقد عجزتم من أن تأتوا بمثل هذا القرآن أو آية منه, فإذا أدركتم عجزكم وتيقنتم من ضعف حجتكم وافترائكم بأنه ليس من عند الله فاسمعوا ماسأقصه من قصص, واسمعوا مالم تعرفوا من أخبار الأمم السالفة, ففي هذا تحد آخر للكفار والمنكرين للنبوة والوحي, لأن السورة فيها قصة سماها الباري جل وعلا أحسن القصص, وافتتح الباري سبحانه وتعالى السورة بقوله(الر) إشارةً منه سبحانه إلى الكفار والمنكرين بأن هذا القران بما فيه من غيبيات مؤلف من حروفكم العربية التي تتكلمون بها, إلا إنكم عاجزون على أن

---

26) يوسف 1/12 .

27) نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم أبي الليث السمرقندي (ت 375 ه), *تفسير السمرقندي المسمى بحر العلوم*, تحقيق وتعليق: الشيخ علي محمد معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود والدكتور زكريا عبد المجيد النوتي, بيروت- لبنان، دار الكتب العلمية، د.ط, 149/2.

تأتوا بمثله, واسمعوا ما بعد هذا من قصص وأخبار تعجزون عن معرفتها, وأنا أخبر بها النبي عن طريق الوحي, فقال تعالى﴿الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾[28], ورد في تفسير المنار لهذه الآية الكريمة قال:

"فاتحة هذه السورة هي فاتحة سورة يونس إلا وصف القرآن بالمبين هنا وبالحكيم هنالك, وهما في أعلى ذروة من البيان, وأقصى مدى من الحكمة والإحكام, أختير في كل من السورتين ماينا سبها, فسورة يونس موضوعها أصل الدين وهو توحيد الألوهية والربوبية وإثبات الوحي والرسالة بإعجاز القرآن والبعث والجزاء وهي من الحكمة. وهذه موضوعها قصة نبي كريم تقلب أطواراً كثيرة، كان قدوة خير وأُسوة حسنة فيها كلها, فالبيان بها أخص, (الر تلك ايت الكتب المبين) أي آيات هذه السورة هي آيات الكتاب البين، الظاهر بنفسه في حقيقته وإعجازه وكونه ليس من كلام البشر, والمظهر لما شاء الله من حقائق الدين ومصالح الدنيا, وقال مجاهد: بين الله حلاله وحرامه. وقال الزجاج: مبين للحق من الباطل والحلال من الحرام "[29].

ثم خاطب الله تعالى الكفار والمعاندين بخطاب العقل والحجة والبينة بأن هذا القرآن عربي وأنزلته بلغتكم, فأنتم أولى من غيركم في فهم هذا التنزيل, وإدراك مافيه من خطاب لأُولي الألباب, فقال جل وعلا: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[30], جاء في لباب التأويل في معاني التنزيل قوله: "(إنا أنزلناه) يعني هذا الكتاب (قرآناً عربياً)، أي أنزلناه بلغتكم لكي تعلموا معانيه وتفهموا ما فيه "[31], فبعد هذا المحور العقدي الذي يحفز العقول والأذهان كي تنهض من سباتها, وتستعد الآذان والقلوب لسماع أحسن القصص، يرويها خالق الإنسان بأروع بيان, ينتقل الباري جل وعلا إلى المحور الرئيس في هذه السورة وهي قصة جمع من القادة, كلٌّ حسب مكانته في عائلته أو مجتمعه, ويعرض ذلك بأدق التفاصيل, وهذا ما يجعله مستعدا أكثر, لأنه سينتقل إلى المدينة المنورة

---

28) يوسف 1/12 .

29) محمد رشيد رضا , *تفسير القرآن الحكيم المشهور بتفسير المنار* , 208/12.

30) يوسف 2/12.

31) علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن المعروف بالخازن (ت 741هـ), *تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل*, تصحيح: محمد علي شاهين, بيروت، دار الكتب العلمية, د,ط, 510/2.

مهاجراً إليها، وقد يتعرض إلى السؤال عن الأنبياء من قبله, لأن المدينة هي مركز تواجد اليهود في جزيرة العرب آنذاك, وهم يظنون أنهم وحدهم من يعلم بأخبار من سبق.

لذلك فإن الله تعالى يعده للعيش في المدينة كقائد وليس كإنسان عادي, فالنبي (ε) أمام مهمة عظيمة بالإضافة إلى مهامه كنبي في أمته, وهي مهمة توليه قيادة الناس في المدينة المنورة, فقد عرض عليه الباري جل وعلا قصة نبي الله يوسف(υ) الذي عاش الظروف نفسها التي يعيشها النبي (ε) مع قومه ومع الناس في زمنه لأنهم يحملون عقائد مختلفة, وهذا يتطلب قيادة حكيمة تستطيع أن تبلغ الناس مراد الله تعالى, أي يقوم بواجب النبوة, وكذلك يستطيع أن يقود من لا يؤمن برسالته لأنهم يعيشون بمكان واحد, وهذا الأمر يتطلب حكمة, لذلك تولى الله تعالى تعليم نبيه (ε), وذلك عن طريق سورة حملت أحسن القصص, فقد عرض فيها الباري جل وعلا الكثير من القيادات وبمختلف المواقع في الحياة, وهذه القيادات تعد المحور الرئيس في هذه السورة لأن أغلب آيات هذه السورة تتحدث عنها, وهي قيادة سيدنا يعقوب (υ) وقيادة سيدنا يوسف (υ), فهذه قيادات رئيسة في السورة, واحتوت السورة على قيادات ثانوية أيضاً لكن لها أهمية كبيرة في الحياة, مثل قيادة عزيز مصر, وقيادة ملك مصر, وشخصيات تحمل صفات قيادية لا يمكن إهمالها, وهي إخوة يوسف عليه السلام وكذلك شخصية امرأة العزيز.

لقد تناولت السورة الكريمة جوانب كثيرة من هذه الحياة, ولكل جانب منها له شخصية تمثله في هذه السورة, فقد وردت القصة كاملة في هذه السورة الكريمة, بخلاف باقي القصص الواردة في كتاب الله تعالى والتي ترد أحداث كل منها متفرقة بين السور.

2. 4. 1.المطلب الثاني: علاقة المحور الرئيس لسورة يوسف بعنوان البحث وهو (القيادات الواردة في سورة يوسف وأهم ما يميزها).

السورة الكريمة عرضت أحداثا عن صراع داخل أسرة, والبطل والقائد في هذه القصة هو سيدنا يوسف (υ), فقد حدثنا الباري جل وعلا عن قصة نجاح هذا النبي القائد, وكيف عاش, وكيف تصرف حينما ألمت به المصائب والشدائد, فهي قصة نجاح إنسان مرت عليه ظروف عصيبة, ولم يكن يملك ما يدفع به عن نفسه, أو شيئاً مادياً يعوّل عليه, أو أي مقوّم من مقومات النجاح لاسيما في مرحلة الصبا حين رماه إخوته في غيابة الجب, إلا أنه بقي صابراً محتسباً ومتوكلاً على الله في جميع أُموره, فلم تفارقه هذه العناية الربانية طرفة عين.

تدور أحداث هذه القصة في السورة الكريمة حول شخصية سيدنا يوسف(υ), وكل الشخصيات والقيادات الأخرى المذكورة في السورة تعد انعكاساً لتصرفات هذا القائد النبي (υ), فهو رسالة ومثال ضربه الله تعالى للنبي الخاتم (ε) لأنه مقبل على قيادة أمة، والدليل على أن السورة بما فيها من أحداث هي دروس مكثفة وتوجيهات وأمثلة للنبي(ε) هو أن القصة نزلت كاملة تامة فيها, ولا يمكن لها أن تعطي مرادها من فهم لما سيحصل حين الهجرة الى المدينة المنورة إلا أن تنزل كاملة بما فيها من غزارة في المادة المعطاة في العقيدة والأخلاق والاقتصاد والسياسة والأسرة والمجتمع وجميع نواحي الحياة, فعلى هذا الأساس تكون سورة يوسف بما فيها من قيادات تمثل خارطة طريق ومنهج حركي للنبي (ε) يسير عليه في القادم من الأيام, وذلك لما تحتويه السورة من مناهج تربوية وعقائدية وسياسية واقتصادية, يقول سيد قطب في هذا المجال:

"إن قصة يوسف كما جاءت في هذه السورة تمثل النموذج الكامل لمنهج الإسلام في الأداء الفني للقصة, بقدر ما تمثل النموذج الكامل لهذا المنهج في الأداء النفسي والعقيدي والتربوي والحركي أيضاً . . ومع أن المنهج

القرآني واحد في موضوعه وفي أدائه, إلا أن قصة يوسف (υ) تبدو وكأنها المعرض المتخصص في عرض هذا المنهج من الناحية الفنية للأداء!... إن القصة تعرض شخصية يوسف (υ) وهي الشخصية الرئيسة في القصة عرضاً كاملاً في كل مجالات حياتها "[32].

فيتضح مما سبق أن العلاقة بين المحور الرئيس للسورة الذي هو سيدنا يوسف (υ) وباقي القيادات الواردة في السورة هي علاقة تكاملية لأنها أعطت جميعها صورة واضحة وأمثلة واقعية للنبي (ε) كي يكون ملماً بكل نواحي الحياة, ومعتبراً بسيدنا يوسف (υ) وكذلك باقي الأنبياء (عليهم السلام) لأن في قصصهم عبرة.

32) سيد قطب, *في ظلال القرآن*، 1951/12.

2.الفصل الأول

القيادات الرئيسة الواردة في سورة يوسف (υ) وأهم مايميزها

لقد أورد الباري جلَّ وعلا ذكر مجموعة من الرجال والنساء في سورة يوسف (υ), ولكل شخصية منها خصائص ومميزات تختلف عن الأخرى بحسب موقع وتكليف تلك الشخصية, فمن أبرز تلك الشخصيات هو سيدنا يعقوب (υ) وولده سيدنا يوسف (υ), إذ لاخلاف في كونهما أنبياء, وهذا ما تميز به ذكرهما في السورة, وقد ضرب الله تعالى بهما مثلاً وعبرةً لنبينا (ε) في الصبر والتحمل والتعامل مع الأحداث لأنهما أنبياء مثله (ε).

ووردت في السورة شخصيات أخرى سواء كانت من الرجال أو من النساء, وكل شخصية هي معتبرة في مكانها الذي ذكرها الله تعالى فيه, وتعد قيادات ثانوية مكملة لما ورد من مواعظ وعبر ودروس لنبينا(ε) لأنها عكست ردود الفعل والتصرفات التي كانت تصدر من القيادات الرئيسة تجاه كل شخصية منها, وهذا ماينطبق على عزيز مصر والملك, وشخصيات أخرى تحمل صفات قيادية كثيرة يمكن الاستفادة منها إذا استعملت في جانب الخير, وهذا ينطبق على إخوة يوسف عليه السلام وكذلك امرأة العزيز.

1. 2. المبحث الأول: قيادة سيدنا يعقوب (υ) وأهم ما يميزها.

1. 1. 2. المطلب الأول: التعريف بسيدنا يعقوب (υ).

هو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم(عليهم السلام), وهو نبي بني إسرائيل, وهو الكريم ابن الكريم كما ورد في صحيح البخاري قال:"حدثنا إسحاق بن منصور, أخبرنا عبد الصمد, حدثنا

عبد الرحمن بن عبد الله, عن أبيه, عن ابن عمر(رضي الله عنهما), عن النبي (ε) أنه قال:(الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام)"[33].

ولغرض التعريف بسيدنا يعقوب عليه السلام قد ترد بعض الاسرائيليات مما أباحه الشرع من روايات أهل الكتاب, وهي التي لا تخالف الشرع الحكيم, أو التي لا يصدقها الشرع الإسلامي ولا يكذبها, وليس لها علاقة بالعقائد ولا بالأحكام, مستندين إلى قول النبي عليه الصلاة والسلام: "(بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً وَحَدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا حَرَجَ، وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ)"[34] ذكر ذلك ابن كثير في تفسيره فقال:

" وَلَكِنَّ هَذِهِ الْأَحَادِيثَ الْإِسْرَائِيلِيَّةَ تُذْكَرُ لِلِاسْتِشْهَادِ لَا لِلِاعْتِضَادِ فَإِنَّهَا عَلَى ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ: أَحَدُهَا مَا عَلِمْنَا صِحَّتَهُ مِمَّا بِأَيْدِينَا مِمَّا يَشْهَدُ لَهُ بِالصِّدْقِ فَذَاكَ صَحِيحٌ وَالثَّانِي مَا عَلِمْنَا كَذِبَهُ بِمَا عِنْدَنَا مِمَّا يُخَالِفُهُ وَالثَّالِثُ مَا هُوَ مَسْكُوتٌ عَنْهُ لَا مِنْ هَذَا الْقَبِيلِ وَلَا مِنْ هَذَا الْقَبِيلِ فَلَا نؤمن به ولا نكذبه ويجوز حِكَايَتُهُ لِمَا تَقَدَّمَ"[35]

ومن ذلك ما نحن بصدده وهو التعريف بسيدنا يعقوب عليه السلام, فقد جاء في قصص الأنبياء: "وذكر أهل الكتاب أن إسحاق لما تزوج (رفقا) بنت تواييل في حياة أبيه كان عمره أربعين سنة, وإنها كانت عاقراً فدعا الله لها فحملت, فولدت توأمين: أولهما اسمه (عيصو) وهو الذي تسميه العرب (العيص) وهو والد الروم, والثاني خرج وهو آخذ بعقب أخيه فسموه (يعقوب) وهو

---

33) *صحيح البخاري*, كتاب أحاديث الأنبياء, باب قوله تعالى(لقد كان في يوسف وإخوته آيات للسائلين), ر (3390), 151/4.

34) *صحيح البخاري*, كتاب أحاديث الأنبياء, باب ماذكر عن بني إسرائيل, ر 3461, 170/4.

35) إسماعيل بن عمر بن كثير أبي الفداء القرشي البصري ثم الدمشقي (ت 774هـ), *تفسير القرآن العظيم*, المحقق: محمد حسين شمس الدين, دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون – بيروت, ط1, 1419 هـ, 10/1.

إسرائيل الذي ينتسب إليه بنو إسرائيل"[36], وحصل خلاف بين سيدنا يعقوب (ʊ) وأخيه العيص لأن إسحاق (ʊ) كان يحب العيص أكثر من يعقوب لأنه بكره, وكانت أمهما (رفقا) تحب يعقوب أكثر لأنه الأصغر, وكانت تطمع أن تكون دعوة سيدنا إسحاق من نصيب يعقوب, فحصل الخلاف بين العيص وسيدنا يعقوب (ʊ), وتوعد العيص سيدنا يعقوب بالقتل، فلما سمعت أمه بذلك أمرت يعقوب أن يرتحل إلى أخيها (لابان) الذي بأرض حرّان, وأن يكون عنده إلى أن يسكن غضب أخيه عليه, وأن يتزوج من بناته, وطلبت من زوجها إسحاق أن يأمره بذلك ويدعوا له ففعل, فلما قدم يعقوب (ʊ) على خاله في أرض حرّان إذ له ابنتان, الكبرى اسمها (ليا) والصغرى (راحيل) وكانت الصغرى أجمل من الكبرى, فطلب يعقوب (ʊ) الزواج من الصغرى فأجابه خاله لذلك بشرط أن يرعى غنم خاله سبع سنين, فوافقه على ذلك, فلما انقضت المدة صنع خاله طعاماً, وجمع الناس عليه, وزف ابنته (ليا) عليه ليلاً, فلما أصبح اعترض سيدنا يعقوب (ʊ) على خاله وقال لم غدرت بي إنما طلبت (راحيل), فقال إنه ليس من سنتنا أن نزوج الصغرى قبل الكبرى, فقال: إذا أردت الزواج منها عليك أن ترعى لي الغنم سبع سنين أخرى فوافق على ذلك... فلما انقضت السبع سنين تزوج بها مع أختها وكان ذلك سائغاً في ملتهم ثم نسخ في شريعة التوراة, ووهب لابان لكل واحدة من ابنتيه جارية, فوهب إلى (ليا) جارية اسمها (زلفى) ووهب إلى (راحيل) جارية اسمها (بلهى), فولد ليعقوب (ʊ) من (ليا) روبيل, وثم شمعون, ثم لاوي, ثم يهوذا. فغارت (راحيل) وكانت لا تحمل, فوهبت ليعقوب جاريتها (بلهى) فوطئها فحملت, وولدت له

---

36) إسماعيل بن عمر بن كثير أبي الفداء القرشي البصري ثم الدمشقي (ت 774هـ), *قصص الأنبياء*, تحقيق: مصطفى عبد الواحد , مطبعة دار التأليف، القاهرة, ط1، 1968م, 297/1.

غلاماً اسمه (دان) وحملت وولدت غلاماً آخر اسمه (نيفتالي), عند ذلك وهبت (ليا) جاريتها (زلفا) لسيدنا يعقوب (ʊ) أيضاً فولدت له (جاد) و (إيشي), غلامين ذكرين, ثم حملت (ليا) فولدت غلاماً اسمه (إيساخر) وحملت أيضاً وولدت (زابلون) ثم ولدت بنتاً وسمتها (دينا) فصار لديها سبعة من يعقوب (ʊ), ثم دعت (راحيل) من الله تعالى أن يهبها ولداً من يعقوب (ʊ) فأجاب الله دعائها فولدت له غلاما سمته (يوسف), كل هذا وهو مقيم في أرض حرّان عند خاله لابان, فأوحى الله إلى يعقوب (ʊ) أن يرجع إلى بلاد أبيه وقومه, فسأل الله تعالى أن يكف عنه شر أخيه (العيص), فرجع هو وزوجاته واشترى مزرعة فضرب هنالك فسطاطه, وابتنى بيت المقدس الذي جدده بعد ذلك سليمان بن داود (عليهما السلام), ثم حملت (راحيل) وولدت غلاماً وهو (بنيامين) وماتت بعد ولادته لأنها جهدت فيه, فدفنها يعقوب (ʊ) في (أفراث) وهي بيت لحم حالياً وصنع على قبرها حجراً, وهي الحجارة المعروفة اليوم بقبر راحيل[37].

"فكان لسيدنا يعقوب (ʊ) اثنى عشر رجلاً من ضمنهم سيدنا يوسف (ʊ)"[38].

وقيل أن سيدنا يعقوب (ʊ) عاش مائة وأربعين سنة, قال ابن كثير:" حيث ذكر أهل الكتاب: أن عمر يعقوب حين دخل مصر مائة وثلاثون سنة, وعندهم أنه أقام بأرض مصر سبع عشرة سنة, ومع هذا قالوا: فكان جميع عمره مائة وأربعين سنة"[39] , ولما مات سيدنا يعقوب (ʊ) دفن في المغارة التي اشتراها سيدنا إبراهيم الخليل عليه السلام, فقد ذكر ابن كثير ذلك فقال:" لما مات يعقوب عليه السلام استأذن يوسف (ʊ) من ملك مصر للخروج بأبيه ليدفنه عند أهله فأذن له, فدفنه في المغارة التي اشتراها إبراهيم الخليل (ʊ) من عفرون بن صخر الحيشي, وذكروا أنه لما

---

37) ابن كثير, *قصص الأنبياء*, 305/1 , بتصرف.

38) محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي أبو جعفر الطبري (ت 310هـ), *تاريخ الطبري* ,تاريخ الرسل والملوك, بيروت، دار التراث العربي، ط2، 1387هـ, 321/1 .

39) ابن كثير, *قصص الأنبياء*, 358/1 .

مات يعقوب (υ) بكى عليه أهل مصر سبعين يوماً, وأمر يوسف (υ) الأطباء فطيبوه بطيب مكث فيه أربعين يوماً قبل أن يستأذن من ملك مصر لدفنه عند أهله في أرض حبرون, فدفن فيها لأنه كان قد أوصى يوسف (υ) بذلك قبل موته"[40].

2. 1. 2. المطلب الثاني: قيادة سيدنا يعقوب (υ) الواردة في سورة يوسف وأهم ما يميزها.

إن مرتبة الرسالة هي من أعلى المراتب التي يمكن أن يمنحها الله تعالى لإنسان, فإذا كلف الله تعالى أحداً واصطفاه على باقي البشر أصبح أمام حمل ثقيل, فهو يحمل هم الدعوة, ويضاف إليها أعباء قيادته لأتباعه ومن هم في نطاق المسؤولية لديه،- وإن كانوا غير مؤمنين به- إلا أنه يجب أن يتعامل معهم بما تمليه عليه شريعة السماء.

وإذا كان الاختيار من الله سبحانه وتعالى للأنبياء فلابد أن يكونوا على مستوى عال من الكمال الإنساني, فقد جاء في عصمة الأنبياء: "إن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام معصومون في زمان النبوة عن الكبائر والصغائر بالعمد, أما على سبيل السهو فهو جائز"[41], وهذا ما هو عليه جميع الأنبياء صلوات ربي وسلامه عليهم أجمعين, وما من رسول أرسله الله تعالى إلا ليطاع بإذنه, يقول الله تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ [42], وليس لإنسان في الوجود أن يتعالى عليهم في شيء من الكمالات الإنسانية, ولا يخالفهم بشيء أوحاه الله تعالى إليهم, وإنما يجب في حقهم الطاعة والتسليم, فقد جاء في العقيدة الطحاوية قوله: "فإنه ماسَلِمَ في دينه إلا من

---

40) ابن كثير, *قصص الأنبياء*, 358/1 .

41) محمد ابن الحسن بن الحسين القرشي التيمي فخر الدين الرازي ت606هـ, *عصمة الأنبياء*, تقديم ومراجعة محمد حجازي, مكتبة الثقافة الدينية _ القاهرة, ط1, 1986م, ص40.

42) سورة النساء 64/4.

سَلَّمَ لله عزَّ وجل ولرسوله صلى الله عليه وسلم وردَّ عِلمَ ما اشتبه عليه إلى عالِمه"[43] , ولا قول فوق قولهم بشيء من العلم أو المعرفة أو الحلم أو الحكمة في إدارة شؤون الناس وخاصة السياسي منها، لأنهم أتقى الناس لله تعالى, وأنقاهم قلوباً, وأطهرهم سريرةً, فهذا الصفاء في القلوب منحهم حسن الصلة بالله تعالى, وبالمحصلة كانوا أهلاً لتلقي الأنوار والوحي من الله تعالى, فكانوا أحق بها وأهلها, ولا قول فوق قولهم إلا قول الله تعالى, وحاشاهم أن يقولوا إلا ما يرضي الله سبحانه وتعالى, ولا رأي لأحد قبل رأيهم, لأنهم يقولون بالوحي, ولا يحيدون عنه, فهم بما يحملون من صفات ومؤهلات من أخلاق وحكمة ومحبة لله تعالى وللناس فقد اختارهم لحمل رسالته واختارهم لقيادة العالم وهداية الناس, أرسلهم الله تعالى لإنقاذ الخلق وإخراجهم من الظلمات إلى النور بما يحملون من حكمة وقدرة على قيادة البشرية, والله تعالى معهم أينما كانوا, يتابعهم ويرشدهم بالوحي.

فمن سبق من الأنبياء إذا كانوا عبرة ودروس لنبينا (ε) فهم أيضاً عبرة لنا, وجميع أفعالهم وأقوالهم التي أقرها الله تعالى في كتابه، وليس في سنة نبينا ما يعترض على شيء منها فإنا ملزمون بالأخذ بها, لأن الله تعالى ما قصَّ القصص في القرآن الكريم للتسلية, وإنما أورد ذكر قصص الأنبياء (عليهم السلام) من قبلنا لأخذ الدروس والعبر من الأمم السالفة, ومن أهمل شيئاً من كتاب الله تعالى سيحمل الوزر يوم القيامة، وسيحاسبه الله تعالى على ذلك، كما قال تعالى ﴿كَذَلِكَ نَقُصُّ

---

43) أحمد بن محمد بن سلامة أبو جعفر الطحاوي الأزدي الحنفي المصري ت321هـ, *متن العقيدة الطحاوية*, دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع بيروت_ لبنان, ط1, 1995م, ص13.

عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا (٩٩) مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْرًا (١٠٠) خَالِدِينَ فِيهِ وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِمْلًا (١٠١)﴾[44].

يقول تعالى عن هذه السورة تذكيراً لنبينا (ε) بأهميتها وتذكير لأمته من بعده: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾[45], وما من قائد في هذا الكون إلا وهو بحاجة إلى أن ينهل من هذا المعين الذي لاينضب, وأن يتذوق حلاوة المنهج القيادي لأنبياء الله تعالى, ومنهم من نحن بصدد أن نغرف من بحور علمه وحكمته وصلته بالله تعالى, وأن نأخذ دروساً في الصبر والحلم والعفو والتسامح, ألا وهو سيدنا يعقوب (υ).

قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَاأَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴾[46].

فمن أولى الدرر النبوية التي قصَّها الله تعالى علينا في سورة يوسف عن قيادة سيدنا يعقوب (υ) هو اهتمامه بتربية القيادة الفتية المتمثلة بسيدنا يوسف (υ), حيث برزت أولى ثمار هذه التربية الدينية الصحيحة من سيدنا يعقوب لابنه يوسف (عليهما السلام) من خلال زرع العقيدة السليمة فيه, وربطه بخالقه على الدوام من خلال تقوية الوشائج الروحية والوعظ المباشر والمشاهدة العملية, ومن أهم ما غرسه سيدنا يعقوب (υ) في قلب سيدنا يوسف (υ) هو الصدق في الحال والمقال, فحالة الصدق والنقاء القلبي لدى سيدنا يوسف (υ) نتجت عنها الرؤيا الصالحة التي رآها, لقد ظهرت مع هذه الآية ثمار تربية سيدنا يعقوب (υ) لابنه حيث لم يخفها عن أبيه, وإنما كان

---

44) طه 20/99-101.

45) يوسف 12/3.

46) يوسف 12/4.

واضحاً في كل شيء وإن كان مناماً, فهذه أولى معالم التوصيات من القائد الأعلى وهو سيدنا يعقوب (υ) بأن يكون على علم بكل مايدور داخل أسرته أو رعيته وإن كان مناماً, لأن المنام يعكس حال الرائي, والرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة.

فقد ورد في صحيح البخاري قوله: "حدثنا عبد الله بن مسلمة, عن مالك, عن إسحاق بن عبدالله بن أبي طلحة, عن أنس بن مالك: أن رسول الله (ε) قال: (الرؤيا الحسنة من الرجل الصالح جزء من ستةٍ وأربعين جزءاً من النبوة)"[47]، هذا للإنسان العادي, فكيف برؤيا الأنبياء, فقد ذكر ابن جرير الطبري قال:

"القول في تأويل قوله تعالى (إذ قال يوسف لأبيه يأبت إني رأيت أحد عشر كوكباً والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين) يقول تعالى ذكره لنبيه (ε): وإن كنت يا محمد لمن الغافلين عن نبأ يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم, إذ قال لأبيه يعقوب بن إسحاق: (يأبت إني رأيت أحد عشر كوكباً)، يقول: إني رأيت في منامي أحد عشر كوكباً. وقيل أن رؤيا الأنبياء كانت وحياً"[48].

وكذلك فإن إخبار يوسف (υ) أبيه بما رأى في منامه فيه دلالات كثيرة, منها أنه قد يكون قد تعلم ذلك من أبيه بأن لا يخفي شيئاً عنه, وذلك ما قال به الشيخ محمد الطاهر بن عاشور وذكر معه احتمالات أخرى حيث قال:

" وإنما أخبر يوسف (υ) أباه بهذه الرؤيا لأنه علم بإلهام أو بتعليم سابق من أبيه أن للرؤيا تعبيراً, وعلم أن الكواكب والشمس والقمر كناية عن موجودات شريفة، وأن سجود المخلوقات الشريفة له كناية عن عظمة شأنه. ولعله علم أن الكواكب كناية عن موجودات متماثلة، وأن الشمس والقمر كناية عن أصلين لتلك الموجودات، فاستشعر على الإجمال دلالة رؤياه على رفعة شأنه فأخبر بها أباه"[49].

---

47) صحيح *البخاري*, كتاب التعبير, باب الرؤيا الصالحة, ر (6989), 31/9.

48) محمد بن جرير أبي جعفر الطبري (224هـ- 310هـ), *جامع البيان عن تأويل آي القرآن*, تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي, القاهرة، دار هجر، ط1، 13/ 9.

49) ابن عاشور , *التحرير والتنوير المشهور بتفسير المنار* , 209/12 .

والشيء الأجمل هو طبيعة الخطاب بين الأب وابنه, فهو يعكس الجهد المبذول من سيدنا يعقوب (υ) تجاه ابنه قبل حدوث الرؤيا, فإن إخبار يوسف (υ) لأبيه بالرؤيا التي رآها يأتي انعكاس لعمق المحبة المتبادلة بينهما قبل الرؤيا, ويعكس مدى الثقة المترسخة في نفس سيدنا يوسف (υ), بحيث جعلته هذه المحبة والثقة ينطلق ويخبر أباه مباشرة بما رأى دون غيره, لأن الإنسان عادةً يحدّث من يحب بما يراه في المنام, فقد جاء في تفسير محاسن التأويل للقاسمي قوله:" إنما ناجى يوسف أباه بهذه الرؤيا، لاعتقاده كمال علمه، وشفقته عليه، بحيث لو كانت رؤياه تسوءه لأمكنه صرفها عنه"[50], وهذا ما يجب أن يكون عليه القائد, وهو بث روح الطمأنينة والمحبة في نفوس من هم دونه من الرعية حتى يضمن عدم إخفائهم شيئاً عنه وإن كان هذا الشيء مناماً, لأن المنام في أغلب حالاته يعكس حال الرائي, وبهذا يكون القائد على علم بما يدور حوله دون مشقة, لأن الثقة فيما بينهم تكون موجودة ومتبادلة, ولكن هذه المحبة والطمأنينة والثقة التي يبثها القائد ليس من الضروري أن تثمر في جميع الرعية, ولكن تظهر آثارها وثمراتها على الصالح منهم, كما هو الحال مع سيدنا يوسف (υ), وكان تأثير هذه القيم ضعيفاً على إخوته, لأن سيدنا يعقوب (υ) حذره من أن يقص تلك الرؤيا عليهم, وفيه دلالة على أنه لم يضمن سلامة قلوبهم تجاه يوسف (υ). إذاً لابد للقائد أن يجعل روح المحبة هي السائدة بين الرعية وإن كان من يستجيب لتلك المحبة هم النسبة الأقل في المجتمع.

---

50) محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (ت 1332هـ), *محاسن التأويل*, المحقق: محمد باسل عيون السود, دار الكتب العلمية, بيروت, ط1, 1418هـ, 146/6.

قوله تعالى: ﴿قَالَ يَابُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾[51] .

بعد أن أخبر سيدنا يوسف (υ) أباه بما رأى أتاه الأمر بأن لايحدث بها إخوته, وكلمة (يابني) لها دلالات, ولها وقعها في أذن السامع, فهي دليل على الاهتمام والشفقة من قبل سيدنا يعقوب (υ), فقد ورد في تفسير الإيجي قال:" (قَالَ يَا بُنَيَّ) التصغير للشفقة"[52]وهنا تبرز عدة أمور من شأنها أن تظهر لنا مدى الحنكة التي تتمتع بها الشخصية القيادية لسيدنا يعقوب (υ), ومنها:

أولاً: الآية الكريمة تبين مدى قرب سيدنا يعقوب (υ) من أولاده, إذ كان على معرفة تامة بأفراد عائلته وما تتميز به كل شخصية منهم, وكذلك معرفة ما يمكن أن يصدر من شرور من البعض الذين يحركهم هوى النفوس, ومن الضروري لكل قائد أن يكون على معرفة بنفوس من حوله, حتى ينتفع من النفوس السليمة, ويحذر من النفوس الضعيفة التي يقودها الهوى والشيطان, وهذه المعرفة بالنفوس تجعل القيادة صائبة في اتخاذ القرارات, وناجحة في اتخاذ ما يلزم, لأنها على علم بما تحتاجه تلك النفوس, ويختلف مقدار القراءة الصحيحة لدواخل الناس بحسب قرب ذلك القائد من الله تعالى, لأن المؤمن ينظر بنور الله جل وعلا.

ثانياً: إن سيدنا يعقوب (υ) عرف من خلال الرؤيا أن إخوة يوسف (υ) سيخضعون له ويكونون تحت قيادته, ويعلم أيضاً أنهم سيعرفون تأويل هذه الرؤيا, فمن الممكن أن يكيدوا لسيدنا

---

51) يوسف 5/12 .

52) محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الحسني الحسيني الإيجي الشافعيّ (ت 905هـ), *جامع البيان في تفسير القرآن*, تحقيق: الدكتور عبد الحميد هنداوي, دار الكتب العلمية – بيروت, ط1، 1424هـ _2004م, 211/2.

يوسف كيداً, لذلك كان من اللازم أن لا يحدث بها إخوته, لأن الأمر قد يطول, فلا تتحقق الرؤيا إلا بعد زمن طويل, وهذا من شأنه أن يجلب المتاعب لسيدنا يوسف (υ) مبكراً, فكان الرأي من القائد الأب أن لا يحدِّث بها يوسف (υ) إخوته دفعاً للشرور التي يمكن أن تصدر منهم بسبب الحسد والشيطان.

جاء في تفسير الخازن قوله: "قال أهل التفسير: أن يعقوب (υ) كان شديد الحب ليوسف (υ) فحسده إخوته لهذا السبب وظهر ذلك ليعقوب (υ), فلما رأى يوسف هذه الرؤيا وكان تأويلها أن إخوته وأبويه سيخضعون له، فلهذا قال يعقوب: (يا بني لا تقصص رؤياك على إخوتك) يعني لاتخبرهم برؤياك فإنهم يعرفون تأويلها (فيكيدوا لك كيداً) أي: فيحتالوا في إهلاكك، فأمره بكتمان رؤياه عن إخوته لأن رؤيا الأنبياء وحي وحق "[53].

ثالثاً: عدم التحدث بالأشياء المهمة قبل أوانها يتيح للإنسان أن يقضي حوائجه بأمان من أعين الحساد أو ضرر الأعداء، ويسلم من المكائد التي قد تمنع الإنسان من الوصول إلى هدفه, وهذه سنة إلهية لجميع البشر وخصوصاً الأنبياء, لأنهم مستهدفون من القريب منهم ومن قومهم وكذلك من الذين يضمرون أو يظهرون العداء لدعوة الأنبياء والرسل, وكتمان الأسرار هو من أهم مميزات القائد الناجح, لاسيما في الأمور العسكرية التي تتطلب وضع الخطط للمعارك، وكذلك رسم السياسات المستقبلية لتنفيذها والسير عليها, لذلك يكون كتمان هذه الأسرار ضروري جداً لسلامة الأفراد والجماعات والدول, وهذا كثير ومشهور في السنة النبوية المطهرة من أن رسول الله (ε) كان يستخدم التورية إذا أراد الخروج إلى مكان معين سواء للحرب أو التنقل, وهو من باب الحذر والأخذ بالأسباب.

---

53) الخازن, *لباب التأويل في معاني التنزيل* , 512/2 .

وقد جاء في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: "عن معاذ بن جبل قال: قال رسول الله (ε): استعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان فإن كلّ ذي نعمة محسود"[54]. والسؤال هنا كيف لنا أن نجمع بين استحباب إظهار النعمة المأمور به في قوله تعالى: ﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ [55] وبين كتمان النعمة التي مثالها هنا الرؤيا الصالحة؟ ذكر الحكم فيها الجصاص فقال:" قَوْله تَعَالَى: {لا تَقْصُصْ رُؤْياكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْداً} عَلِمَ أَنَّهُ إنْ قَصَّهَا عَلَيْهِمْ حَسَدُوهُ وَطَلَبُوا كَيْدَهُ. وَهُوَ أَصْلٌ فِي جَوَازِ تَرْكِ إظْهَارِ النِّعْمَةِ وَكِتْمَانِهِ عِنْدَ مَنْ يُخْشَى حَسَدُهُ وَكَيْدُهُ، وَإِنْ كَانَ اللَّهُ قَدْ أَمَرَ بِإِظْهَارِهِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: {وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ}[56]

رابعاً: حث الأفراد على كتمان ما هو مهم في حياتهم، وتدريبهم على ذلك هو من واجب كل القيادات سواء كان قائداً في أسرة أو أي مجال من مجالات الحياة, وتعليم الأهل والرعية على عدم الثرثرة بالأمور التي قد تسبب ثغرة أو نقطة ضعف داخل الأسرة أو الجيش أو أي مكان من المسؤولية المناطة بهم.

خامساً: كلام سيدنا يعقوب (υ) دليل واضح على أنه بالإمكان تهيئة القائد منذ الصغر, وكذلك بالإمكان تنمية وصقل المواهب القيادية وتعليم المتميز منهم فن إدارة الأمور من الصغر,

---

54) *مجمع الزوائد ومنبع الفوائد*, , باب كتمان الحوائج, ح (13737), 195/8, والحديث رواه الطبراني في الثلاثة, وفيه سعيد بن سلام العطار, قال العجلي: لا بأس به, وكذبه أحمد وغيره, وبقية رجاله ثقات, إلا أن خالد بن معدان لم يسمع من معاذ.

55) الضحى, 11/30.

56) أحمد بن علي أبو بكر الرازي الجصاص الحنفي (ت 370هـ), *أحكام القرآن*, المحقق: عبد السلام محمد علي شاهين, دار الكتب العلمية بيروت – لبنان, ط1, 1994م, 216/3.

وتوعيتهم بالمخاطر, وتوسيع أذهانهم بالتمرس على النظر البعيد في عواقب الأمور, والحذر الدائم من الذين يتوقع منهم الشر من القريب والبعيد.

سادساً: عدم إهمال دور الشيطان في التحريش بين الناس، وفي جلب الشرور والمتاعب لمن أراد السير على منهج الله تعالى, وعلى القائد التعريف بذلك, لأن الله تعالى حذّر آدم وزوجته بعداوة هذا الشيطان، فقال في كتابه العزيز: ﴿فَقُلْنَا يَاآدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى﴾[57]، وكذلك فعل سيدنا يعقوب مع سيدنا يوسف (عليهما السلام) حين قال له في الآية الكريمة (إِنَّ الشَّيْطانَ للإِنْسانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ) فيكون بذلك سيدنا يعقوب (υ) قد حذر القائد المستقبلي وهو سيدنا يوسف (υ) من شر الإنس والشياطين, وهو تعليم لنبينا (ε) ولأمته من بعده أن يتنبهوا لهذا العدو.

سابعاً: التماس العذر ضروري جداً في حفظ العلاقات بين الأفراد والجماعات, فبعد أن أوصى ابنه بعدم قص الرؤيا على إخوته وحذره من كيدهم؛ هيأ له ولهم العذر فيما إذا بدر من إخوته شيء من الحسد والعداوة, وبين له أن هذا من فعل الشيطان الذي جل ما يقدر عليه هو التحريش بين الناس كي يضعف قوتهم, وإن حصلت الفتنة بين الأخوة أو الأبعد من المسلمين فليعتبروا ذلك من الشيطان وهو الواقع, فيكون بذلك قد فتح باباً واسعاً من الرحمة والتسامح فيما بينهم, والتماس العذر هو من شيمة القيادات المسلمة خاصة, لأنه لابد أن يجعلوا حداً للقطيعة بين الإخوان أو الأفراد في الدولة المسلمة, وهذا ما فعله سيدنا يوسف (υ) مع إخوته, فسيدنا يعقوب (υ) أعطى درساً بليغا لسيدنا يوسف (υ) في السياسة مع

---

57) طه 117/20 .

إخوته ومع الناس, وهذا يجعله لا يقاطع أحداً إلا لضرورة يبيحها الشرع, وعلى كل من يقود الناس أن يترك طريقاً للعودة إلى الناس ولايقاطعهم بالكلية, ونجد في الوقت الحاضر أن هذا السلوك هو السائد لدى الكثير من القيادات السياسية من أجل استدامة العلاقة بين الدول أو بين الأحزاب, سواء كانت إسلامية أو غيرها, فالكل باستطاعته أن يتعلم من هذا المنهج الرباني في التعامل الإنساني.

قوله تعالى ﴿وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[58].

يستمر سيدنا يعقوب (ʊ) بمخاطبة القائد والنبي المستقبلي وهو سيدنا يوسف (ʊ) فرحاً ومبشراً له بما ستؤول إليه الأمور بعد هذه الرؤيا بقوله (وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ)، أي كما أكرمك ربك بهذه الرؤيا التي تبشرك بالعاقبة الحميدة والتمكين في الأرض فإن الله تعالى سيختارك ويصطفيك دون غيرك, قيل سيجتبيك لحمل الرسالة, وقيل للسجود من قبل أهلك لك.

يقول الإمام القرطبي في ذلك: "وَقِيلَ: (وَكَذلِكَ) أَيْ كَمَا أَكْرَمَكَ بِالرُّؤْيَا فَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ، وَيُحْسِنُ إِلَيْكَ بِتَحْقِيقِ الرُّؤْيَا. قَالَ مُقَاتِلٌ: بِالسُّجُودِ لَكَ. الْحَسَنُ: بِالنُّبُوَّةِ. وَالِاجْتِبَاءُ اخْتِيَارُ مَعَالِي الْأُمُورِ لِلْمُجْتَبَى، وَأَصْلُهُ مِنْ جَبَيْتُ الشَّيْءَ أَيْ حَصَّلْتُهُ، وَمِنْهُ جَبَيْتُ الْمَاءَ فِي الحوض، قال النَّحَّاسُ. وَهَذَا ثَنَاءٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى يُوسُفَ (ʊ)، وَتَعْدِيدٌ فِيمَا عَدَّدَهُ عَلَيْهِ مِنَ النِّعَمِ الَّتِي أَتَاهُ اللَّهُ تَعَالَى، مِنَ التَّمْكِينِ فِي الْأَرْضِ، وَتَعْلِيمِ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ، وَأَجْمَعُوا أَنَّ ذَلِكَ فِي تَأْوِيلِ الرُّؤْيَا"[59].

لقد تجلت الآية الكريمة عن جملة من الصفات والقيم القيادية التي يتمتع بها سيدنا يعقوب (ʊ) وهو يسترسل في تأويل رؤيا يوسف (ʊ), نذكر منها:

---

58) يوسف 6/12.

59) القرطبي, *الجامع لأحكام القرآن*, 9 / 128- 129.

أولاً : ومن خلال الآية الكريمة نلاحظ إن سيدنا يعقوب (υ) لم يتردد في سرد تأويل تلك الرؤيا لسيدنا يوسف (υ), فقد أسهب في سرد جملة من المبشرات إضافة إلى تلك التي وردت في الرؤيا, فالرؤيا بينت خضوع أبويه وإخوته له بالسجود, أما باقي البشارات فقد حدثه بها سيدنا يعقوب (υ), وهي بشرى الاختيار للنبوة وتأويل الأحاديث، وإتمام النعمة عليه من الله تعالى كما أتمها على أبويه من قبل إبراهيم وإسحاق, قال الجرجاني:" فإنّما بشّره بالاجتباء لرؤياه، فإنّ الرؤيا من الله، والحلم من الشيطان، وبشّره بعلم التأويل؛ لافتتاح أمره بخصلة نبوّته، وهي الرؤيا، وبشّره بإتمام النعمة عليه؛ لأنّ الله متمّ نوره، وعلم بذلك لوقوع أمثلتهم في الرؤيا: كواكب، والكواكب نور يقتدى"[60]كل ذلك الحديث من سيدنا يعقوب (υ) لابنه فيه دلالة على إمكانية إخبار القائد من دونه بالأشياء التي تنتظرهم في المستقبل إذا كان على ثقة عالية بهم, أي أنهم أهلا للأسرار وخصوصاً الأمور الغيبية, كما هو حال سيدنا يعقوب (υ) إذ أخبر سيدنا يوسف (υ) بما ستؤول إليه الأمور في النهاية من علو الشأن, إذ تساهم هذه البشارات العاجلة في رفع الهمة لدى القيادات الناشئة, وكذلك الاستعداد بالصبر من أجل بلوغ تلك المرحلة من العلو والرفعة لأنه يعلم ماستؤول إليه الأمور.

ثانياً: التوجيه الاعتقادي السليم من خلال ربط الأمور بالمسبب الرئيس وهو الخالق جل وعلا ونسبة الفضل الأول والأخير له سبحانه, وهذا ما نبه عليه سيدنا يعقوب (υ) بقوله(يجتبيك)

---

60) عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد أبو بكر الفارسي الأصل, الجرجاني الدار (ت471هـ), *درج الدُّرر في تفسير الآي والسور*, تحقيق: القسم الأول:طلعت صلاح الفرحان, القسم الثاني: محمد أديب شكور أمرير, دار الفكر_عمان الاردن, ط1, 2009م, 121/2.

و(يعلمك) و (يتم نعمته عليك) أراد بأن من يجتبيك هو الله, ومن يعلمك هو الله, وصاحب النعمة وتمامها هو الله جل وعلا, فليس لأحد فضلاً عليك في ذلك, فلا تلتفت للمخلوق، وتمسّك بالخالق الذي يدبر الأمور, يقول مكي بن أبي طالب:"{وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ} (أي): بالاصطفاء{كَمَآ أَتَمَّهَآ على أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ}: أخبره أنه يكون نبياً, قال عكرمة: ويتم نعمته عليك، وعلى آل يعقوب، كما أتمها على أبويك من قبل إبراهيم وإسحاق, فنعمته على إبراهيم، بأن نجَّاه من النار، وعلى إسحاق أن نجاه من الذبح,{إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ} بخلقه،{حَكِيمٌ} في تدبيره"[61], وفيه إشارة أنه عليك أن تبرأ في جميع أمرك من حولك وقوتك إلى حول الله وقوته لأنه الأصل في اختيارك وتعليمك وإتمام النعمة عليك وسيكون معك على جميع أحوالك, وهذا التوجيه يجب أن يكون حاضراً في أذهان القيادات المسلمة, فيربون من دونهم على العقيدة السليمة, وعلى الصلة الدائمة بخالقهم من خلال ربط النعم بالمنعم سبحانه.

ثالثاً: دفع القلق عن القيادات الناشئة من خلال بث روح الطمأنينة في نفوسهم, وهذا ما فعله سيدنا يعقوب (ʊ) مع سيدنا يوسف (ʊ)، إذ بدد مخاوفه من تلك الحوادث التي تنتظره وطمأنه بأن الله تعالى الذي اختارك سيكون معك و (يعلمك من تأويل الأحاديث) وفي النهاية (يتم نعمته عليك وعلى آل يعقوب).

---

61) مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار أبو محمد القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي (ت٤٣٧هـ), *الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه*, المحقق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي – جامعة الشارقة، بإشراف أ. د: الشاهد البوشيخي, مجموعة بحوث الكتاب والسنة – كلية الشريعة والدراسات الإسلامية – جامعة الشارقة, ط1, 2008م, 3504/5.

فقد جاء في زاد المسير: "قوله تعالى: وَكَذلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ قال الزجاج، وابن الأنباري: ومثل ما رأيت من الرفعة والحال الجليلة، يختارك ربك ويصطفيك من بين إخوتك... وقال ابن عباس: يصطفيك بالنّبوّة. قوله تعالى: (وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحادِيثِ) فيه ثلاثة اقوال: أحدها: أنه تعبير الرؤيا، قاله ابن عباس ومجاهد، وقتادة، فعلى هذا سمي تأويلاً لأنه بيان ما يؤول أمر المنام إليه, والثاني: أنه العلم والحكمة، قاله ابن زيد. والثالث: تأويل أحاديث الأنبياء والأمم والكتاب، ذكره الزّجّاج. قال مقاتل: و «من» ها هنا صلة"[62].

وبذلك يكون دفع القلق وتبديد المخاوف لدى العاملين من أهم ما تقوم به القيادات الكبيرة من خلال التبشير بالعواقب السعيدة والنصر الذي يطمح إليه كل من لديه هدف يبتغي الوصول إليه.

رابعاً: مراعاة الأدب مع القيادات الكبيرة السابقة وحفظ مكانتهم وترسيخها في نفوس القيادات الجديدة عن طريق حسن الخطاب والأدب عند تداول تلك الأسماء الكبيرة والعظيمة خاصةً إذا كانوا أنبياء, هذه التربية الأخلاقية والدينية لم يغفل عنها سيدنا يعقوب (ʊ) وظهرت بأجمل ما يكون في الآية بقوله لسيدنا يوسف (ʊ): ﴿وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [63] إذ عد الجد بمرتبة الوالد, وكذلك والد الجد وهذا من رفيع الأدب, وهو أقل ما يمكن أن يبر به الإنسان من قبله من أجداده, فكيف إذا كانوا أنبياء؟, ونلحظ أيضاً أنه قدم ذكر سيدنا إبراهيم (ʊ) على سيدنا إسحاق (ʊ) لأنه أبو الأنبياء وهو والد سيدنا إسحاق فاستحق الذكر أولاً من باب الأدب, وهذا ما ينبغي أن

---

62) جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت 597هـ), *زاد المسير في علم التفسير*, المحقق: عبدالرزاق المهدي, بي دار الكتاب العربي، بيروت, ط1، 1422هـ, 414/2 .

63) يوسف 6/12.

يتنبه إليه من قبل كل القيادات الحديثة وهو أن يكون الأدب حاضراً وبقوة في جميع مراحل إعداد وتربية القادة من الصغر, لأن الأدب مع الكبير له الأثر الكبير في تنظيم حياة الفرد ومعرفة الحقوق المعنوية وإنصاف ذوي الفضل من الذين سبقوا بالإيمان أو الذين سبقوهم بالخدمة أو العمل, فهذه الآداب يجب أن تكون حاضرة في الأقوال والأفعال, والشواهد كثيرة عليها في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة, وكذلك في كتب تدريب القادة والمراتب في الكليات العسكرية ومراكز التدريب والدورات الإدارية, إذ يتعلم الطلاب في هذه المراكز التعليمية حفظ الألقاب واختيار الكلمات المناسبة لكل منصب حين التخاطب مع الأعلى منصباً أو الأعلى رتبة عسكرية, وتكون هذه الألقاب المؤدبة والرسمية حاضرة حين المشافهة, وكذلك تستخدم كأساس في التخاطب في الكتب الرسمية.

خامساً : كلام سيدنا يعقوب (υ) الوارد في الآية بقوله (إن ربك عليم حكيم) يقتضي التسليم من سيدنا يوسف (υ) لأمر الله تعالى لأن كل ما يصدر من الله تعالى ينبع من علم وحكمة, وهو ما يطمئن النفوس ويريح القلوب لأن الأمر بيد الله الذي له الخلق والأمر, وله الحكمة في الاختيار للنبوة, فيصطفي من الخلق ما يشاء, ويختار من بين الإخوة من يصلح للدعوة وحمل الرسالة.

قال الزمخشري:" إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ يعلم من يحق له الاجتباء حَكِيمٌ لا يتم نعمته إلا على من يستحقها"[64].

64) محمود بن عمرو بن أحمد أبو القاسم الزمخشري جار الله (ت 538 ه), *الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل*, بيروت، دار الكتاب العربي، ط3، 1407هـ, 2/ 445.

وإن هذا الأسلوب في التوكل والتسليم لأمر الله تعالى كثيراً ما يرد من سيدنا يعقوب (υ) في سورة يوسف, وهو ما يدل على أهمية هذا الأمر, وكذلك ضرورة ترسيخه في أذهان القيادات المسلمة, إذ أنه يبعث السكينة في النفوس, ويمنح العقل الاستقرار والتركيز في اتخاذ القرارات, إذ يشعر الفرد بمعية الله تعالى, وأن ما يمر به من عقبات وأزمات هي بتقدير الله تعالى، فتكون قراراته مبنيةً على ذلك بعد التوكل والتسليم.

قوله تعالى: ﴿قَالُوا يَاأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ (١١) أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ (١٢) قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ﴾[65].

فبعد أن عزم إخوة يوسف (υ) على قتله فاقترح عليهم قائل منهم أن يلقوه في الجب فوافقوا على ذلك ﴿قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾[66], عند ذلك طلبوا من أبيهم أن يأخذوا يوسف (υ) معهم يرتع ويلعب وهم يرعون الأغنام, فكان الجواب من سيدنا يعقوب (υ) ﴿قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ﴾, ومن هنا بدأت مأساة سيدنا يعقوب (υ), إذ شعر بحسد إخوة يوسف وعلم بأن المحنة قد بدأت وأن هذا الأمر لابد منه, لذلك انتابه الحزن بمجرد طلبهم أن يأخذوا يوسف (υ) معهم فكانت إجابته محيرة للكثير من المفسرين, حيث تراود أذهانهم الكثير من

---

65) يوسف 11/12- 13.

66) يوسف 10/12 .

الأسئلة حول ما إذا كان سيدنا يعقوب (υ) على علم بتفاصيل ما سيحدث لسيدنا يوسف عليه (υ) بناءً على علمه كونه نبياً؟ أم بناءً على تأويله لرؤيا سيدنا يوسف (υ)؟.

فإذا كان سيدنا يعقوب (υ) على علم مطلق بتفاصيل ما سيحدث لسيدنا يوسف (υ) مع إخوته وكيدهم له فلماذا أرسله معهم؟.

ولكن الأحداث تدل على أن سيدنا يعقوب (υ) كان يعلم بما ستؤول إليه الأمور في النهاية من العاقبة الحسنة والظفر الذي سيكون من نصيب سيدنا يوسف (υ) دون علمه بالتفاصيل, وخشيته من إرسال يوسف (υ) مع إخوته وحزنه على ذلك كان بسبب الحب الشديد لسيدنا يوسف (υ)، فهو لا يحتمل فراقه ولو لفترة قليلة وهي فترة رعيهم في الصحراء لحين الرجوع وهي جزء من يوم.

وهذا ما عبر عنه ابن كثير بقوله: "يَقُولُ تَعَالَى مُخْبِرًا عَنْ نَبِيِّهِ يَعْقُوبَ أَنَّهُ قَالَ لِبَنِيهِ فِي جَوَابِ مَا سَأَلُوا مِنْ إِرْسَالِ يُوسُفَ مَعَهُمْ إِلَى الرَّعْيِ فِي الصَّحْرَاءِ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ أَيْ يَشُقُّ عَلَيَّ مُفَارَقَتُهُ مُدَّةَ ذَهَابِكُمْ بِهِ إِلَى أَنْ يَرْجِعَ، وَذَلِكَ لِفَرْطِ مَحَبَّتِهِ لَهُ لِمَا يَتَوَسَّمُ فِيهِ مِنَ الْخَيْرِ الْعَظِيمِ وَشَمَائِلِ النُّبُوَّةِ وَالْكَمَالِ فِي الْخُلُقِ وَالْخَلْقِ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ"[67].

وإجابة سيدنا يعقوب (υ) لبنيه وهو على علم مسبق بما في نفوسهم من حسد ليوسف (υ) فيه دلائل ونظرات قيادية من سيدنا يعقوب (υ) أود الإشارة إلى شيء منها:

أولاً : عدم إهمال النوايا الحسنة التي تبدر من أولاده تجاه سيدنا يوسف (υ) وإن كان على علم بحقدهم وحسدهم لأخيهم, فسيدنا يعقوب (υ) مع حرصه الشديد على سيدنا يوسف (υ) لكنه سمح له بالخروج مع إخوته ولبى طلبهم حرصاً منه على دعم أواصر المحبة بين

67) إسماعيل بن عمر بن كثير أبو الفداء القرشي البصري ثم الدمشقي (ت 774هـ), *تفسير القرآن العظيم*, المحقق: سامي بن محمد سلامة, دار طيبة للنشر والتوزيع, ط2، 1999م, 373/4 .

الأخوة وتنمية كل ما من شأنه أن يذيب الخلافات والحسد, فخروج الإخوة معاً للعمل أو اللعب يزيد من الألفة والمحبة بينهم, وهذا مادفع سيدنا يعقوب (υ) على السماح لسيدنا يوسف (υ) للخروج مع إخوته يرتع ويلعب, ولكن حسدهم فاق كل التصورات, وفعلهم ورميهم له في البئر يدل على مدى حقدهم وحسدهم له, وقد يكون سيدنا يعقوب (υ) وجد رغبة من سيدنا يوسف (υ) في الذهاب مع إخوته واللعب معهم، ولفرط محبته له لم يرفض له طلب.

فقد ذكر القشيري في تفسيره قال: "يقال أطمعوا يعقوب (υ) فى تمكينهم من يوسف بما فيه راحة نفس فى اللعب، فطابت نفس يعقوب لإذهابهم إياه من بين يديه- وإن كان يشقّ عليه فراقه- ولكنّ المحبّ يؤثر راحة محبوبه على محبة نفسه"[68].

وينبغي على القيادات أن لا تهمل النوايا الحسنة التي تبدر من الأعداء حتى يثبت خلاف ذلك, لأنهم إذا أهملوا تلك النوايا قد تضيع منهم فرص حقيقية للمودة وإصلاح النفوس فينبغي مراعاة ذلك.

ثانياً: إجابة سيدنا يعقوب (υ) فيها الكثير من العبر، إذ ابتعد عن التجريح الصريح لأولاده مع علمه بما يخفون من حسد لسيدنا يوسف (υ), واستخدم في جوابه أعذاراً أخرى قد تكون نافعة في تحصيل مراده بعدم السماح ليوسف (υ) من الذهاب معهم, فاحتج بقوله (إني ليحزنني) وهذا من جميل الأدب مع الخلق والخالق, فمع الخلق يساعد على إبقاء النوايا

68) عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (ت 465هـ), *لطائف الإشارات*, المحقق: إبراهيم بسيوني, مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط3، 172/2.

السليمة, وأن تكون هي السائدة بين أفراد العائلة الواحدة, وجميل الأدب مع الله تعالى بأن تعامل معهم بالظاهر والله جل وعلا يتولى السرائر, فقدَّم حسن الظن لأنه لم يبدر منهم شيء ظاهر بعد, يقول النخجواني:"وبعد ما قد الحوا بما الحوا بالغوا بما بالغوا قالَ أبوهم إِنِّي من شدة محبتي وشوقي اليه وتحنني وعطفي نحوه لَيَحْزُنُنِي مفارقته وأَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَمع ذلك أَخافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ لان ارضنا هذه مذئبة وَأَنْتُمْ من شدة شغلكم على الرتع واللعب عَنْهُ غافِلُونَ حينئذ ذاهلون عن حصانته وحفظه"[69], وهذا الأسلوب في التعامل من سيدنا يعقوب (υ) قد يساعد أولاده على الرجوع إلى رشدهم ونبذ الغل والحسد الذي يتملكهم تجاه سيدنا يوسف (υ), وفي هذا الكثير من العبر لكل القيادات بأن يسيروا على هذا الأسلوب الرباني في التعامل مع من هم بذمتهم من الرعية, وأن لا يبنوا قراراتهم على الظن, لأن الظن لا يغني من الحق شيئاً.

ثالثاً: قد يكون خوف سيدنا يعقوب (υ) على سيدنا يوسف (υ) من الذئب حقيقياً وهذا يوجب التحذير لأولاده منه, فقد جاء في تفسير بحر العلوم للسمرقندي قال: "وروي عن بعض الصحابة، أنه قال: لا ينبغي أن يلقن الخصم حجّته، لأن إخوة يوسف كانوا لا يعلمون أن الذئب يأكل الناس، إلى أن قال لهم يعقوب ذلك، وإنما قال ذلك يعقوب لأنه رأى في المنام أن ذئباً كان يعدو على يوسف فأنجاه بنفسه"[70]. لذلك نجد أن الآية جاءت بشقين, الأول بقوله (إني ليحزنني أن تذهبوا به) والثاني بقوله (وأخاف أن يأكله الذئب)

---

69) نعمة الله بن محمود النخجواني، ويعرف بالشيخ علوان (ت 920هـ), *الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية الموضحة للكلم القرآنية والحكم الفرقانية*, دار ركابي للنشر – الغورية، مصر, ط1, 1999م, 369/1.

70) السمرقندي, *بحر العلوم*, 183/2.

فجاء الحزن ليعبر عن عدم الإطمئنان من ذهابه معهم لعلمه بما يخفون من حسد لسيدنا يوسف (υ), وجاء الخوف من أن يأكله الذئب ليعبر عن هاجس حقيقي سببه الرؤيا التي رآها سيدنا يعقوب (υ) في منامه, لذلك حذرهم من الإهمال وترك أخيهم لقمة سائغة للذئب, وهذا يملي على القادة أن يحذروا من الأخطار التي قد تعترضهم وأن يبينوا مخاوفهم, وهذا زيادة في التنبيه, وهذه المخاوف تدفع العسكري المكلف بالواجب أو الموظف المعني إلى إعطاء ضمانات وتطمينات للقائد أو المسؤول الأعلى, وهذا مافعله إخوة يوسف (υ) إذ طمأنوا أبيهم ﴿قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَخَاسِرُونَ﴾[71] أي لايمكن للذئب أن يأكل يوسف ونحن بهذه الكثرة.

قوله تعالى :﴿وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ (١٦) قَالُوا يَاأَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ (١٧) وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ (١٨)﴾[72].

بعد أن نَفَّذَ إخوة يوسف (υ) خطتهم في إلقائه في الجب جاءوا إلى أبيهم في المساء يبكون, وأخذوا يبررون فقدانهم ليوسف (υ) بالكذب على أبيهم, وهم يعلمون أن أباهم يعرف كذبهم لذلك قالوا له: (وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين) لما يعرفون من فراسته, وأنه لا يمكن أن يمر هذا الأمر على أبيهم بسهولة, لذلك نجد أنهم اتخذوا عدة وسائل لتمرير هذه الكذبة على أبيهم, فقد

---

71) يوسف 14/12.

72) يوسف 16/12- 18.

اختاروا وقت المساء كي لا يعرف سيدنا يعقوب (υ) ملامحهم ودموعهم الكاذبة فتختفي في الظلام, واستعانوا بدم كذب, فقد جاء في السراج المنير قوله: " (عشاءً) في ظلمة الليل لِئلا يتفرس أبوهم في وجوههم إذا رآهم في ضياء النهار "[73] , ومع ذلك جاء الجواب بأنَّ أنفسكم سوَّلت لكم أمراً للتخلص من يوسف (υ), والمتأمل يجد وقفات جميلة تظهر مزايا أجمل للقائد سيدنا يعقوب (υ) وكيف تعامل مع هذا الحدث الجلل, منها:

أولاً : بعد أن ظهر الشر من إخوة يوسف (υ) آن الأوان أن يخبرهم سيدنا يعقوب (υ) بالذي دفعهم للتخلص من أخيهم، فقال لهم (بل سولت لكم أنفسكم أمراً) , فقد ورد في تفسير روح البيان قوله:" والتسويل تقدير شيء في الأنفس مع الطمع فى إتمامه"[74], وبين لهم سيدنا يعقوب عليه السلام أن الأمر ليس كما تقولون, فحينما بدا منهم الشر كان لابد لسيدنا يعقوب (υ) أن يظهر شيئاً من فطنته وعلمه وإن كان غيباً حتى لا يستشعروا الضعف منه، وأنه لا يمكن أن تنطلي عليه مثل هذه الأكاذيب, فأخبرهم بما في نفوسهم حتى لا يتكرر ذلك منهم مستقبلاً, وأن لا يقدموا على فعل ما تهوى نفوسهم ويغضب ربهم لأن سريرتهم باتت مكشوفة لديه, وهذا يرشد القيادات والإدارات بصورة عامة إلى إظهار قَدَرٍ معين مما لديهم من معلومات حول خصمهم أو مَن هم تحت إمرتهم, كي تكون الهيبة منهم حاضرة في كل وقت,

---

73) محمد بن أحمد الخطيب شمس الدّين الشربيني الشافعي ت 977هـ, *السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير*, مطبعة بولاق الأميرية _ القاهرة 1285 هـ, 95/2.

74) إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي , المولى أبو الفداء (ت 1127هـ), *روح البيان*, دار الفكر_ بيروت, 227/4.

واختيار الوقت المناسب لإظهار تلك المعلومات, ففي هذه الحالة يشعر الموظف أو العسكري أن قيادته أقوى منه فينزجر عن فعل السوء.

ثانياً: عدم المبالغة الشديدة بردة الفعل من قبل سيدنا يعقوب (υ) تجاه أولاده لأنها قد تتسبب بخسائر أخرى إضافة الى خسارة سيدنا يوسف (υ), فيجب إدارة مثل تلك الأمور بحكمة عالية جداً, لذلك لجأ إلى الإستعانة بالله عز وجل وبالصبر الجميل الذي ليس معه شكوى, وقد يكون قد استسلم لقدره لعلمه المسبق بأن ذلك سيحدث وأن العاقبة ستكون طيبة بأذن الله تعالى ولو بعد حين, قال ابن زمنين:" قَالَ الْحَسَنُ: وَكَانَ يَعْقُوبُ قَدْ عَلِمَ بِمَا أَعْلَمَهُ اللَّهُ أَنَّ يُوسُفَ حيٌّ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَعْلَمْ أَيْن هُوَ"[75], وما آلمه وزاد من حزنه هو طول فترة الفراق التي ستكون بعد هذا الحدث, فانشغل بتدبير الله تعالى ولجأ إليه, واكتفى بتأنيب أبنائه وتذكيرهم بفعلهم الناتج عن خلل كبير في نفوسهم.

وجاء في تفسير التستري قال: " قوله تعالى: فَصَبْرٌ جَمِيلٌ قال: الصبر مع الرضا. قيل: ما علامته؟ قال: ألّا يجزع فيه. فسئل: بأي شيء يحصل التجمل بالصبر؟ قال: بالمعرفة بأن الله تعالى معك، وبراحة العافية، فإنما مثل الصبر مثل قدح أعلاه الصبر وأسفله العسل"[76], وهذا يدعو القادة إلى الصبر الجميل وعدم المبالغة بردة الفعل, حتى يجنبهم ذلك الآثار السلبية التي تترتب على ردات الفعل العنيفة والهدامة التي تفسد أكثر مما تصلح.

---

75) محمد بن عبد الله بن عيسى بن محمد المري، أبو عبدالله الإلبيري المعروف بابن أبي زَمَنِين المالكي (ت 399هـ), *تفسير القرآن العزيز*, المحقق: أبو عبد الله حسين بن عكاشة – محمد بن مصطفى الكنز, الفاروق الحديثة- مصر/ القاهرة، ط1، ٢٠٠٢م, 319/3.

76) سهل بن عبدالله بن يونس بن رفيع أبو محمد التستري (ت 283هـ), *تفسير التستري*, جمعها: أبو بكر محمد البلدي, المحقق: محمد باسل عيون السود, بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1423هـ, ص81.

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَى أَبِيهِمْ قَالُوا يَاأَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَا أَخَانَا نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ (٦٣) قَالَ هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمِنْتُكُمْ عَلَى أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (٦٤)﴾[77].

لما حلَّ بمصر القحط حلَّ مثله بأرض كنعان وبلاد الشام, وأصاب آل يعقوب مثل ذلك فجمع سيدنا يعقوب (υ) بنيه سوى بنيامين وقال لهم إن في أرض مصر ملكاً يبيع الطعام فاذهبوا إليه واشتروا ماتحتاجون إليه من طعام, فتجهزوا وذهبوا, فاستقبلهم سيدنا يوسف (υ) وهم له منكرون, قال الآلوسي:

"وَجاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ ممتارين لما أصاب أرض كنعان وبلاد الشام ما أصاب مصر، وقد كان حل بآل يعقوب (υ) ما حل بأهلها فدعا أبناءه ما عدا بنيامين فقال لهم: يا بني بلغني أن بمصر ملكا صالحا يبيع الطعام فتجهزوا إليه واقصدوه تشتروا منه ما تحتاجون إليه فخرجوا حتى قدموا مصر فَدَخَلُوا عَلَيْهِ (υ) وهو في مجلس ولايته فَعَرَفَهُمْ لقوة فهمه وعدم مباينة أحوالهم السابقة أحوالهم يوم المفارقة لمفارقته إياهم وهم رجال وتشابه هيئاتهم وزيهم في الحالين، ولكون همته معقودة بهم وبمعرفة أحوالهم لا سيما في زمن القحط، ولعله (υ) كان مترقباً مجيئهم إليه لما يعلم من تأويل رؤياه. وروي أنهم انتسبوا في الاستئذان عليه فعرفهم وأمر بإنزالهم، ولذلك قال الحسن: ما عرفهم حتى تعرفوا إليه".[78]

---

77) يوسف 63/12 , 64 .

78) شهاب الدين محمود بن عبدالله الحسيني الآلوسي (ت 1270هـ), *روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني*, المحقق: علي عبد الباري عطية, بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1415هـ, 9/7.

فلما أكرمهم سيدنا يوسف (υ) وجهزهم بجهازهم قال ائتوني بأخ لكم من أبيكم فإن لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي, ثم أمر فتيانه بأن يجعلوا بضاعتهم في رحالهم لعلهم يعرفونها إذا رجعوا إلى أهلهم لعلهم يرجعون.

فلما رجعوا إلى أبيهم قالوا يا أبانا منع منا الكيل إن لم نذهب بأخينا بنيامين, وطلبوا منه أن يرسل معهم أخاهم بنيامين ليكتالوا ويوفوا بوعدهم ليوسف (υ) وهم لم يعرفوه, هنا بدا خوف سيدنا يعقوب (υ) من أن يقع بمصيبة أخرى كالتي حدثت ليوسف (υ) وذكرهم بضماناتهم ووعودهم السابقة التي خانوها ﴿قَالَ هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمِنْتُكُمْ عَلَى أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾[79] وفي هذا المقال عبّر سيدنا يعقوب (υ) عن خوفه وقلقه, ولكن الكلام يحمل في طياته معانٍ كثيرة منها:

أولاً : أراد سيدنا يعقوب (υ) أن يؤكد لأولاده أنه لا يعتمد على ضماناتهم في إرسال بنيامين معهم, وإنما يعتمد على حفظ الله تعالى له فهو أرحم الراحمين ولن يجمع عليه مصيبتين, فقد أظهر لهم صدق التوكل على الله تعالى, وهو بهذه الحالة لا يزال في مرحلة صقل عقيدتهم وإصلاح نفوسهم, وهذا ما يجب أن يراعى من قبل القيادات والإدارات في المجتمع المسلم, إذ يكون السعي حثيثاً ومستمراً لربط الأفراد بخالقهم والتوكل عليه، والشعور الدائم بأن الله تعالى هو الرقيب عليهم, وهذا الشعور سيلزمهم ذاتياً على الالتزام بتعاليمه والخوف منه.

ثانياً : قد يكون سيدنا يعقوب (υ) أراد بهذا التذكير أن يحصل على ضمانات أكبر, لأن الأمر حرج ولابد أن يذهب معهم فاحتاج إلى تعهدات أكبر من السابقة, وبما أن الحدث متشابه

---

79) يوسف 64/12.

وهو طلب خروج الأخ معهم لذا توجب الحذر والاحتراز، لأن المؤمن لا يلدغ من جحر مرتين, وفيه إرشاد لكل القيادات أن تتحسب لمثل هذا الأمر- لاسيما التي لا يوحى إليها- فهي لابد أن تتخذ ما يلزم لضمان ألا يتكرر نفس الخطأ.

قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ وَجَدُوا بِضَاعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا يَاأَبَانَا مَا نَبْغِي هَذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ذَلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ (٦٥) قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّى تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ لَتَأْتُنَّنِي بِهِ إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ (٦٦)﴾[80].

حينما رجع إخوة يوسف (υ) إلى أبيهم فتحوا متاعهم فوجدوا أن ثمن ما اشتروا من الملك موجوداً في رحالهم, وهو قد ردَّ إليهم بأمر من سيدنا يوسف (υ) إذ قال لفتيانه ردوا إليهم بضاعتهم واجعلوها في رحلهم, وكان هذا الفعل دافعاً لهم للعودة إلى الملك, لأنه بالغ في إكرامهم, لذلك من باب الوفاء أن يرجعوا إليه, وكذلك أخذوا يراودون أباهم على ذهاب بنيامين معهم إيفاءاً للملك, وطمعاً في زيادة الميرة لأنه ستكون لبنيامين حصة إضافية معهم تنفعهم في هذه المحنة, فكان جواب سيدنا يعقوب (υ): ﴿قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّى تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ لَتَأْتُنَّنِي بِهِ إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾. هنا بدأ الكلام العملي من سيدنا يعقوب (υ)، وهو الموافقة المشروطة على إرسال بنيامين معهم, وفيها لمسات قيادية كبيرة من سيدنا يعقوب (υ) نشير إلى شيء منها:

---

80) يوسف, 12/65- 66.

أولاً : ومن الآية الكريمة نلاحظ أن سيدنا يعقوب (υ) تغيرت نظرته تجاه أولاده, فأصبح يثق بهم أكثر من السابق خصوصاً بعد ما رأى صدق حديثهم عن الملك وإكرامه لهم, وثبت صدق حديثهم برجوع البضاعة معهم وأن سيدنا يوسف (υ) صاحب الميرة طلبه حقاً, لذلك طلب منهم سيدنا يعقوب (υ) أن يشكروا الملك نيابة عنه.

ودليل ثقته بأولاده أنه وافق على ذهابه معهم وإن كان هذا بشروط لكنه حصل, وهذا التعامل نلاحظ أنه صدر من سيدنا يعقوب (υ) بعد أن تأكد من صدقهم، فاستوجب ذلك أن يعطي مرونة في التعامل, وهذا يرشد القيادات عامة إلى دعم بوادر الإصلاح الذاتي لدى الأفراد, وعدم التمسك بالمواقف المتشنجة إذا ثبت التغيير نحو الأفضل من الشخص المقابل أو الدول فهي حكمة عامة.

ثانياً: عدم إهمال الضمانات المطلوبة للحفاظ على ما هو ثمين, وهذا مافعله سيدنا يعقوب (υ), إذ تأكد من صدق مقالهم, ومن ثم أخذ عليهم عهد الله تعالى, وهذا الإجراء قد يكون كافياً في تلك المرحلة, ولربما رأى منهم تحسناً في إصلاح أنفسهم, وصدقاً منهم في التوجه إلى الله تعالى، بدليل أنه اكتفى بأخذ الميثاق منهم أن لا يرجعوا من دونه حتى يغلبوا أو يهلكوا جميعاً.

يقول الطبري: يقول تعالى ذكره: قال يعقوب لبنيه: لن أرسل أخاكم معكم إلى ملك مصر(حتى تؤتون موثقًا من الله)، يقول: حتى تعطون موثقًا من الله بمعنى"الميثاق"، وهو ما يوثق به من يمينٍ وعهد (لتأتنني به) يقول لتأتنني بأخيكم (إلا أن يحاط بكم) ، يقول: إلا أن يُحيط بجميعكم ما لا تقدرون معه على أن تأتوني به".[81]

81) الطبري, *جامع البيان عن تأويل آي القرآن*, 163/16.

وكأنه حذرهم أن حياتهم مرتبطة بسلامة بنيامين, وهذه الإجراءات الاحترازية والضمانات تنم عن حنكة قيادية كبيرة يمتلكها سيدنا يعقوب (υ), وفيها درس عظيم لكل الإدارات المدنية والقيادات العسكرية, فهي مطالبة بأخذ كل ما يلزم من إجراءات وضمانات للحفاظ على كل ما له أهمية.

ثالثاً : القراءة السليمة لنفوس أولاده مكنت سيدنا يعقوب (υ) من اتخاذ القرار السليم, لما التمس فيهم من الصلاح, وعرف أن حقدهم على بنيامين لم يكن كحقدهم على يوسف (υ) فوافق على ذهابه معهم, يقول علاء الدين الخازن في ذلك: "وإنما أرسله معهم وقد شاهد ما فعلوا بيوسف لأنه لم يشاهد فيما بينهم وبين بنيامين من الحقد والحسد مثل ما كان بينهم وبين يوسف، أو أن يعقوب شاهد منهم الخير والصلاح لما كبروا، فأرسله معهم أو أن شدة القحط وضيق الوقت أحوجه إلى ذلك"[82].

ولم يهمل فيهم هذا الجانب من الصلاح, وأنما جعل الله تعالى وكيلاً على أقوالهم في نهاية الآية لينمي إحساس الرقابة الألهية في نفوسهم, فقال لهم: ﴿اللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾ لأنه رأى أن جهوده في تحسين صلتهم بخالقهم قد أثمرت, فجعل الضمانة في سلامة بنيامين هي العهد أمام الله تعالى الوكيل على أقوالهم, فالقراءة السليمة للشخصية تمكن القائد أو المسؤول من اتخاذ القرار الصائب في التعامل والتكيف مع الأحداث.

82) الخازن, *لباب التأويل في معاني التنزيل*, 539/2.

قوله تعالى :﴿وَقَالَ يَابَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ (٦٧) وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ مَا كَانَ يُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِمَا عَلَّمْنَاهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٦٨)﴾[83].

بعد أن أخذ سيدنا يعقوب (υ) العهد من أولاده أمام الله تعالى أن يحافظوا على بنيامين انتقل إلى إجراءات الحماية الأخرى, وهي إجراءات لا تخرج عن الشرع الحكيم, فمنها إجراءات عملية ومنها ذات تأثير نفسي, نذكر منها:

أولاً: استخدام الألفاظ التي من شأنها أن تبعث روح الأخوة الحقيقية, وترسل رسائل اطمئنان لجميع الأولاد أنهم على مرتبة واحدة من المحبة في قلب سيدنا يعقوب (υ), يظهر ذلك بقوله (يابَني) فهذه اللفظة تحمل من المعاني الكثير, ولها تأثيرات إيجابية في نفوس الأخوة, فهي تشعرهم أنهم على مسافة واحدة من قلب أبيهم, وتزيل الضغينة والحسد فيما بينهم, وهي رسالة جميلة من سيدنا يعقوب (υ) للجميع وفي كل زمان أن يحرصوا على انتقاء الكلمات المعبرة التي تجمع بين الفرقاء حين مخاطبتهم.

ثانياً: الأخذ بجميع الأسباب التي من شأنها أن تحافظ على سلامتهم, فقد أرشد بنيه أن لايدخلوا من باب واحد, وإنما من أبواب متفرقة خشية عليهم من أعين الناس,

وجاء في مدارك التنزيل وحقائق التأويل للنسفي: "(وَقَالَ يا بَنِي لَا تَدْخُلُواْ مِن بَابٍ وَاحِدٍ وادخلوا مِنْ أَبْوَابٍ مُّتَفَرّقَةٍ) الجمهور على أنه خاف عليهم العين لجمالهم وجلالة أمرهم، ولم يأمرهم بالتفرق في الكرة الأولى لأنهم كانوا مجهولين في الكرة الأولى- فالعين حق عندنا- و وجهه بأن

83) يوسف 67/12 , 68.

يحدث الله تعالى عند النظر إلى الشيء والإعجاب به نقصاناً فيه وخللاً وكان النبي (ε) يعوذ الحسن والحسين (رضى الله عنهما) فيقول أعيذكما بكلمات الله التامة من كل هامة ومن كل عين لامة، وأنكر الجبائي العين وهو مردود بما ذكرنا، وقيل: إنه أحب أن لا يفطن بهم أعداؤهم فيحتالوا لإهلاكهم (وَمَا أُغْنِي عَنكُمْ مّنَ الله مِن شَىْء)، أي إن كان الله أراد بكم سوءاً لم ينفعكم ولم يدفع عنكم ما أشرت به عليكم من التفرق وهو مصيبكم لا محالة (إِنِ الحكم إِلاَّ للَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ المتوكلون)، التوكل تفويض الأمر إلى الله تعالى والاعتماد عليه"[84].

وهي رسالة لكل من يتصدى للمسؤولية أن لايهمل شيئاً من شأنه الحفاظ على سلامة الأفراد.

ثالثاً: التكرار المستمر لأساسيات العقيدة السليمة التي تعيد صدق التوكل على الله جل وعلا, وأنهم وإن أخذوا بالأسباب فإن الحكم الأول والأخير سيكون لله جل وعلا, لذلك قال لأولاده: ﴿وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ أي عليكم بأخذ أسباب السلامة, وإذا أراد الله تعالى أمراً فالحكم له سبحانه, عليه توكلت وهو يهديني للحفاظ عليكم, وأنتم أيضاً توكلوا عليه في جميع أموركم, وبالتالي حدث ما أراده الله سبحانه, حيث اتهموا بسرقة صواع الملك, واحتجز أخاهم المتهم بالسرقة, وسرى أمر الله تعالى وتدبيره, فلم يغنِ عنهم حرص أبيهم أمام إرادة الله تعالى, سوى حاجة في نفس يعقوب قضاها وهي الخوف عليهم من الحسد لكثرتهم وجمالهم, وهذا يدعو القيادات المسلمة إلى أن يحذوا حذو سيدنا يعقوب (υ) في سعيه الحثيث لغرس العقيدة السليمة وتقويتها في نفوس جميع من هم دونهم.

84) عبد الله بن أحمد بن محمود أبو البركات حافظ الدين النسفي (ت 710هـ), *مدارك التنزيل وحقائق التأويل*, حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي, بيروت، دار الكلم الطيب، ط1، 1998م, 123/2.

رابعاً: يشيد الله تعالى بسيدنا يعقوب (υ) بأنه ذو علم, وهذا العلم منبعه من الباري جل وعلا, وهذه الإجراءات قد تكون جزءاً مما علَّمه الله تعالى, وباقي الأحداث قد لا يكون على علم بها, وإنما هي من تدبير الله تعالى, كالطريقة التي سوف يلتقي فيها بيوسف (υ) وغيرها من الأمور, وإنما عمل بما يعلم, فسيدنا يعقوب (υ) يعرف أنه سيلتقي بسيدنا يوسف (υ) من خلال رؤياه التي أولها له, لكنه لا يعلم الكيفية أو الطريقة التي سيحصل فيها اللقاء, لذلك أمر أولاده أن لا يدخلوا من باب واحد, وإنما يدخلوا من أبواب متفرقة, وهي الحاجة التي في نفس يعقوب فقضاها والله أعلم, لأنه أراد من أولاده أن يتفرقوا عسى أن يعثروا على يوسف (υ) في طريقهم لأنه متيقن أنه حي.

فقد جاء في غرائب التفسير وعجائب التأويل قوله في تفسير قول الله تعالى: ﴿وَقَالَ يَابَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ﴾، قال: "الأكثرون على أنه خاف عليهم العين، وكانوا ذوي هيبة وجمال, وقيل: خاف عليهم أن يبلغ الملك قوتهم وشدة بطشهم فَيهُمَّ بهم شراً خوفاً على مملكته, الغريب: قال ذلك رجاء أن يلقوا يوسف"[85].

وفي ذلك درس لكل من وكل إليه شيء من أمر الناس أن يتخذ كل ما يلزم من تحسبات وفقاً لما يعلم, أو وفقاً لما لديه من تعليمات, ولا يغفل عن شيءٍ منها, ومن ثم يتوكل على الله تعالى فيما لم يدركه علمه أو بصيرته.

85) محمود بن حمزة بن نصر أبو القاسم برهان الدين الكرماني, ويعرف بتاج القراء (ت 505هـ), *غرائب التفسير وعجائب التأويل*, جدة، دار القبلة للثقافة الإسلامية, بيروت، مؤسسة علوم القرآن، د.ط, 544/1.

قوله تعالى: ﴿ارْجِعُوا إِلَى أَبِيكُمْ فَقُولُوا يَاأَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ (٨١) وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ (٨٢) قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (٨٣)﴾[86].

بعد أن وصل أبناء يعقوب (υ) إلى مصر أخذ سيدنا يوسف (υ) بتدبير أمر ما كي يبقي على أخيه معه, فأمر بوضع صواع الملك في رحل أخيه, ثم نودي بهم إنكم لسارقون, وكان السارق في عهدهم يؤخذ بسرقته, ففتشت أوعية إخوة يوسف (υ) وترك وعاء أخيه بنيامين آخر من فتش, فاستخرج صواع الملك من وعاء بنيامين فاستبقاه عنده, لأنه جزاء من وجد الصواع في رحله, فإنه يؤخذ بجريرته ويستعبد, فلما دهمتهم هذه المصيبة قال كبيرهم إنكم أعطيتم أباكم عهداً في الحفاظ على بنيامين وعدم التفريط به كما فرطتم بيوسف, فرفض الرجوع معهم حتى يأذن أباه بذلك أو يجد حيلة ينقذ فيها أخاه من يد الملك فقال الله تعالى حكاية عنهم: ﴿فَلَمَّا اسْتَيْأَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ وَمِنْ قَبْلُ مَا فَرَّطْتُمْ فِي يُوسُفَ فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ (٨٠)﴾[87], ثم قال لهم ارجعوا إلى أبيكم واذكروا له ماحصل, وأنتم صادقون في ذلك, وإن ابنك قد سرق أو اتهم بالسرقة, وما تكلمنا إلا بما شهدنا, واسئل القرية التي كنا فيها, والعير التي أقبلنا فيها، وتأكد من صدق حديثنا, وما كنا حافظين للغيب, فهو أمر خارج إرادتنا, ففعلوا مثل ماقال لهم كبيرهم.

---

86) يوسف 12/81, 82, 83 .

87) يوسف 12/80.

قال الخازن: "ارْجِعُوا إِلى أَبِيكُمْ يعني يقول الأخ الكبير الذي عزم على الإقامة بمصر لإخوته الباقين، ارجعوا إلى أبيكم يعقوب فَقُولُوا له يا أَبانا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ، إنما قالوا هذه المقالة ونسبوه إلى السرقة لأنهم شاهدوا الصواع وقد أخرج من متاع بنيامين فغلب على ظنهم أنه سرق، فلذلك نسبوه إلى السرقة في ظاهر الأمر لا في حقيقة الحال، ويدل على أنهم لم يقطعوا عليه بالسرقة، وقولهم: وَما شَهِدْنا إِلَّا بِما عَلِمْنا، يعني ولم نقل ذلك إلا بعد أن رأينا إخراج الصواع وقد أخرج من متاعه، وقيل معناه ما كانت منا شهادة في عمرنا على شيء إلا بما علمناه، وهذه ليست بشهادة إنما هو خبر عن صنيع ابنك أنه سرق بزعمهم "[88].

فأجابهم سيدنا يعقوب (υ): ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ وهذا القول تكرر مرة أخرى من سيدنا يعقوب (υ), إذ ذكر في المرة الأولى حينما أخبر بفقدان يوسف (υ), والثانية ذكرها حينما أخبر بخبر بنيامين, فقوله: ﴿بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا﴾ لابد أن تكون لكل واحدة منها قصداً يختلف عن الآخر, فالأول واضح أنهم أرادوا التخلص من يوسف (υ), وذكرها في المرة الثانية ربما أراد به سيدنا يعقوب (υ) أنكم حكمتم على أخيكم بهوى النفس, وجعلتم جزاء السرقة هو الاستعباد, وعلّمتم بذلك الملك, فحكمتم على أخيكم بجهلكم, وهو ماسولت لكم به أنفسكم. وجاء في الكشاف للزمخشري قال: "معناه: فرجعوا إلى أبيهم فقالوا له ما قال لهم أخوهم فـ (قالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً) أردتموه, وإلا فما أدرى ذلك الرجل أنّ السارق يؤخذ بسرقته لولا فتواكم وتعليمكم"[89].

وأهم مايستفاد من التعليمات القيادية التي يقدمها سيدنا يعقوب في قوله تعالى: ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾[90].

---

88) الخازن, *لباب التأويل في معاني التنزيل*, 548/2 .

89) الزمخشري, *الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل*, 496/2 .

90) يوسف 83/12 .

أولاً : نلاحظ أن التوبيخ اختلف هذه المرة عن سابقتها حينما فقد سيدنا يوسف (υ), فقد احتوى في الأولى على ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾[91]، أي شعر بكذبهم واستعان بالله تعالى على افترائهم, أما في هذه المرة حين فقد بنيامين بهذه الطريقة فإنه اكتفى بقوله ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾، وخلت الجملة من ﴿وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾، لأن الأمر مختلف هذه فقد تحسنت الثقة بين سيدنا يعقوب (υ) وأولاده, وشعر بصدقهم, وإنما وبخهم على استعجالهم في طرح رأيهم في جزاء السارق, فكان الغضب والتوبيخ على قدر تقصيرهم وهو ما ننصح به كل من يقود أو يدير أمور الناس أن لا يحملهم أكثر مما قصروا فيه.

ثانياً: ضرورة بيان وجه التقصير للمقصر كما فعل سيدنا يعقوب (υ) إذ بين لهم في كل حالة هوى أنفسهم, وكذلك يجب أن يفعل من بيده محاسبة الناس أن يبين لهم وجه التقصير, أو يبين لهم الجرم الذي اقترفوه, فذلك يساعد على تقبل العقوبة, وكذلك يساعد المقصر على إصلاح ما قصر فيه ومعالجته في المستقبل.

ثالثاً: عدم الاستعجال في اتخاذ القرارات المصيرية, لذلك نجد عند كل حدث عظيم أو مصيبة استخدام الصبر الجميل من قبل سيدنا يعقوب (υ), فالصبر يساعد على اتضاح الأمور مع مرور الوقت, وكذلك يمهد لصدور قرارات مناسبة وغير متهورة في الزمن المناسب, وهذا مايميز سيدنا يعقوب (υ) في كل موقف أو مصيبة حلت به, ولاسيما إذا كان يعلم أن هذا من تدبير الله تعالى, لذلك قال: ﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾.

---

91) يوسف 18/12.

قوله تعالى: ﴿وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَاأَسَفَا عَلَى يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ (٨٤) قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ (٨٥) قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٨٦) ﴾[92].

بعد أن كثرت المصائب على سيدنا يعقوب (ʊ) بفقدان أولاده علم أن الله تعالى لن يتركه على هذه الحال, وأن الأمور كلما ضاقت أكثر كلما قرب وقت انفراجها, وعسى الله تعال أن يجمعه بجميع أولاده, ثم تولى عن أولاده حزناً على ماحل به وبهم, وأخذ يذكر مصيبته الأولى بفقد سيدنا يوسف (ʊ), فقد ابيضت عيناه من كثرة بكائه وحزنه على يوسف (ʊ), فهو يكظم حزنه على يوسف ويكظم غضبه على أولاده, قال الزمخشري:

"ولأنّ الرزء في يوسف (ʊ) كان قاعدة مصيباته التي ترتبت عليها الرزايا في ولده، فكان الأسف عليه أسفاً على من لحق به وَابْيَضَّتْ عَيْناهُ إذا كثر الاستعبار محقت العبرة سواد العين وقلبته إلى بياض كدر. قيل: قد عمى بصره. وقيل: كان يدرك إدراكا ضعيفاً. قُرأ من الحزن, ومن الحزن، الحزن كان سبب البكاء الذي حدث منه البياض، فكأنه حدث من الحزن[93].

واحتوت الآيات الكريمة السابقة على الكثير من المزايا القيادية التي سطرها سيدنا يعقوب (ʊ)، منها:

أولاً: الابتعاد عن كل ما يؤثر على اتخاذ القرار الصائب وخاصةً الغضب, فقد وصف الله تعالى سيدنا يعقوب (ʊ) بأنه (كظيم) حيث كظم غيضه على أولاده, يقول مرتضى الزبيدي في معنى (كَظَمَ) قال:" (كَظَمَ غَيْظَهُ يَكْظِمُه) كَظْمًا: اجترعهُ, وقِيلَ: (رَدَّهُ وحَبَسَهُ) واحْتَمَلَ

92) يوسف 12/84- 86 .

93) الزمخشري, *الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل*, 2/497.

سَبَبَه، وصَبَر عَلَيْهِ، وَهُوَ مَجاز، مأْخُوذٌ من كَظَمَ البَعيرُ الجِرَّة"[94] , واختار الابتعاد والإعراض عنهم، كما أخبر الباري عنه بقوله ﴿وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَاأَسَفَا عَلَى يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾، وفيه دلالة على أن الابتعاد عن مصدر الغضب يساعد على كظم الغيض وعدم انفجار الأمور.

ثانياً: الإصرار على ذكر سيدنا يوسف (υ) بعد كل هذه المدة الطويلة على فقدانه يدل على أن سيدنا يعقوب (υ) يملك أدلةً يقينية على وجوده حياً, وأكثر ما ثبَّت سيدنا يعقوب (υ) وصبَّره على فقد يوسف (υ) هو رؤيا سيدنا يوسف (υ) التي عرف سيدنا يعقوب (υ) من خلالها أنه سيلتقي به, وأنه سيسجد له, وذكر ابن كثير ذلك فقال:"عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: {وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ} يَعْنِي رُؤْيَا يُوسُفَ أَنَّهَا صِدْقٌ وَأَنَّ اللَّهَ لَا بُدَّ أَنْ يُظْهِرَهَا وَيُنْجِزَهَا. وَقَالَ الْعَوْفِيُّ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: {وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ} أَعْلَمُ أَنَّ رُؤْيَا يُوسُفَ صَادِقَةٌ، وَأَنِّي سَوْفَ أَسْجُدُ لَهُ "[95], وهذا يرشد القادة إلى الثبات على الحقائق وإن طالت المدة, لأن كثرة الأحداث وتراكماتها وطول مدة الانتظار لم تغير من اعتقاد سيدنا يعقوب (υ) بالله تعالى, فلم يفقد الأمل لآخر لحظة, لأن المتعهد باللقاء هو الله تعالى, لذلك حصل اللوم له ممن حوله لكثرة ذكره ليوسف (υ)، قَالُواْ: ﴿قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ﴾ أي أن كثرة ذكرك ليوسف (υ) أمرضك وأذاب لحمك وقد تكون من الهالكين, فقد جاء في كتاب الطراز لأسرار البلاغة وعلوم الكتاب قوله:" (قالُوا تَاللَّهِ تَفْتَؤُا

---

94) محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى الزَّبيدي (ت 1205هـ), *تاج العروس من جواهر القاموس*, المحقق: مجموعة من المحققين, دار الهداية, د,ط, 362/33.

95) ابن كثير, تفسير القرآن العظيم, 406/4.

تَذْكُرُ يُوسُفَ) أراد لا تفتأ ومعناه لا تزال، فحذفت توسعا وإيجازا وهى مرادة "[96] , فهذا درس عظيم من الثبات على ما يعلمه من الله تعالى لكل من يفقد الأمل بسهولة، وينسى ما وعد الله تعالى به عباده من الرعاية والتدبير.

ثالثاً: ضرورة دفع الظنون التي قد تظهر القائد أو المسؤول بموقف الضعف أو الجزع, وهو ما فعله سيدنا يعقوب (υ) مع أولاده حينما تولى عنهم وأخذ يتأسف على ولده, فبين لهم أن البث والحزن موجه إلى الله تعالى وليس إلى بشر، ﴿ قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾، أي لا تعتقدوا أني أشكو ما بليت به من الله تعالى إلى أحد غيره, وإنما على العبد أن يتوجه في جميع أحواله إلى خالقه, والبث هو أشد أنواع الحزن, بيَّن معنى كلمة البث أبو حيان الأندلسي فقال: "البث: أشد الحزن، لا يصبر عليه صاحبه حتى يبثه، أي: يشكوه"[97], والفرق كبير بين أن تشكو من الله وبين أن تشكو إلى الله تعالى.

فبيان النية لمن هو أدنى في المسؤولية قد يكون ضرورياً لتصحيح الظنون, خصوصاً إذا كان ذلك العمل يعكس مسألة صدق التوجه والتوكل، حتى لا تفسر الأمور على غير ما هي عليه, فسيدنا يعقوب (υ) لم يكتفي ببيان نيته في توجيه بثه وحزنه وإنما أخبر أولاده بأنه يعلم أشياء من الله تعالى لايعلمونها هم, فلا بأس أن يظهر المسؤول بعض ما لديه من معلومات إذا كان ذلك يدفع عنه الشبهات ويزيد من ثقة موظفيه فيه, شريطة أن لايتسبب ذلك بخلل قانوني أو

---

96) يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم، الحسيني العلويّ الطالبي الملقب بالمؤيد بالله (ت ٧٤٥هـ), *الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز*, الناشر: المكتبة العنصرية – بيروت, ط1, 1423هـ,59/2.

97) محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين أبو حيان الأندلسي (ت 745هـ), *تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب*, المحقق: سمير المجذوب, المكتب الإسلامي, ط1, 1983م, ص62.

شرعي, وقد يكتفي بالتلميح لتلك المعلومات دون ذكرها كما فعل سيدنا يعقوب (υ) حيث اكتفى بقوله: ﴿وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾.

قوله تعالى: ﴿يَابَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾[98].

بعد أن أخبر سيدنا يعقوب (υ) أولاده بأنه يعلم من الله ما لا يعلمون اتضح شيء من ذلك العلم, وهو علمه بوجود سيدنا يوسف (υ) حياً, لأنه قال لهم: ﴿يَابَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾، فطلب منهم التقصي عن يوسف (υ) إضافة إلى أخيه مع أن المشكلة كانت تخص ولده بنيامين, والتحسس يكون في الخير, أما التجسس فيكون في الشر, يقول ابن كثير في تفسيره :

" يَقُولُ تَعَالَى مُخْبِرًا عَنْ يَعْقُوبَ (υ)، إِنَّهُ نَدَبَ بَنِيهِ عَلَى الذَّهَابِ فِي الْأَرْضِ، يَسْتَعْلِمُونَ أَخْبَارَ يُوسُفَ وَأَخِيهِ بِنْيَامِينَ, وَالتَّحَسُّسُ يَكُونُ فِي الْخَيْرِ، وَالتَّجَسُّسُ يُسْتَعْمَلُ فِي الشَّرِّ, ونَهّضهم وَبَشَّرَهُمْ وَأَمْرَهُمْ أَلَّا يَيْأَسُوا مِنْ رُوحِ اللَّهِ، أَيْ: لَا يَقْطَعُوا رَجَاءَهُمْ وَأَمَلَهُمْ مِنَ اللَّهِ فِيمَا يَرُومُونَهُ وَيَقْصِدُونَهُ فَإِنَّهُ لَا يَقْطَعُ الرَّجَاءَ، وَيَقْطَعُ الْإِيَاسَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ "[99].

ومن تلك الآية الكريمة يهدينا سيدنا يعقوب (υ) شيئاً من قدراته القيادية العظيمة, لذلك وجب أن نعرج على شيء منها:

---

98) يوسف 87/12.

99) ابن كثير, *تفسير القرآن العظيم*, 348/4 .

أولاً: تجديد الثقة الدائم بين سيدنا يعقوب (υ) وبين أولاده وذلك باستخدام الألفاظ التي تبث روح المحبة والوحدة بين الأخوة, وذلك بقوله (يا بَني اذهبوا) فلفظة (يا بَني) تفيد بأنكم جميعاً أولادي وأنكم جميعاً محبوبون لدي ولا فرق بين أحدٍ منكم في الود, فتزول الفوارق بينهم ويذهب كيد أنفسهم وكيد الشيطان, وكذلك حثهم على التحرك الجماعي لمعالجة ما يعرض لهم من مشكلات, لأن العمل الجماعي يزيل الكثير من غوائل النفوس, ويساعد على فهم الناس بعضهم البعض, ويشعر الجميع بأهميتهم، لأنهم جميعاً يسعون لتحقيق هدف واحد, وكذلك كل من يقود عائلته أو مجتمعه عليه أن يجمع ولا يفرق, وأن يحث دوماً على العمل الجماعي, لأن في الوحدة قوة تثمر نتائجها فتنفع الجميع.

ثانياً: تراكم المصائب أطمع سيدنا يعقوب (υ) بالفرج القريب, لذلك طالب بنيه بالذهاب للتحسس وطلب أخبار يوسف (υ) مع أن المشكلة كانت هي احتجاز بنيامين, فقد ذكر سيدنا يوسف أولاً ثم أخاه ثانياً, وهذا العلم من الله تعالى والثقة واليقين أن الله تعالى سيحقق رؤيا سيدنا يوسف (υ) وسيحدث اللقاء بالطريقة التي أرادها الله تعالى وأشارت إليها تلك الرؤيا, إذ فهم منها سيدنا يعقوب (υ) أنه حين اللقاء سيكون يوسف (υ) ذو مرتبة ومكانة عالية دل عليها السجود له، لأن السجود في ذلك الزمان يكون للملك أو من دونه من الوزراء، وهو سجود تحية لذلك وجب على كل القيادات أن تتمسك بالثوابت اليقينية وعدم التفريط بها خصوصاً إذا كانت بإشارة من الله تعالى كالرؤيا الصالحة يراها المؤمن أو ترى له, أو في الشرع نصاً أو دليلاً يشير إليها فيقدم ماكان من الله تعالى على ماسواه, وعدم اليأس وإن طالت المدة, لأن اليأس من صفات القوم الكافرين, وجاء في تفسير أبي السعود قوله:" {وَلَا تيأسوا من رَوْح الله} لا تقنَطوا من فرجه وتنفيسه وقرىء بضم الراء أي من رحمته التي يُحيي بها العبادَ، وهذا إرشادٌ لهم إلى بعض ما أُبهم في قولِه وأعلم من الله

ما لاتَعْلَمُونَ، ثم حذرهم عن ترك العمل بموجب نهيه بقوله:{إنه لا ييأس مِن رَّوْحِ الله إِلَاّ القوم الكافرون} لعدم علمِهم بالله تعالى وصفاتِه، فإن العارفَ لا يقنط في حالٍ من الأحوالِ"[100].

قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ (٩٤) قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ (٩٥) فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٩٦)﴾[101].

بعد أن رجع إخوة يوسف (ʊ) ليتحسسوا من يوسف وأخيه (عليهما السلام) كما أمرهم يعقوب (ʊ) دخلوا على سيدنا يوسف (ʊ) فشكوا إليه الحال, وأنهم مسهم الضر وجاءوا ببضاعة مزجاة, وطلبوا منه أن يوفيهم الكيل ويتصدق عليهم بأن يقبل بضاعتهم البسيطة, فقال لهم: ﴿قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ (٨٩) قَالُوا أَإِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (٩٠) قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ (٩١) قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (٩٢) اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ (٩٣)﴾[102]. فحينما سمع شكايتهم قال لهم هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه حينما كنتم جاهلين, وقيل أن سيدنا يعقوب (ʊ) حمَّلهم رسالة إلى الملك يشرح فيها حاله مع أولاده وما مسهم من الضر.

---

100) محمد بن محمد بن مصطفى أبو السعود العمادي (ت 982 ه), *إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم*, بيروت، دار إحياء التراث العربي، 302/4.

101) يوسف 12/94- 96.

102) يوسف 12/ 89- 93.

فلما سمع الشكاية منهم ذكَّرهم بفعلهم بيوسف (υ), فقالوا: أنت يوسف؟ قال: أنا يوسف وهذا أخي قد منَّ الله علينا، إنه من يتق ويصبر فإن الله لايضيع أجر المحسنين, فبعد أن قبل عذرهم، قال لهم: اذهبوا بقميصي هذا فألقوه على وجه أبي يأت بصيراً, لأنه عرف أنه فقد بصره من الحزن, وأراد منهم أن يأتوا بأهلهم أجمعين, فلما فصلت العير- أي خرجوا من المدينة- قال يعقوب (υ) لمن عنده: إني لأجد ريح يوسف لولا أن تفندون, أي لولا أن تتهموني بالخرف وذهاب العقل, عند ذلك اعترض عليه من عنده بقولهم: (تالله إنك لفي ضلالك القديم)، أي: مازلت في لهجتك القديمة إذ تكثر من ذكر يوسف وتظن أنه حي, فلما جاء البشير ألقى قميص سيدنا يوسف (υ) على وجه أبيه فارتد بصيراً, عند ذلك أفحمهم سيدنا يعقوب (υ) حين جاء الدليل والبشير، فقال: ألم أقل لكم أني أعلم من الله ما لا تعلمون.

وأهم ما يميز موقف سيدنا يعقوب (υ) كقائد في هذه المرحلة:

أولاً: الإصرار الشديد من سيدنا يعقوب (υ) على ذكر سيدنا يوسف (υ) مع أن المشكلة كانت هي اتهام بنيامين بالسرقة واحتجازه عند الملك, يدل ذلك على قوة إيمانه بما عنده من ضمانات من الله تعالى بأن يوسف (υ) على قيد الحياة, وقد يكون تلقيه لتلك الضمانات عن طريق الوحي أو عن طريق الإشارات التي كانت تحملها رؤيا يوسف (υ), لأن سيدنا يعقوب (υ) كان دائماً ما يكرر قوله: (وأعلم من الله ما لا تعلمون)، ولكن هذه المرة حينما فصلت العير وخرجت من المدينة أصبح الأمر مختلف, فقد تحول العلم بالشيء إلى حقيقة, وبدأت الأمور تلتمس مادياً, فقد وجد ريح سيدنا يوسف (υ) .

لذلك فإن سيدنا يعقوب (υ) انتقل إلى مرحلة الكشف عما كان يعلم من الله تعالى, وهذا الكشف عن المعلومات جاء متزامناً مع كشف الحقائق من قبل سيدنا يوسف (υ) لإخوته, فلا ندري هل يكون هذا التوقيت لكشف الحقائق من قبل سيدنا يوسف وأبيه (عليهما السلام) عن طريق الصدفة أم عن علمٍ مسبق عن طريق الوحي، أم هو استلهام عن طريق الإشارة, لذلك شاء الله تعالى أن تكون شخصية سيدنا يعقوب (υ) غامضة في هذه الآية الكريمة, لأن أقواله وأفعاله متعلقة بمصدر علمه بوجود سيدنا يوسف (υ) حياً, فالأحداث تدل على شيءٍ خارق للعادة وهو استشعاره بريح سيدنا يوسف (υ) من مسيرة ثمان ليالٍ, ومن خلال اطلاعي على الكثير من التفاسير فيما يخص قوله تعالى على لسان سيدنا يعقوب عليه السلام: ﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ (٩٤)﴾، وجدت أن الجميع تكلموا على أن سيدنا يعقوب (υ) وجد ريح قميص سيدنا يوسف (υ) حينما فصلت العير وخرجت من عند الملك, والذي أراه والله تعالى أعلم أن الرائحة المقصودة هي رائحة الأخبار الطيبة ألقاها الله تعالى على قلب سيدنا يعقوب (υ), وإلا لو كان المقصود هو الرائحة الطبيعية للقميص فأين كانت قبل أن يعطيهم إياه يوسف (υ),لذلك استبعد الذين من حوله أن تأتي أخبار من سيدنا يوسف (υ) بعد هذه المدة فقالوا: (قَالُواْ تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ) لأنه كان يكثر من ذكر سيدنا يوسف (υ) ولم يذكر ريحه من قبل, وطلب من أولاده أن يتحسسوا من يوسف وأخيه بناءً على ما تحدث به أولاده عن كرم ورأفة هذا الملك بهم، لا عن وجود ريح قميص سيدنا يوسف (υ) والله تعالى أعلم, والذي يميز سيدنا يعقوب (υ) في هذه الآية الكريمة وينفع القيادات بصورة عامة هو الاحتفاظ بالمعلومات المهمة حتى يحين وقت الإفشاء بها، وهو الوقت المناسب الذي ينفع فيه

التحدث بها ولا يضر, لأن سيدنا يعقوب (υ) لم يتحدث بما يعلم حتى حضر أو علم بحضور الدليل، وهو البشير الذي جاء بقميص سيدنا يوسف (υ), فهذا يرشد القيادات إلى عدم تعريض أنفسهم إلى الاستهزاء أو الإحساس بالضعف إذا تحدثوا بالأشياء التي يستحيل حدوثها قبل أن يدعموا حجتهم أو قولهم بالدليل.

ثانياً: ربط جميع الأحداث بالمدبر الأول وصاحب العلم الأول وهو الله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾، فنسب العلم إلى الله تعالى في كل ما كان يقول من شأن يوسف (υ), وكذلك تذكيرهم بما كان يؤكد عليه من أمور، وكانوا ينكرونها عليه حتى يقودهم إلى ثقافة الاعتذار من الله تعالى أولاً ومن أبيهم ثانياً، وذلك بقولهم: ﴿قَالُوا يَاأَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ﴾، فربط جميع الأحداث بالله تعالى دفعهم إلى تقوية عقيدتهم بالله تعالى وثقتهم به لاسيما بعد حضور ما يثبت آراء سيدنا يعقوب (υ), لذلك طلبوا منه أن يستغفر لهم لأنهم انتقلوا إلى التعامل مع الله تعالى بعد أن كان تعاملهم مع أبيهم، وهذا ما كان يسعى إليه سيدنا يعقوب (υ)، وهو تصحيح عقيدة وتوكل أبنائه وربطهم بخالقهم وتزكية نفوسهم, وهو جل اهتمامه.

ونجاح سيدنا يعقوب (υ) في ذلك يدعو القيادات عامة إلى عدم اليأس من صلاح من هم ضمن مسؤوليتهم، والإصرار على القيم العالية وخصوصاً السماوية منها, وتذكيرهم بما كانوا يخفقون في تقديره من أحداث ليقوي بذلك ثقتهم فيمن يقودهم.

ثالثاً: الحرص على إشاعة ثقافة الاعتذار بين الأفراد, وكذلك ثقافة قبول الاعتذار, لاسيما إذا كان هذا الاعتذار من الخالق جل وعلا, إذ شعر إخوة يوسف (υ) بالتقصير والذنب, وأول من يستحق الاعتذار هو الله جل وعلا, يظهر ذلك بقولهم لأبيهم ﴿قَالُوا يَاأَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا

إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ (٩٧) قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٩٨)﴾، فطلبوا من أبيهم أن يستغفر لهم لأنه المتضرر الأول من خطأهم, فلا يمكن أن يغفر الله تعالى لهم إلا برضا أبيهم عنهم, فجاء الجواب من القائد المميز وصاحب الهدف والرسالة العظيمة بأنه سوف أستغفر لكم ربي, أي قَبل اعتذارهم, بل ذهب إلى أكثر من ذلك إذ بشرهم بأن الله هو الغفور الرحيم, أي: سيقبل اعتذاركم أيضاً.

فلم يكن هم سيدنا يعقوب (υ) الانتقام أو الانتصار للنفس, وإنما همه مرضاة الله تعالى وتبليغ دعوته, وربط الخلق بخالقهم, وهي بشرى لكل مذنب أن لا يقنط من رحمة الله, فقد جاء في التفسير المظهري قوله:" قال محمّد بن إسحاق اشتمل فعلهم على جرائم من قطيعة الرحم وعقوق الوالد وقلة الرأفة بالصغير الّذي لا ذنب له والغدر بالامانة وترك العهد والكذب مع أبيهم- وعفا الله عنهم ذلك كله حتّى لا ييئس من رحمة الله أحد-" [103]. وهي دعوة لكل من ولي من أمر المسلمين شيئاً أن يرحم صغيرهم ويوقر كبيرهم ويعفوا عن مسيئهم, لأن ثقافة الاعتذار وقبول الاعتذار من شأنها أن تجمع وتوحد الأفراد والجماعات والدول أيضاً.

2.2. المبحث الثاني: قيادة سيدنا يوسف (υ) وأهم ما يميزها.

يعد سيدنا يوسف (υ) القيادة الرئيسة التي وردت في سورة يوسف, فقد سميت السورة باسمه, وتدور أحداث السورة كلها حول هذه الشخصية, وقد امتدحه رسول الله صلى الله عليه وسلم في

---

103) محمد ثناء الله المظهري, *التفسير المظهري*, المحقق: غلام نبي التونسي, مكتبة الرشدية – الباكستان, ط1412,1هـ, 144/5.

الحديث الشريف, عن ابن عمر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:" الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحاق بن إبراهيم خليل الله "[104]. وامتدحه أيضاً في الحديث المروي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال:" قيل يارسول الله من أكرم الناس ؟قال أتقاهم, قالوا ليس عن هذا نسألك, قال: فيوسف نبي الله ابن نبي الله ابن خليل الله, قالوا: ليس عن هذا نسألك, قال: فعن معادن العرب تسألوني؟ خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا "[105].

وسنخوض في هذا المبحث في شخصية سيدنا يوسف (υ) كقائد يستلهم منه القائد أو المسؤول العام في إدارة شؤون الناس كيفية التعامل مع القريب والبعيد, وكيفية التعامل بحكمة وعلم وخاصة في المجتمع المتعدد الأديان, لأن سلوك سيدنا يوسف (υ) بالتالي هو سلوك بشري فيه من العلم والحكمة الشيء الكثير والراقي الذي ينفع من يأخذ ويعمل به, لأنه يحمل نكهة نبوية وربانية, لِمَ لا ونحن نتحدث عن أحسن القصص كما سماها الله تعالى.

وسنستعرض الآيات التي تحدثت عن سيدنا يوسف (υ) في السورة، ونتحدث عن أهم ما يميز شخصيته القيادية فيها وبالترتيب, راجياً من الله تعالى التوفيق في الطرح والرأي.

قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَاأَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ (٤) ﴾[106].

---

104) صحيح *البخاري*,كتاب الأنبياء, باب قوله تعالى لقدكان في يوسف, ر (3390), 151/4.

105) صحيح *مسلم*, باب فضائل يوسف عليه السلام,ر (2378), ص1846, وعند البخاري,كتاب الأنبياء, باب قوله تعالى (لقدكان في يوسف وإخوته), ر (3383), 149/4.

106) يوسف 12/ 4 .

من هنا بدأت أحداث قصة هي أحسن القصص كما سماها الله تعالى, وبدأ معها ظهور شخصية القائد الفذ والحكيم من صغره, فقد اختاره الله تعالى ليكون نبياً وقائداً يضرب الله تعالى به المثل للأمم من بعده, ويحكيه قرآن يتلى إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها, ورؤياه هي أول رؤيا تحدث عنها الباري جل وعلا في القرآن الكريم من حيث ترتيب النزول.

نستلهم من هذه الآية الكريمة أهم ما يميز هذا القائد:

أولاً: إن عناية الله تعالى لهذا القائد كانت ترافقه منذ الصغر, فقد جاء في تفسير زاد المسير في علم التفسير قوله: "وفي سن يوسف (υ) لما رأى هذا المنام ثلاثة أقوال: أحدها: سبع سنين، والثاني: اثنتا عشرة سنة، والثالث: سبع عشرة سنة"[107]. وهذا يدل على مدى علاقة سيدنا يوسف (υ) بربه جل وعلا, فهو معه منذ الصغر, وأعطاه إشارات وعلامات على ما سيواجهه في المستقبل حتى لا يفاجىء بشيء, وقد وصلت تلك الإشارات لسيدنا يوسف (υ) عن طريق الرؤيا الصالحة ثم عن طريق الوحي فيما بعد, فبشره بالرفعة وعلو الشأن, فأعلمه بالنتيجة قبل البلاء ليكون صابراً محتسباً واثقاً من وجود الله تعالى معه في جميع أحواله, وهذا ما ينصح به كل من يتولى شيئاً من أمر الناس أن يصلح ما بينه وبين الله تعالى حتى يحظى بالعناية والتمكين والتوجيه الرباني لفعل الصواب, فمعية الله تعالى لا تنحصر بفرد معين, فالله تعالى قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾[108], أي أن تأييد الله تعالى

---

107) ابن الجوزي, *زاد المسير في علم التفسير*, 413/2 .

108) النحل 128/16.

ونصره وعنايته ستكون من نصيب المتقين, وهذا ممكن لكل من يسعى لتحقيق التقوى والإحسان.

ثانياً: التربية الدينية الصالحة آتت أُكلها وظهرت جلية في سلوك سيدنا يوسف (υ), إذ سارع بإخبار والده سيدنا يعقوب (υ), فقد تصرف بأدب بالغ في عدم كتمان ما يعترضه في حياته وإن كانت مناماً, وهذه من الصفات المهمة لدى سيدنا يوسف (υ), لأن إعلام من هو أعلى منه في القيادة يجعل المسؤول الأعلى على بصيرة من أمره، وقد يعينه في إدارة أموره ويرشده إلى الصواب. وهو مافعله سيدنا يعقوب(υ) إذ حذره من التحدث بالرؤيا لإخوته, وهذا يرشد الأفراد والقيادات إلى عدم كتمان ما هو ضروري عن المسؤول الأعلى منهم, فإن ذلك يخلي المسؤولية عنهم, فضلاً عن أن ذلك يسهم في بناء علاقات وطيدة وثقة متبادلة بين الفرد ومن هو أعلى منه في الإدارة أو المسؤولية, وكذلك يُمَكِّن الجميع من إبداء المشورة واتخاذ القرارات الصائبة والبعيدة عن الرأي الأحادي الجانب الذي قد يعتريه القصور أو الخطأ.

قوله تعالى:﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِلسَّائِلِينَ (٧)﴾[109].

لم يكن المقصود من قصة سيدنا يوسف عليه السلام نبينا محمد (صلى الله عليه وسلم) فقط, وإنما الفائدة متاحة لكل قائد بأن يستلهم الدروس والعبر, فقد ذكر ابن كثير ذلك فقال: "يَقُولُ تَعَالَى: لَقَدْ كَانَ فِي قِصَّةِ يُوسُفَ وَخَبَرِهِ مَعَ إِخْوَتِهِ آيَاتٌ، أَيْ عبرةٌ ومواعظُ لِلسَّائِلِينَ عَنْ ذَلِكَ، الْمُسْتَخْبِرِينَ عَنْهُ، فَإِنَّهُ خَبَرٌ عَجِيبٌ، يَسْتَحِقُّ أَنْ يُسْتَخْبَرَ عَنْهُ"[110].

---

109) يوسف 7/12.

110) ابن كثير, *تفسير القرآن العظيم*, 372/4.

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (١٥)﴾[111].

حينما وافق سيدنا يعقوب (υ) على ذهاب سيدنا يوسف مع إخوته يرتع ويلعب بزعمهم بدت نياتهم السيئة حين وصلوا إلى المنطقة التي يريدونها, فأخذ هذا يضربه وهذا يوبخه لأنه المفضل عند أبيهم, فأرادوا قتله فأشار عليهم أخوهم أن يرموه في البئر فوافقوا على ذلك.

وقد ذكر الباري جلَّ وعلا أنه أوحى إلى سيدنا يوسف (υ) وهو في هذه الحال, وقد اختلف أهل العلم في كيفية هذا الوحي.

يقول ابن الجوزي: "قوله تعالى: وَأَوْحَيْنا إِلَيْهِ فيه قولان: أحدهما: أنه إلهام، قاله أبو صالح عن ابن عباس (τ), والثاني: أنه وحي حقيقة, قال المفسرون: أُوحي إليه لتخبرنّ إخوتك بأمرهم، أي: بما صنعوا بك وأنت عال عليهم. وفي قوله تعالى: وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ قولان: أحدهما: لا يشعرون أنك يوسف وقت إخبارك لهم، قاله أبو صالح عن ابن عباس (τ)، وبه قال مقاتل. والثاني: لا يشعرون بالوحي، قاله مجاهد، وقتادة، وابن زيد. فعلى الأول يكون الكلام من صلة «لتنبئنهم» وعلى الثاني من صلة «وأوحينا إليه» "[112].

وكيفما كان الوحي سواء إلهاماً أم وحياً حقيقياً فهو يدل على العناية الإلهية بهذا النبي والقائد منذ صغره, وحاله في الثبات والصبر يدعو الجميع إلى تأمل الأحداث التي مرَّ بها, وكيف واجهها بالصبر, وساعده في ذلك معية الله تعالى التي لا تفارق من لجأ إليه وتوكل عليه وامتثل لأمره.

---

111) يوسف 15/12.

112) ابن الجوزي, *زاد المسير في علم التفسير*, 419/2.

قوله تعالى: ﴿وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ قَالَ يَابُشْرَى هَذَا غُلَامٌ وَأَسَرُّوهُ بِضَاعَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ (١٩) وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ (٢٠)﴾[113].

بعد أن مكث سيدنا يوسف (υ) في الجب كما قيل ثلاثة أيام جاءت سيارة أي قوم مسافرون, فأرسلوا واردهم وهو الذي يملأ الدلاء ماءً, فأرسل الدلو في البئر فتمسك به سيدنا يوسف (υ), فاستبشر الوارد لأن الدلو قد جاء بغلام جميل.

وقد ورد في تفسير البغوي قوله: "{وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ} وَهُمُ الْقَوْمُ الْمُسَافِرُونَ، سُمُّوا سَيَّارَةً لِأَنَّهُمْ يَسِيرُونَ فِي الْأَرْضِ، كَانَتْ رُفْقَةً مِنْ مَدْيَنَ تريد مصر، فأخطؤوا الطَّرِيقَ فَنَزَلُوا قَرِيبًا مِنَ الْجُبِّ، وَكَانَ الْجُبُّ فِي [قَفْرٍ بَعِيدٍ] مِنَ الْعُمْرَانِ لِلرُّعَاةِ وَالْمَارَّةِ، وَكَانَ مَاؤُهُ مَالِحًا فَعَذُبَ حِينَ أُلْقِيَ يُوسُفُ (υ) فِيهِ، فَلَمَّا نَزَلُوا أَرْسَلُوا رَجُلًا مِنْ أَهْلِ مَدْيَنَ يُقَالُ لَهُ مَالِكُ بْنُ ذُعْرٍ، [لِطَلَبِ الْمَاءِ] فَذَلِكَ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: {فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ} وَالْوَارِدُ الَّذِي يَتَقَدَّمُ الرُّفْقَةَ إِلَى الْمَاءِ فَيُهَيِّئُ الْأَرْشِيَةَ وَالدِّلَاءَ, {فَأَدْلَى دَلْوَهُ} أَيْ: أَرْسَلَهَا فِي الْبِئْرِ، يُقَالُ: أَدْلَيْتُ الدَّلْوَ إِذَا أَرْسَلْتُهَا فِي الْبِئْرِ، وَدَلَوْتُهَا إِذَا أَخْرَجْتَهَا، فَتَعَلَّقَ يُوسُفُ بِالْحَبْلِ فَلَمَّا خَرَجَ إِذَا هُوَ بِغُلَامٍ أَحْسَنَ مَا يَكُونُ"[114].

بعدما أخرج سيدنا يوسف (υ) من الجب خاف عليه مالك بن ذعر والسيارة من أن يطالب به أحد فيذهب منهم, لذلك أسروه كالبضاعة المخفية, وقيل: جاء أخوه فلم يجده في البئر فأخبر إخوته فجاءوا إلى السيارة وقالوا هذا عبد أبق منا, فباعوه لهم بثمن بخس, قيل لقلة ثمنه، وقيل لأنه حرام, لأن الحر لايباع.

وقد ذكر البغوي ذلك في تفسيره فقال: "{وَأَسَرُّوهُ} أَخْفَوْهُ، {بِضَاعَةً} قَالَ مُجَاهِدٌ: أَسَرَّهُ مَالِكُ بْنُ ذُعْرٍ وَأَصْحَابُهُ مِنَ التُّجَّارِ الَّذِينَ مَعَهُمْ وَقَالُوا: هُوَ بِضَاعَةٌ اسْتَبْضَعَهَا بَعْضُ أَهْلِ الْمَاءِ إِلَى مِصْرَ خِيفَةَ أَنْ

---

113) يوسف 12/ 19-20 .

114) الحسين بن مسعود أبو محمد البغوي (ت 510هـ), *معالم التنزيل في تفسير القرآن*, حققه وخرج أحاديثه: محمد عبد الله النمر وعثمان جمعة ضميرية وسليمان مسلم الحرش, دار طيبة للنشر والتوزيع, ط4، 1997م, 223/4.

يَطْلُبُوا مِنْهُمْ فِيهِ الْمُشَارَكَةَ, وَقِيلَ: أَرَادَ أَنَّ إِخْوَةَ يوسف أسرّوا شَأْنَ يُوسُفَ وَقَالُوا هَذَا عَبْدٌ لَنَا [أَبِقَ], قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ} فَأَتَى يَهُوذَا يُوسُفَ بِالطَّعَامِ فَلَمْ يَجِدْهُ فِي الْبِئْرِ، فَأَخْبَرَ بِذَلِكَ إِخْوَتَهُ، فَطَلَبُوهُ فَإِذَا هُمْ بِمَالِكٍ وَأَصْحَابِهِ نُزُولًا فَأَتَوْهُمْ فَإِذَا هُمْ بِيُوسُفَ، فَقَالُوا هَذَا عَبْدٌ آبِقٌ مِنَّا, وَيُقَالُ: إِنَّهُمْ هَدَّدُوا يُوسُفَ حَتَّى لَمْ يَعْرِفْ حَالَهُ, وَقَالَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ، ثُمَّ بَاعُوهُ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ:{وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ}, {وَشَرَوْهُ} أَيْ: بَاعُوهُ، {بِثَمَنٍ بَخْسٍ}، قَالَ الضَّحَّاكُ، وَمُقَاتِلٌ، وَالسُّدِّيُّ: حَرَامٌ لِأَنَّ ثَمَنَ الْحُرِّ حَرَامٌ، وَسُمِّيَ الْحَرَامُ بَخْسًا لِأَنَّهُ مَبْخُوسُ الْبَرَكَةِ "[115].

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٢١) وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (٢٢)﴾[116] .

وهنا تبرز أهمية ومكانة سيدنا يوسف (υ) عند الله تعالى, إذ لاحت ملامح الفرج منذ أن أخرج من الجب والنجاة من إخوته, وقبلها مساندته بالوحي, والقادم أفضل, ففي هذه الآيات الكريمة رسائل بليغة لكل قائد بأن من تحفه عناية الله تعالى لا يضره أحد ولو كاده جميع من في الأرض, وبين الباري سبحانه لنا أساليب العناية والرعاية لهذا القائد, وهذه الأساليب والتدابير الإلهية ليست حكراً على أحد, وإنما ستكون من نصيب كل صابر محتسب ومطيع لربه جل وعلا, وقد ذكر الباري أساليب حفظه ورعايته لسيدنا يوسف (υ) ليطمئن كل مؤمن, ويوقن بأن من توكل عليه حكيم خبير, ويدبر أمر عباده بعلمه وحكمته, وقد بين لنا الباري جل وعلا شيئاً من رعايته وعنايته لسيدنا يوسف (υ), نذكر منها:

---

115) البغوي, *معالم التنزيل في تفسير القرآن*, 225/4 .

116) يوسف, 21/12_22.

أولاً: حينما كان قصد إخوته هو إبعاده عن أبيهم وإذلاله وبيعه كعبد هيَّأ الله تعالى له من يكرمه ويحافظ عليه, إذ جعل من يشتريه هو أكرم بيت في مصر وهو بيت العزيز, بل وجعل خدمة وراحة سيدنا يوسف (υ) أمراً وليس تفضلاً, حيث أمر العزيز امرأته وقال لها: (أكرمي مثواه), قال الماوردي:

" {أكرمي مثواه} فيه وجهان: أحدهما: أجملي منزلته, الثاني: أجلي منزلته, قال كثير: (أريد ثواءً عندها وأظُنُّها ... إذا ما أطَلْنا عندها المكث ملَّت), وإكرام مثواه بطيب طعامه ولين لباسه وتوطئة مبيته, {عسى أن ينفعنا} قيل: في ثمنه إن بعناه. ويحتمل: ينفعنا في الخدمة والنيابة, {أو نتخذه ولداً} إن أعتقناه وتبنيناه, قال عبد الله بن مسعود: أحسن الناس في فراسة ثلاثة: العزيز في يوسف حين قال لامرأته {أكرمي مثواه عسى أن ينفعنا}، وابنة شعيب في موسى حين قالت لأبيها: {يا أبت استأجره إن خير من استأجرت القوي الأمين} [القصص: ٢٦] وأبو بكر (τ) حين استخلف عمر (τ)"[117].

وعسى أن ينتفعوا منه, قيل ببيعه أو يتخذونه ولداً لأن العزيز لم يكن له ولد، وقيل أنه عاجز عن إتيان النساء فاستحال أن يكون له ولد.

وقد ذكر الشوكاني ذلك بقوله: " فَلَمَّا اشْتَرَاهُ الْعَزِيزُ قَالَ لِامْرَأَتِهِ وَاللَّامُ مُتَعَلِّقَةٌ بِاشْتَرَاهُ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ أَيْ مَنْزِلَهُ الَّذِي يَثْوِي فِيهِ بالطعام وَاللِّبَاسِ الْحَسَنِ، يُقَالُ: ثَوَى بِالْمَكَانِ، أَيْ: أَقَامَ بِهِ عَسى أَنْ يَنْفَعَنا أَيْ: يَكْفِينَا بَعْضَ الْمُهِمَّاتِ مِمَّا نَحْتَاجُ إِلَى مِثْلِهِ فِيهِ أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَداً أَيْ: نَتَبَنَّاهُ فَنَجْعَلَهُ وَلَدًا لَنَا، قِيلَ: كَانَ الْعَزِيزُ حَصُورًا لَا يُولَدُ لَهُ، وَقِيلَ: كَانَ لَا يَأْتِي النِّسَاءَ، وَقَدْ كَانَ تَفَرَّسَ فِيهِ أَنَّهُ يَنُوبُ عَنْهُ فِيمَا إِلَيْهِ مِنْ أَمْرِ الْمَمْلَكَةِ"[118].

فالبيئة التي وضع الله تعالى فيها سيدنا يوسف (υ) هي أفضل ما يمكن للحفاظ عليه, وهي أفضل مكان كي يعيش بترف وكرامة ودون منةٍ من أحد, فلا يمكن لأحد أن يهين أو يضع أحداً من خلق الله تعالى إذا كان الله معه, لأن الله تعالى له الخلق والأمر, فيرفع أقواماً ويضع آخرين.

---

117) علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي أبو الحسن الشهير بالماوردي (ت450هـ), *النكت والعيون*, المحقق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الأمير, بيروت, دار الكتب العلمية, 20/3.

118) محمد بن علي بن محمد بن عبدالله الشوكاني اليمني (ت 1250هـ), *فتح القدير*, دمشق، دار ابن كثير, بيروت، دار الكلم الطيب، ط1، 1414هـ, 17/3 .

وقد وردت في ذلك لطيفة جميلة ذكرها القشيري في تفسيره حيث قال: "لما نودى على يوسف في مصر بالبيع لم يرض الحقّ- سبحانه- حتى أصابتهم الضرورة ومسّتهم الفاقة حتى باعوا من يوسف (υ) جميع أملاكهم، ثم باعوا كلّهم منه أنفسهم- كما في القصة- وفي آخر أمرهم طلبوا الطعام، فصاروا بأجمعهم عبيده، ثم إنه (υ) لما ملكهم منّ عليهم فأعتقهم، فلئن مرّ عليه بمصر يوم نودى فيه عليه بالبيع فقد أصبح بمصر يوماً آخر وقد ملك جميع أملاكهم، وملك رقاب جميعهم فيوم بيوم، قال تعالى: «فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً» يومان شتّان بينهما! ثم إنه أعتقهم جميعاً ... وكذا الكريم إذا قدر غفر"[119].

ففي ذلك إشارة واضحة من الله تعالى لكل قائد أن يسعى للحصول على معية الله تعالى, وذلك بالثبات على أمره وطاعته, عند ذلك لا يمكن لأحد أن يغلبهم أو يقلل من شأنهم لأن الله ناصرهم وحافظهم.

ثانياً: يخبر الله تعالى عن مزيد من العناية بسيدنا يوسف (υ) وذلك بالتمكين بعد الضعف, وبالملك بعد أن بيع كالعبد, فقد نجاه الله تعالى من إخوته, ووجَّه القلوب نحوه بالعطف والرحمة والإكرام, وصار عزيزاً مكرماً في بيت العزيز, وعلَّمه الله تعالى تأويل الأحاديث ومآلات الأمور.

ذكر ابن جرير الطبري في تفسيره: "وقوله: (وكذلك مكنَّا ليوسف في الأرض) يقول عز وجل: وكما أنقذنا يوسف من أيدي إخوته وقد همّوا بقتله، وأخرجناه من الجبّ بعدَ أن ألقي فيه، فصيرناه إلى الكرامة والمنزلة الرفيعة عند عزيز مصر، كذلك مكنّا له في الأرض، فجعلناه على خزائنها, وقوله: (ولنعلمه من تأويل الأحاديث) يقول تعالى ذكره: وكي نُعلِّم يوسف من عبارة الرؤيا، مكنا له في الأرض، كما: حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: (من تأويل الأحاديث) قال: عبارة الرؤيا"[120].

ويقول النحاس: " وَكَذلِكَ الكاف في موضع نصب, مَكَّنَّا لِيُوسُفَ أي بأن عطفنا قلب الملك الذي اشتراه عليه حتى تمكّن من الأمر والنهي في البلد الذي الملك مستول عليه,

---

119) القشيري , *لطائف الإشارات*, 176/2 .

120) الطبري, *جامع البيان عن تأويل آي القرآن*, 20/15.

وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحادِيثِ نصب بلام كي، ولا بد من أن يتعلق بفعل فالتقدير: ولنعلمه من تأويل الأحاديث مكنّاه، والمعنى: مكناه لنوحي إليه بكلامنا ونعلّمه تأويله وتفسيره وتأويل الرؤيا"[121] ,ومع كل هذه الرعاية لسيدنا يوسف (υ) يخبر الله تعالى أن أمره بإعلاء شأنه غالب على كل أمر, وأن من أراد به السوء لا يقدر أن يمنع شيئاً من رعاية الله تعالى له, لأن الله تعالى غالب على أمره ولكن أكثر الناس لايعلمون, يقول النحاس: " وَاللَّهُ غالِبٌ عَلى أَمْرِهِ أي يفعل ما يشاء في خلقه لا يقدر أحد على منعه ولا غلبته، وليس هذا للمخلوقين فهذا معنى غالب على أمره"[122] , وكذلك أنت يامحمد عليك أن تعلم بأنك تحت رعاية الله تعالى ولايقدر على ضرك أحد, فهي رسالة واضحة للنبي (ε) بأن قريش ومن تحالف معهم لا يقدرون على منع انتشار هذا الدين, وليس باستطاعتهم القضاء على النور الذي أراد الله تعالى له أن ينتشر وينير الأرض, وكأن الله تعالى يقول لنبينا (ε) بأن جميع ماستسمع من الرعاية والعناية بيوسف (υ) سيكون وسيحصل لك مثله, فإذا مكنا ليوسف في الأرض فاعلم أنه سيكون لك ذلك أيضاً ولكن أكثر الناس لايعلمون, وهذا النصر والعون والتمكين سيكون من نصيب كل من سار على منهج الله تعالى من القيادات أو الأفراد.

ثالثاً: من خلال قوله تعالى:﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (٢٢)﴾ يتبين العمر التقريبي الذي يمكن فيه أن يكون الشخص جاهزاً للقيادة وتولي الأمور إذا

121) أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي النحوي أبو جعفر النحاس (ت 338هـ), *إعراب القرآن*, وضع حواشيه وعلق عليه: عبد المنعم خليل إبراهيم, منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت, ط1، 1421 هـ, 197/2.

122) النحّاس, *إعراب القرآن*, 197/2.

توافرت فيه شروط القيادة والتصدي للمسؤولية, وعبر الباري جل وعلا عن هذا العمر التقريبي بقوله (ولما بلغ أشده) وقد اختلف العلماء (ψ) في تحديد العمر المقصود في الآية الكريمة.

يقول ابن جرير الطبري في تفسيره: "وقد اختلف أهل التأويل في الذي عنى الله به في هذا الموضع من"مبلغ الأشد", فقال بعضهم: عني به ثلاث وثلاثون سنة......, قال أبو جعفر: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله أخبر أنه آتى يوسف لما بلغ أشدهُ حكمًا وعلمًا, و"الأشُدّ": هو انتهاء قوته وشبابه, وجائز أن يكون آتاه ذلك وهو ابن ثماني عشرة سنة, وجائز أن يكون آتاه وهو ابن عشرين سنة, وجائز أن يكون آتاه وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة, ولا دلالة له في كتاب الله، ولا أثر عن الرسول صلى الله عليه وسلم، ولا في إجماع الأمة، على أيّ ذلك كان, وإذا لم يكن ذلك موجودًا من الوجه الذي ذكرت، فالصوابُ أن يقال فيه كما قال عز وجل، حتى تثبت حجة بصحة ما قيل في ذلك من الوجه الذي يجب التسليم له، فيسلم لها حينئذ ".[123]

وعلى هذا يكون سيدنا يوسف (υ) قد بدأ مرحلة جديدة من الاعتماد على النفس والتصرف كقائد, خصوصاً بعد أن آتاه الله تعالى حكماً وعلماً, وهذ ما يجعله مؤهلاً لقيادة نفسه, وكذلك قيادة غيره, وذلك بالحكمة والعلم الذي آتاه الله تعالى إياه, لأن أكثر العلماء (ψ) قالوا أنه لم يكن نبياً بعد, وقد ذكر ذلك الطبري فقال: "وقوله: (آتيناه حكمًا وعلمًا) يقول تعالى ذكره: أعطيناه حينئذ الفهم والعلم"[124].

وبذلك يكون كل من يملك عقلاً وعلماً وحكمةً مؤهلاً لقيادة الناس وإدارة أمورهم, لأن من يملك تلك المؤهلات يستطيع أن يسير بهم إلى بر الأمان, وأن يقيم فيهم العدل بحكمته, وأن يدبر أمور دنياهم بعلمه, وهذا ما يجب أن يميز كل قائد, وهو أن يملك العقل والحكمة, لأن القوة إذا خلت من الحكمة تفسد أكثر مما تصلح, وكذلك العلم يحتاج إلى الحكمة في

123) الطبري, *جامع البيان عن تأويل آي القرآن*, 23/15.

124) المصدر السابق.

التطبيق, والذي يملك العلم والقوة والحكمة يستطيع بمعونة الله تعالى أن يدير أمر أمة كاملة, وهو ما فعله سيدنا يوسف (υ) بعد أن آتاه الله الملك.

رابعاً: بعد أن قص لنا الباري جل وعلا نماذج من حفظه ورعايته وتدبيره لسيدنا يوسف (υ) ختم هذا المقطع الجميل من الآيات الكريمة ببشرى عظيمة لكل مؤمن مطيع لربه جل وعلا, وهي أنك يا من تسمع أو تقرأ تلك الآيات, فتعجب من رعاية الله تعالى وتدبيره لسيدنا يوسف (υ), لاتظن أن هذا العون والمدد والعناية كانت لسيدنا يوسف (υ) لأنه نبي وهي محصورة به, وإنما هي ممكنة لكل عبد مطيع لربه يسعى لمرضاته, لأن الله تعالى قال في ختام هذا المقطع الجميل من الآيات: ﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾، أي: أن هذا العون والمدد والحفظ والرعاية سيكون لك يا محمد (ε) لأنك من المحسنين, وكذلك سيكون لكل محسن من أمتك مثل هذا العون والرعاية والتدبير من الله تعالى, لذلك إذا أراد القائد أو المسؤول عن أمر الناس عونا من الله تعالى عليه أن يكون محسناً, والإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك, وهوما يسمى بالرقابة الذاتية التي يستشعر فيها العبد أن الله تعالى رقيب عليه في جميع أحواله, فيتعامل مع الناس ويحكم بينهم بما يرضي الله جل وعلا فيحصل على العناية وحسن التدبير له ولمن يعول, يقول الطبري:

"وقوله: (وكذلك نجزي المحسنين) يقول تعالى ذكره: وكما جزيت يوسف فآتيته بطاعته إيّاي الحكمَ والعلمَ، ومكنته في الأرض، واستنقذته من أيدي إخوته الذين أرادوا قتله، كذلك نجزي من أحسن في عمله،

فأطاعني في أمري، وانتهى عما نهيته عنه من معاصيّ, وهذا وإن كان مخرج ظاهره على كل محسن، فإن المرادَ به محمدٌ نبيُّ الله صلى الله عليه وسلم "[125].

وكذلك في الآية الكريمة ما يدل على أن من يبحث عن شخص يصلح لقيادة الناس أو إدارة شؤونهم فإنه لابد أن يتوفر فيه هذا الشرط وهو الإحسان, لأن في الآية الكريمة إشارة إلى أن المحسن سيحصل على الرعاية والتدبير والتوفيق من الله تعالى, فهو أولى من غيره لتولي الإدارة وقيادة الناس إذا ملك العلم والحكمة والمراقبة لله جل وعلا.

قوله تعالى: ﴿وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ (٢٣)﴾[126].

بعد أن بلغ سيدنا يوسف (υ) أشده وتحصن بالعلم والحكمة من الله تعالى بدأت الابتلاءات تتوالى عليه, وهو ما يعترض كل قائد, إذ يبتلى في صبره وتحمله, و حكمته وعلمه ودينه, فتظهر عند الشدائد قوته في الصبر واحتمال الأذى, وحكمته في اتخاذ القرار المناسب في الوقت المناسب, فحينما تربى سيدنا يوسف (υ) في بيت العزيز وبلغ مبلغ الشباب كان على أجمل ما يكون من الجمال وحسن المظهر, فضلاً عما يتمتع به من حسن الخلق ورفيع الأدب, وفوق ذلك كله ما يغشاه من نور الطاعة لله تعالى التي يظهر أثرها على محياه, كل ذلك اجتمع مع ما يملك من شطر الحسن ليأخذ بشغاف قلب امرأة العزيز التي تربى في بيتها, فلم تكتم مشاعرها تجاه سيدنا يوسف (υ), فعبرت عن تلك المشاعر بأبشع صورة, فقد راودته عن نفسه, فطلبت منه ما يفعله الزوج مع زوجته, وغلقت الأبواب, وعزمت على ذلك, فقد جاء في تفسير الجلالين قوله: "{وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ

---

125) الطبري , *جامع البيان عن تأويل آي القرآن* , 24/15 .

126) يوسف 12/ 23 .

فِي بَيْتِهَا} هِيَ زُلَيْخَا {عَنْ نَفْسه} أَيْ طَلَبَتْ مِنْهُ أَنْ يُوَاقِعهَا {وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَاب} لِلْبَيْتِ {وَقَالَتْ} لَهُ {هَيْتَ لَك} أَيْ هَلُمَّ وَاللَّامُ لِلتَّبْيِينِ وَفِي قِرَاءَة بِكَسْرِ الْهَاء وَأُخْرَى بِضَمّ التَّاء {قَالَ مَعَاذ اللَّه} أَعُوذ بِاَللَّهِ مِنْ ذَلِكَ {إِنَّهُ} الَّذِي اشْتَرَانِي {رَبِّي} سَيِّدِي {أَحْسَنَ مَثْوَايَ} مُقَامِي فَلَا أَخُونه فِي أَهْله {إِنَّهُ} أَيْ الشَّأْن {لَا يُفْلِح الظالمون} الزناة "[127].

بعد هذا العرض من امرأة العزيز لسيدنا يوسف (υ) برزت ملامح هذا القائد بالظهور, إذ جاءت ردات فعله لتعكس مدى قوة وثبات وإيمان سيدنا يوسف (υ), فقد أظهر لنا فيما سبق من الآيات مدى صبره وتحمله لأفعال إخوته وظلمهم له, وفي هذه الآيات الكريمة يظهر لنا عدة مميزات امتاز بها هذا القائد نذكر منها:

أولاً: من خلال الآية الكريمة يظهر لنا الباري جل وعلا مدى قوة وصلابة سيدنا يوسف (υ) في مقاومة النفس والشيطان, لأن مراودة زليخا له بهذه الطريقة تفيد بأن هذه المراودة لم تكن الأولى, وإنما كانت عروض مسبقة أو إيحاءات تعبر عن هذه الرغبة قوبلت بالرفض أو الإهمال من قبل سيدنا يوسف (υ), لذلك حاولت أن تغريه بإصرار أكبر من السابق وبطريقة جدية أكثر, لأنه يبدو أن محاولات جذب الانتباه ومحاولة أن يكون الطلب منه لم تؤتي أكلها, لذلك تهيأت له ووفرت الجو المناسب لارتكاب ما تروم من فاحشة, فغلقت الأبواب, كل هذه التحضيرات كانت أملاً في أن يستجيب لها, وتدل أيضاً على رفض المحاولات العادية السابقة من قبل سيدنا يوسف (υ), وقد جاء في فتح الرحمن قوله: "(وَرَاوَدَتهُ) أي: طالبته مرةً بعدَ

---

127) جلال الدين محمد بن أحمد المحلي (ت 864هـ) وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت: 911هـ), *تفسير الجلالين*, القاهرة، دار الحديث، ط1، ص306.

مرةٍ برفقٍ وسهولةٍ, (الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا) وهي زليخا احتالَتْ عليه، وأرادتْ خدعَهُ (عَنْ نَفْسِه) لتنالَ غرضَها منه، وكانت تكتمُ حُبَّهُ، فخَلَتْ به، وتزيَّنَتْ له، وعَرَّفَتْه أنها تحبُّه، وأنه إن واتاها على ما تريدُه منه، حَبَتْهُ بمالٍ عظيمٍ، فامتنعَ من ذلك، ورامَتْ أن تغلبَهُ, (وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ) عليها وعليه، وكانت سبعةً"[128]. وهذه العفة التي أظهرها سيدنا يوسف (υ) هي درس لكل قائد أن يتحلى بالعفة عن الحرام, وأن يجاهد نفسه بقوة وصلابة حتى لا يفسد علاقته بربه, وأن كل قائد قد يتعرض لمثل هذا الاختبار, فينبغي أن لا يستسلم لهوى النفس لأنه قدوة لغيره.

ثانياً: تبين من سيدنا يوسف (υ) ما يضمر من محبة وطاعة لله تعالى فخرجت على لسانه عند أول اختبار حقيقي لصدق امتثاله لأوامر خالقه, فنطق بما كان ينبض به قلبه, وظهر ما يشغل قلبه, وهو مرضاة الله تعالى, فأول ما قال (معاذ الله) أي أعوذ بالله أن أفعل ما لا يرضيه, وكأنه ربط مسيرة حياته ورعاية الله تعالى له بهذه اللحظة من حظ النفس, فلا يمكن أن يفرط بمعية الله تعالى له مقابل لحظة لا تساوي شيئاً أمام حالة العيش الرغيد والطمأنينة التي تصاحب من أطاع الله تعالى, وكأنه استشعر اللحظات التي عاش بها وهو يلحظ روح القرب من ربه, ويسترجع حالة اللطف والكرم التي رافقته طيلة حياته من الله تعالى إلى اللحظة التي اختبر فيها بهذا الأمر, لذلك جاء الرد منه (υ) بهذه الصيغة التي ترعب السامع, وتنبأ بعظم وخطورة ما يراد منه, فكان الرفض منه لهذا الطلب بدافع الطاعة لربه أولاً, وإلا لقال غير ذلك, وبالرغم

---

128) مجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي (ت 927هـ), *فتح الرحمن في تفسير القرآن*, اعتنى به تحقيقاً وضبطاً وتخريجاً: نور الدين طالب, دار النوادر (إصدارات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية دار الشؤون الإسلامية), ط1، 2009م, 407/3.

من الحالة التي كان فيها (υ) لم يترك فرصة للدعوة إلى الله تعالى إلا اغتنمها, فهو بقوله (معاذ الله) أراد أن يبين لامرأة العزيز أن هذا الأمر حرام لا يرتضيه الله تعالى, فلم يعبر عن عدم رغبته أو شيئاً من ذلك, وإنما عبر عن همه الأكبر وهو مرضاة ربه, فيربط كل ما يمر به بخالقه ليبين لها أن للكون رباً يرى ويسمع, وأنه على المخلوقين مراقبة هذا الخالق في أقوالهم وأفعالهم وجميع تصرفاتهم, لذلك توجب على كل يتولى شيئاً من أمر المسلمين أن لاينسى واجب الدعوة إلى الله تعالى وتحت أي ظرف, لأن واجب الدعوة ليس منوطاً بالأنبياء فقط وإنما هو من واجب كل مسلم, وكل حسب موقعه في المجتمع عليه أن يعرِّف بالله تعالى ويدعو إلى طاعته وتوحيده, وهذا ما فعله سيدنا يوسف (υ) مع امرأة العزيز، إذ نغزها بشيء من الدعوة إلى مراقبة الله تعالى, وكأنه يقول لها بأن لها رباً يسمع ويرى فينبغي مراعات ذلك, كل هذه الرسائل الدعوية منحها بقوله (معاذ الله).

ثالثاً: انتقال سيدنا يوسف (υ) من الرد الديني البحت بقوله: (معاذ الله) إلى البيان المنطقي والأخلاقي يفيد بضرورة استخدام وسائل رادعة أخرى لهوى النفس إذا لم تخضع النفس البشرية للرادع أو المانع الديني, حيث عرف سيدنا يوسف (υ) أنها قد لا تمتثل للرادع الديني لأنها لم تؤمن بعد, فاستخدم وسيلة أخرى وهي البيان العقلي والأخلاقي عسى أن ينفع معها, لذلك قال مبرراً سبب رفضه لطلبها (إنه ربي أحسن مثواي) مشيراً إلى سيده وهو زوجها الذي طلب منها أن تكرم مثواه حينما اشتراه وجاء به, واختلف العلماء رضي الله عنهم في الضمير (الهاء) في قوله (إنه ربي)، إذ قالوا بأنها تعود على الله تعالى, أي أن سيدنا يوسف (υ) أراد بأن الله تعالى أحسن مثواه وأكرمه بأن نجاه من إخوته وأنزله ببيت العزيز فلا يليق به أن تبدر منه المعصية لهذا الرب جل وعلا, والأصح والله تعالى أعلم هو ماذهب إليه آخرون بأن (الهاء)

تعود على سيده وهو العزيز, فقد جاء في معاني القرآن للفرّاء قال:" (إِنَّهُ رَبِّي) يعني مولاهُ الَّذِي اشتراهُ, يقول: قد أحسنَ إليَّ فلا أخونُه"[129] , فهذا التفسير أولى والله أعلم, لأن كلمة الرَّب تطلق في اللغة تُطلق على الخالق جلَّ وعلا, وتطلق أيضاً على السيد في قومه, يقول أحمد رضا:" الرب: يطلق معرفاً بالألف واللام على الله تبارك وتعالى، ولا يكاد يقال لغيره، وهو رب الأرباب ومالك الرقاب......, وهو السيد المطاع"[130] , فبين سيدنا يوسف (υ) لامرأة العزيز أن هذا الإكرام المسبق من زوجها لا يجوز أن يقابل بالخيانة له في أهله, وهذا من الظلم, والظالم لا يفلح, وهذا البيان العقلي والأخلاقي من سيدنا يوسف (υ) يشير إلى ضرورة أن يتمتع القائد بسعة كبيرة من الاستقرار الذهني والأخلاقي الذي يجعله مسيطراً على نفسه, ويجعله مؤثراً في غيره بسحر البيان ورزانة الشخصية, إذ قابل الشهوة الجامحة بالعقل والدين والبيان المنطقي والأخلاقي الذي يساعد كثيراً في كبح جماح النفس, وكذلك البيان بهذه الطريقة يساعد في كسب الإنسان المقابل, إذ يظهر الود وعدم الرغبة في خسارة الشخص, وهذا ما تميز به سيدنا يوسف (υ) في هذا المكان من القصة, حيث استشرف المستقبل بأنه سيكون ذو حظ ومنصب في هذا المكان فلم يرغب بتعنيف زليخا بالشكل الذي لا يمكن معه رؤيتها مرة أخرى, أو لم يرد إهانتها إكراماً لفضلها المسبق عليه, وكل ذلك يظهر فطنة وعقلية وعبقرية كبيرة في السياسة يتمتع بها سيدنا يوسف (υ), وهذا الأسلوب أيضاً هو الأنفع في

---

129) يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور أبو زكريا الديلمي الفراء (ت 207هـ), *معاني القرآن*, المحقق: أحمد يوسف النجاتي / محمد علي النجار / عبد الفتاح إسماعيل الشلبي, دار المصرية للتأليف والترجمة – مصر, ط1, 40/2.

130) أحمد رضا, *معجم متن اللغة*, 525/2.

الدعوة إلى الله تعالى بالحكمة والموعظة الحسنة التي ظهرت ثمرتها فيما بعد إذ آمنت زليخا ودخلت في دين سيدنا يوسف (υ).

رابعاً: معرفة الفضل لأهله هو من أهم ما يميز القائد أو المسؤول الناجح, إذ تنظم العلاقة على أسس متينة من الأخلاق, فيقابل الإحسان بالإحسان, ويرد المعروف بأحسن منه, ويكون الوفاء حاضراً بين جميع الأطراف, وهذا مافعله سيدنا يوسف (υ) مع العزيز صاحب الفضل في إكرامه, فقد عف عن أهله وفاءً لسيده وطاعة لربه, فأثمرت هذه القيم والأخلاق عن تمكين الله تعالى لسيدنا يوسف (υ) فيما بعد, وحظي بمحبة الجميع, فانقادوا له بمحبة ورضا, كل ذلك لأنه رأى أنه من الظلم أن يقابل الإحسان بالخيانة, فقال لامرأة العزيز(إنه لايفلح الظالمون) .

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ (٢٤)﴾[131].

لقد خاض علماء التفسير في هذه الآية كثيرا نظراً لاختلافهم في مسألة الهم بالنسبة لسيدنا يوسف (υ) كونه نبياً فلا يصلح أن يهم بسيئة, وقال آخرون بأنه في هذه الحادثة لم يكن نبياً بعد و يمكن أن يكون منه الخاطر أو الهم لكنه لم ينفذ ما هم به, والله تعالى لا يؤاخذ بالهم بالسيئة ما لم تفعل, ومن المفسرين من أقر بوجود الهَمّ من سيدنا يوسف (υ) نظراً للطبيعة البشرية حسب قولهم, من ذلك ما ذكره الطبري في تفسيره إذ توسع في هذه المسألة فقال: "(ولقد همت به وهم بها) قال: أطلق تِكَّة سراويله."[132].

---

131) يوسف 24/12 .

132) الطبري, *جامع البيان عن تأويل آي القرآن*, 37/16.

والروايات في هذا الجانب كثيرة, ومنهم من نفى ذلك الهم من سيدنا يوسف (υ) كونه نبي أو مهيأ للنبوة, وتنزيه الأنبياء عن الفواحش قبل النبوة وبعدها أمر لاجدال فيه عندهم, ومنهم من لا يعتبر مجرد الهم أو الخاطر معصية لأن العبرة في عدم ارتكاب المعصية وهي العصمة في حق الأنبياء, فلا قيمة للهم في هذه الحالة.

يقول القنوجي:

" (همت به وهم بها) يقال هم بالأمر إذا قصده وعزم عليه والمعنى أنه هم بمخالطتها كما همت بمخالطته ومال كل واحد منهما إلى الآخر بمقتضى الطبيعة البشرية والجبلة الخلقية ولم يكن من يوسف (υ) القصد إلى ذلك اختياراً كما يفيده ما تقدم من استعاذته بالله، وإن ذلك نوع من الظلم, بل قصد من غير رضا ولا عزم ولا تصميم، والقصد على هذا الوجه لا مؤاخذة فيه فلا خلاف في أنه لم يأت بفاحشة وإنما الخلاف في وقوع الهم, ولما كان الأنبياء معصومين عن الهم بالمعصية والقصد إليها أيضاً، تكلم أهل العلم في تفسير هذه الآية بما فيه نوع من التكلف"[133].

وللخروج من هذا الاختلاف الواقع في حصول الهم من سيدنا يوسف (υ) من عدمه ينبغي الاكتفاء بما ورد في السورة من قول لله تعالى بخصوص هذا الأمر, فالقرآن يفسر بعضه بعضاً, وقد ذكر الله تعالى ردة فعل سيدنا يوسف (υ) المزلزلة التي تكشف كل ريب حينما واجه طلب زليخا بقوله (معاذ الله) وهذا القول تقدم على قوله تعالى (ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه) وكأن الله تعالى استبق كل الوساوس والأفكار السيئة التي قد ترد في حق سيدنا يوسف (υ), أضف على ذلك أنه يجب أن لا يتكلم بكلام يخدش من كرامة وعصمة سيدنا يوسف (υ) إلا بدليل قاطع من الكتاب أو السنة النبوية المطهرة, والكثير من المفسرين حملوا آية الهم إلى أنه لم يحصل لأنه

---

133) محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري أبو الطيب القنوجي (ت 1307هـ), *فتح البيان في مقاصد القرآن*, عني بطبعه وقدم له وراجعه: عبدالله بن ابراهيم الأنصاري, صيدا– بيروت، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، 1992م, 313/6.

رأى برهان ربه, وإن كانوا قد اختلفوا في ماهية هذا البرهان إلا أن النتيجة واحدة وهي أن الله تعالى صرف السوء والفحشاء عن سيدنا يوسف(υ) لأنه من عباد الله المخلصين.

وإن أكثر الأقوال واقعية ما ورد في تفسير فتح البيان في مقاصد القرآن حينما تحدث عن براءة سيدنا يوسف (υ) عن الهم بالسيئة بقوله:

"قال الخفاجي: قيل فيه إن كل من له دخل في هذه القصة شهد ببراءته فشهد الله بقوله لنصرف الخ وشهد هو على نفسه بقوله هي راودتني ونحوه وشهدت زليخاً بقولها ولقد راودته عن نفسه فاستعصم، وسيدها بقوله إنك كنت من الخاطئين وإبليس بقوله لأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين فتضمن إخباره بأنه لم يغوه ومع هذا كله لم يبرئه أهل القصص كما قيل:

وكنت فتى من جند إبليس فارتقى ... بي الحال حتى صار إبليس من جندي"[134].

وفي قوله: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ (٢٤)﴾[135] نجد الكثير مما يمتاز به سيدنا يوسف (υ) كقائد بشهادة الباري جل وعلا نذكر شيئاً منها:

أولاً: إذا تأملنا الآية الكريمة يظهر لنا مدى ارتباط وصلة سيدنا يوسف (υ) بربه جل وعلا من خلال قوله تعالى في الآية الكريمة (ولقد همَّت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه) أي أنه لو لم يكن مراقِباً لله تعالى ومراقَباً وآخذاً بنظر الاعتبار لطف الله تعالى به في جميع أحواله السابقة لفعل مثل ما يفعل أي شاب لو كان مكانه, لكنه وبشهادة الله تعالى دفع الهم بالمعصية بمراجعة سريعة جرت في عقله أثمرت عن تصرف ناضج يليق بمقامه كقائد مستقبلي, ومفاد

134) القنوجي, *فتح البيان في مقاصد القرآن*, 313/6 .

135) يوسف 12/ 24.

هذه المراقبة والمراجعة العقلية أن هذا الرب المتفضل والسابق بالإحسان لا يستحق أن يعصى مقابل متعة مؤقتة يعقبها ندم طويل, فكل قائد عليه أن يفعل نظام الرقابة الذاتية التي تمنعه من معصية ربه, وأن لا يهمل يداً امتدت له في يوم من الأيام, سواء كانت هذه يد عناية من الله تعالى أم يد إنسان ساعده في يوم من الأيام.

ثانياً: لما كان هم سيدنا يوسف (υ) هو النظر في مرضاة الله تعالى بأن تأمل العناية واللطف الرباني له، ووجد هذا بالدليل والبرهان، قوبل هذا النظر وهذه الرقابة لما يرضي الله تعالى بأن قال الله تعالى مخبراً عن برهان آخر للعناية وهو قوله: (كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء) أي سنضيف له برهاناً آخر للعناية الربانية له وهو صرف السوء والفحشاء عنه، لأنه يستحق ذلك كونه يراقب الله تعالى في تصرفاته, وردود أفعاله تجاه ما يعترضه من ابتلاءات تظهر تلك المراقبة لله تعالى, لذلك منحه الله تعالى مقابل ذلك ثباتاً على أمره وصلابة في مواجهة الرغبات الشيطانية, وفي هذه الآية الكريمة خطاب مبطن لكل من يراقب الله تعالى في أفعاله بأنه سيحصل على تلك العناية أيضاً, ويدفع الله تعالى عنه السوء والفحشاء إذا جعل مرضاة الله تعالى همه الأول.

ثالثاً: علل الله تعالى رعايته لسيدنا يوسف (υ) بشهادة عظيمة من خالق الأكوان بأنه (من عبادنا المخلصين) وسواء كانت (اللام) مفتوحة أو مكسورة بحسب القراءات فإن الشهادة لا تفقد قيمتها,قال القنوجي:

"(إنه من عبادنا المخلصين) تعليل لما قبله قرئ بكسر اللام وفتحها وهي سبعية والمعنى على الأولى أن يوسف (υ) كان ممن أخلص طاعته لله وعلى الثانية أنه كان ممن استخلصه الله للرسالة، وقد بان (υ) مخلصاً مستخلصاً وعلى كلا المعنيين فهو منتظم في سلكهم داخل في زمرتهم من أول أمره بقضية الجملة

الإسمية، لا أن ذلك حدث له بعد أن لم يكن كذلك فانحسم مادة احتمال صدور الهم بالسوء منه (υ) بالكلية"[136].

فعلى كل قائد أو مسؤول أن يكون مخلصاً في طاعة ربه إذا أراد المدد والعون من الله تعالى, وكذلك إذا أردتم اختيار قائد فاختاروا المخلص لربه لأنه سيحضى بالتوفيق.

قوله تعالى:﴿وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٢٥) قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (٢٦) وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٢٧) فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ (٢٨) يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ (٢٩)﴾[137].

بعد أن قوبل طلب زليخا من سيدنا يوسف (υ) بالرفض وبطريقة راقية جداً اشتملت على التعريف بالله تعالى, وأنه رقيب على عباده, واستعاذ به سيدنا يوسف (υ) بقوله: (معاذ الله), واشتملت على النصح باستخدام العقل والمنطق, يظهر لنا كلما تقدمنا بالآيات صدق ما تحدث به الكثير من المفسرين وما أيدناهم فيه من أن الهم بالفاحشة لم يحدث أصلاً لأن سيدنا يوسف (υ) أول مارد عليها بقوله: (معاذ الله) دفعه إلى ذلك تذكره اللطف القديم والمسبق من الله تعالى، وهو ما ذكرنا أنه هذا هو البرهان الذي تحدث عنه الباري جل وعلا, والآيات المذكورة هنا

---

136) القنوجي, *فتح البيان في مقاصد القرآن*, 316/6 .

137) يوسف12/ 25-29.

تؤكد براءة سيدنا يوسف (υ) من الهم بالسيئة, لأنه بعد الرفض والنصيحة سارع إلى الخروج وسابقها سباقاً إلى الباب ليخرج هارباً من المعصية, وركضت هي مسرعة أيضاً خلفه، مايدل على إصرارها على ما أرادت أو خافت أن يفضحها, وقدت قميصه من دبر.

جاء في زاد المسير قوله: "قوله تعالى: وَاسْتَبَقَا الْبابَ يعني يوسف والمرأة، تبادرا إلى الباب يجتهد كل واحد منهما أن يسبق صاحبه، وأراد يوسف أن يسبق ليفتح الباب ويخرج، وأرادت هي إن سبقت إمساك الباب لئلا يخرج، فأدركته فتعلقت بقميصه من ورائه، فجذبته إليها، فقدَّت قميصه من دبر، أي: قطعته من خلفه، لأنه كان هو الهارب وهي الطالبة له, قال المفسرون: قطعت قميصه نصفين، فلما خرجا، ألفيا سيدها، أي: صادفا زوجها عند الباب، فحضرها في ذلك الوقت كيد، فقالت سابقةً بالقول مبرِّئةً لنفسها من الأمر ما جَزاءُ مَنْ أَرادَ بِأَهْلِكَ سُوءاً، قال ابن عباس: تريد الزّنى إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أي: ما جزاؤه إلا السّجن أَوْ عَذابٌ أَلِيمٌ يعني الضرب بالسياط، فغضب يوسف حينئذ وقال: هِيَ راوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي، وقال وهب بن منبِّه: قال له العزيز حينئذ: أختني يا يوسف في أهلي، وغدرتَ بي، وغررتني بما كنت أرى من صلاحك! فقال حينئذ: هِيَ راوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي"[138].

فبعد هذه المحنة والاختلاف في الأقوال بين امرأة العزيز وسيدنا يوسف (υ) احتاج الموقف إلى شاهد, فجاء كلام الشاهد ليبين صدق سيدنا يوسف (υ) فيما قال, لأن شق القميص أو قطعه من الخلف يدل على أنه كان رافضاً للفاحشة وهارباً منها, واختلف العلماء في الشاهد من يكون؟.

قال ابن الجوزي: "قوله تعالى: وَشَهِدَ شاهِدٌ مِنْ أَهْلِها وذلك أنه لما تعارض قولاهما، احتاجا إلى شاهد يُعلَم به قول الصادق, وفي ذلك الشاهد ثلاثة أقوال: أحدها: أنه كان صبياً في المهد، رواه عكرمة عن ابن عباس، وشهر بن حوشب عن أبي هريرة، وبه قال سعيد بن جبير، والضحاك، وهلال بن يساف في آخرين, والثاني: أنه كان من خاصة الملك, رواه ابن أبي مليكة عن ابن عباس, وقال أبو صالح عن ابن عباس: كان ابن عم لها، وكان رجلاً حكيماً، فقال: قد سمعنا الاشتداد والجلبة من وراء الباب، فإن كان شقُّ القميص من قدَّامه فأنتِ صادقة وهو كاذب، وإن كان من خلفه فهو صادق وأنت كاذبة، وقال بعضهم: كان ابن خالة المرأة, والثالث: أنه شقُّ القميص، رواه ابن أبي نجيح عن مجاهد، وفيه ضعف، لقوله: مِنْ أَهْلِها"[139].

---

138)ابن الجوزي, *زاد المسير في علم التفسير*, 432/2 .

139) المصدر السابق.

وأهم ما في أمر الشاهد هو أنه شهد بصدق سيدنا يوسف (υ), إذ وجدوا القميص قُدَّ من دبر, عند ذلك قال لها زوجها إنه من كيدكن إن كيدكن عظيم, وقيل القائل هو الشاهد.

والذي يميز سيدنا يوسف (υ) في هذا المقام مايلي:

أولاً: قوله تعالى (واستبقا الباب) يدل على أن الإجراء الذي قام به سيدنا يوسف (υ) هو إجراء ضروري ولابد منه, إذ لابد من الفرار من أماكن الشبهة والأماكن التي يتعاون فيها شياطين الإنس مع شياطين الجن لإغواء المؤمن, لذلك نجد أن سيدنا يوسف (υ) سارع للخروج من المكان بعد أن وجد فيه الفتنة, وكذلك فيه ما يورد الشبهة لأنها خلوة كلية بالمرأة, والأبواب مغلقة, وفي مثل هذه الحالة تكون مجاهدة النفس أمر عظيم قد لا يقدر عليه من في إيمانه ضعف, لذلك وجبت المسارعة في الخروج من ذلك المكان, يقول السعدي في تفسيره:"ولما امتنع من إجابة طلبها بعد المراودة الشديدة، ذهب ليهرب عنها ويبادر إلى الخروج من الباب ليتخلص، ويهرب من الفتنة"[140] ,فهو إجراء سريع في لحظة حاسمة من حياة سيدنا يوسف (υ), وهذا ما يدل على الحكمة والسرعة في اتخاذ القرار السليم, والابتعاد عن مواطن الفتنة, وهذا ما هو مطلوب من كل قائد.

ثانياً: حينما جذبت زليخا سيدنا يوسف (υ) وقدت قميصه من دبر فانشق أو قطع جزء طولي من القميص فذلك يدل على قوة العزيمة على الخروج ورفض الفحشاء من قبله, ويشهد على الاندفاع الجسماني الشديد نحو الخروج السريع, وهذا يرشد كل مسؤول أو قائد أن يرفض

---

140) عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (ت 1376هـ), *تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان*, المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق, الناشر: مؤسسة الرسالة, ط1, 2000م, ص396.

المعصية ويجاهد نفسه بأقصى قوة ممكنة, والسرعة مطلوبة في مثل تلك الحالة خوفاً على نفسه من الضعف أمام كل تلك المغريات.

ثالثاً: ضرورة التحدث والبوح بالأشياء المهمة في الوقت المناسب, والرد بالشكل الذي يفي بالغرض, وهذا ما ميَّز سيدنا يوسف (υ), فالمتأمل للآية الكريمة: ﴿وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٢٥) قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (٢٦)﴾ يجد أن سيدنا يوسف (υ) لم يبادر إلى الكلام وإنما سبقته امرأة العزيز في الكلام حينما وجدوا زوجها لدا الباب فقالت: (ما جزاء من أراد بأهلك سوءاً ....) عند ذلك وجب الكلام من سيدنا يوسف (υ) لأن الأمر لا يسكت عنه, فقد اتهمته بالفاحشة, ولابد من الدفاع عن نفسه ومكانته في عين سيده وعامة الناس فأجاب بقوله: (هي راودتني عن نفسي), والذي يظهر أنها لم تكن هذه المراودة الأولى وإنما سبقتها محاولات قوبلت بالرفض من قبله, أو كانت تلمح له بذلك, ولم يفضحها فيما سبق منها, ولكن الأمر مختلف هنا, فالأمر خطير ولابد من الجهر بالقول وإن كان خادشاً بالحياء, لذلك يعلمنا القرآن الكريم من خلال سيدنا يوسف (υ) ضرورة معرفة الأوقات المناسبة للكلام, فقد يكون الصمت والستر أولى في بعض الأوقات, وهذه السياسة في الكلام تسعف القائد في كثير من المواقف التي تتطلب الدقة في الطرح, أو الصمت في الأوقات التي يكون فيها الصمت أفضل.

قوله تعالى:﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ (٣١) قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِنَ الصَّاغِرِينَ (٣٢) قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ (٣٣) فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٣٤) ثُمَّ بَدَا لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّى حِينٍ (٣٥)﴾[141].

لما حدث ماحدث من مراودة امرأة العزيز لسيدنا يوسف (ʊ) عن نفسه يبدو أن النسوة في المدينة أي مدينة مصر قد سمعن شيئاً عن الحادثة, وقد يكون الكلام قد خرج من زليخا نفسها أو أحد ممن يعمل في قصر العزيز, فأخذ النسوة يَلُمن امرأة العزيز لأنها سعت لهذا الفعل, فوصل الخبر إليها, فأرادت أن تثبت لهن أنه يحمل حسناً لا يحتمل وغير عادي, وأنهن أيضاً إذا رأينه ربما لا يحتملن ذلك, وربما سمع النسوة بجمال يوسف (ʊ) فأردن رؤيته, لذلك أرسلت إليهن وأعدت لهن مكاناً للإتكاء, وأعدت طعاماً للضيافة.

وقد ذكر ابن كثير ذلك فقال: "وَقَدْ ذُكِرَ عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ أنها قالت لهن بعدما أَكَلْنَ وَطَابَتْ أَنْفُسُهُنَّ، ثُمَّ وَضَعَتْ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ أُتْرُجًّا وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ سِكِّينًا: هَلْ لَكُنَّ فِي النَّظَرِ إِلَى يُوسُفَ؟ قُلْنَ: نَعَمْ. فَبَعَثَتْ إِلَيْهِ تَأْمُرُهُ أَنِ اخْرُجْ إِلَيْهِنَّ, فَلَمَّا رَأَيْنَهُ جَعَلْنَ يَقْطَعْنَ أَيْدِيَهُنَّ، ثُمَّ أَمَرَتْهُ أَنْ يَرْجِعَ فَرَجَعَ لِيَرَيْنَهُ مُقْبِلًا وَمُدْبِرًا، وَهُنَّ يُحَزِّزْنَ فِي أَيْدِيهِنَّ، فَلَمَّا أَحْسَسْنَ بِالْأَلَمِ جَعَلْنَ يُوَلْوِلْنَ، فَقَالَتْ: أَنْتُنَّ مِنْ نَظْرَةٍ وَاحِدَةٍ فَعَلْتُنَّ هَكَذَا، فَكَيْفَ أَلَامُ أَنَا؟ فَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ"[142].

---

141) يوسف 31/12- 35.

142) ابن كثير, *تفسير القرآن العظيم*, 386/4.

فبعد أن قطع النسوة أيديهن حينما رأين سيدنا يوسف (υ) قالت لهن امرأة العزيز: ﴿قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾، أي: أنتن رأيتن يوسف مرة واحدة وقطعتن أيديكن تعظيماً لما رأيتن من حسنه وجماله فكيف بي أراه كل يوم, يقول ابن كثير في ذلك:

" ثُمَّ قُلْنَ لَهَا: وَمَا نَرَى عَلَيْكِ مِنْ لَوْمٍ بَعْدَ الَّذِي رَأَيْنَا، لِأَنَّهُنَّ لَمْ يَرَيْنَ فِي الْبَشَرِ شَبَهَهُ وَلَا قَرِيبًا مِنْهُ، فَإِنَّهُ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ قَدْ أُعْطِي شَطْرَ الْحُسْنِ، كَمَا ثَبَتَ ذَلِكَ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ فِي حَدِيثِ الْإِسْرَاءِ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرَّ بِيُوسُفَ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، فِي السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ، قَالَ: (فإذا هو قد أعطي شطر الحسن)[143] " [144].

وأخذت تحدثهن عن محاسنه الأخرى من عفة وحسن الخلق, واعترفت بمراودته عن نفسه فاستعصم وعف عن ذلك, وتوعدته إذا لم يفعل ما تأمره فإنه يسجن ويكون من الصاغرين, أي إذا لم يرضخ لإرادتها ستسجنه وتضع مكانته بعد الرفعة والعز, فكان جواب سيدنا يوسف (υ): ﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ (٣٣) فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٣٤)﴾ فاختار السجن واعتبره الأحب إلى نفسه من أن يقع في الفاحشة.

وأهم ما يميز سيدنا يوسف (υ) كقائد في هذا المقام ما يأتي:

أولاً: يظهر من قول سيدنا يوسف (υ) في الآية الكريمة: ﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ﴾، أن كلام وتهديد امرأة العزيز له أمام النسوة قد وصل إلى مسامعه, وأن النسوة تكلمن معه في ذلك, ونصحنه في إجابتها لما تريد, وأن ذلك خير له من السجن والصغار الذي يلحق به إذا رفض الانصياع لرغباتها, والدليل أن كل النسوة دعونه لذلك هو قوله في الآية (يدعونني إليه) أي أن الترغيب كان من جميع النسوة, فجاء الرد الحاسم والاختيار الأنسب إلى قلب

---

143) رواه مسلم, ر (162), 145/1.

144). ابن كثير, *تفسير القرآن العظيم*, 386/4.

سيدنا يوسف (υ) وهو السجن, إذ فضله على معصية ربه, ليثبت لكل من يقرأ القرآن اليوم بأنه لم يهم بالمعصية أصلاً, فالرفض واضح منه (υ) في أكثر من موقف ورغم كل التهديدات.

جاء في تفسير الزمخشري قوله: "وقال يَدْعُونَنِي على إسناد الدعوة إليهنّ جميعاً، لأنهنّ تنصحن له وزيّن له مطاوعتها، وقلن له: إياك وإلقاء نفسك في السجن والصغار، فالتجأ إلى ربه عند ذلك وقال: ربِّ نزولُ السجن أحبّ إلى من ركوب المعصية, فإن قلت: نزول السجن مشقة على النفس شديدة، وما دعونه إليه لذة عظيمة، فكيف كانت المشقة أحبّ إليه من اللذة؟، قلت: كانت أحبّ إليه وآثر عنده نظراً في حسن الصبر على احتمالها لوجه الله، وفي قبح المعصية، وفي عاقبة كل واحدة منهما، لا نظراً في مشتهى النفس ومكروهها"[145].

وبالرغم من شدة الموقف وصعوبته على سيدنا يوسف (υ)، وبالرغم من الضغط الشديد عليه إلا أنه أظهر عصمة لا مثيل لها, وأظهر صبراً وجلداً لا مثيل له, فلم تثنيه كل تلك التهديدات عن موقفه من المعصية, وهي رسالة للنبي محمد (ε) أن يتمسك بعقيدته وعلى الثوابت الدينية رغم كل مايتعرض له من المشركين, وهي رسالة أيضاً لكل قائد أن لاتثنيه الصعوبات والضغوطات عن طريق الحق والطاعة, لأن سيدنا يوسف (υ) لم يبح لنفسه شيئاً من المعصية بحجة الخوف من السلطان أو خوفاً على منصب أو مكانة في الحكم, أو طمعاً في الحياة المترفة, فكل ذلك لم يقف أمام إصراره على الطاعة لربه رغم كل الظروف.

ثانياً: سرعة اللجوء إلى الله تعالى والاستعانة به على ما أحاط به من كيد النساء, فقد كان يعاني من امرأة واحدة وهي زليخا, والآن وبعد أن عرضته على النساء أصبح يعاني من الكثير منهنَّ, لأنه في ظاهر الآية وحسب قول سيدنا يوسف (υ) أنه تعرض للكيد من أكثر من واحدة، إذ قال: ﴿وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾، فقد جاءت كلمة (

145) الزمخشري, *الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل*, 467/2.

كيدَهُنَّ) بالجمع، فحينما أحس بخطر عظيم قد لا تنفع معه المجاهدة لجأ إلى الله تعالى بالدعاء, لأنه خاف من الركون إليهنَّ, فقد جاء في كتاب مجاز القرآن:" (أَصْبُ إِلَيْهِنَّ) أي أهواهنّ وأميل إليهنّ"[146] , وطلب العون من الله تعالى يشير إلى عظم وخطر هذا الأمر الذي تعرض له, وفيه إشارة إلى أن من يتعرض لهذه الفتنة من أفراد أو قيادات ينبغي أن يستعين بالله تعالى لأن فتنة النساء كبيرة قد يضعف أمامها من لا يملك الإيمان الكافي الذي يردعه عن المعصية, فاستغاث سيدنا يوسف (ʊ) بالله تعالى أن يصرف عنه كيدهن, ولولا معونة الله تعالى له فقد يركن إلى مكرهنَّ وكيدهنَّ, وقد ذكر النسفي في تفسيره قال:

"قال رب السجن أحب إلي من ركوب المعصية {وَإِلاَّ تَصْرِفْ عَنّى كَيْدَهُنَّ} فزع منه إلى الله في طلب العصمة {أَصْبُ إِلَيْهِنَّ} أمل إليهن والصبوة الميل إلى الهوى، ومنه الصبا لأن النفوس تصبوا إليها الطيب نسيمها وروحها {وَأَكُن مّنَ الجاهلين} من الذين لا يعملون بما يعلمون لأن من لا جدوى لعلمه، فهو ومن لم يعلم سواء أو من السفهاء, {فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ }، فلما كان في قوله وإلا تصرف عني كيدهن معنى طلب الصرف والدعاء، قال {فاستجاب لَهُ رَبُّهُ} أي أجاب الله دعاءه {فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السميع} لدعوات الملتجئين إليه {العليم} بحاله وحالهن"[147].

---

146) معمر بن المثنى أبو عبيدة التيمى البصري (ت 209هـ), *مجاز القرآن*, المحقق: محمد فواد سزگين, مكتبة الخانجى – القاهرة, 1381هـ, 311/1.

147) النسفي, *مدارك التنزيل وحقائق التأويل*, 108/2.

ويخبرنا الباري أنه لايضيع من لجأ إليه ووكل الأمر لخالقه العليم بدقائق النفوس والنيات, لذلك استجاب الله تعالى لدعاء سيدنا يوسف (υ) فصرف عنه كيد النساء, وكذلك يفعل مع كل من فوض أمره إلى الله تعالى واستعان به من أفراد أو قادة.

قوله تعالى:﴿ثُمَّ بَدَا لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّى حِينٍ (٣٥)﴾[148].

بعد أن ثبتت براءة سيدنا يوسف (υ) من ما أظهره من ثبات وعصمة, وكذلك رؤية النسوة له وما كان منه, وافتضاح أمر امرأة العزيز أمامهن, كان لابد من أن تدبر امرأة العزيز أمراً كي تحفظ ماء وجهها وتقطع كلام الناس عنها, أو أن تجبر سيدنا يوسف (υ) إلى طاعتها فيما تريد, واختارت السجن كي يكون قريباً منها, فعسى أن يغير رأيه ويستجيب لها, وقوله: (حتى حين) يدل على ذلك أي إلى أن ترى ردة فعله في السجن, أو أرادوا سجنه فترة من الزمن إلى أن يهدأ الوضع ويكف الناس عن الكلام.

ذكر النسفي ذلك في تفسيره فقال: "{ثُمَّ بَدَا لَهُمْ} فاعله مضمر لدلالة ما يفسره عليه وهو ليسجننه، والمعنى بدا لهم بداء أي ظهر لهم رأي والضمير في لهم للعزيز وأهله {من بعد ما رأوا الآيات} وهى الشواهد على برءاته كقد القميص وقطع الأيدي وشهادة الصبي وغير ذلك {لَيَسْجُنُنَّهُ}، لإبداء عذر الحال وإرخاء الستر على القيل والقال، وما كان ذلك إلا باستنزال المرأة لزوجها وكان مطواعاً لها وحميلاً ذلولا زمامه فى يدها، وقد طمعت أن يذله السجن ويسخره لها، أو خافت عليه العيون وظنت فيه الظنون فألجأها الخجل من الناس والوجل من الباس إلى أن رضيت بالحجاب مكان خوف الذهاب لتشتفي بخبره إذا منعت من نظره، {حتى حِينٍ} إلى زمان كأنها اقترحت أن يسجن زماناً حتى تبصر ما يكون منه"[149].

148) يوسف 12/ 35.

149) النسفي, *مدارك التنزيل وحقائق التأويل*, 109/2.

ويتضح من النظر في الرأي الذي اتخذوه بسجن سيدنا يوسف (ʊ) يظهر لنا مدى تمسكهم واعتزازهم به , لأن الحادثة لو حصلت في مكان آخر أو مملكة أخرى لكان على أقل تقدير أن ينفى أو يقتل لإخفاء القصة, ولكن العفة التي ظهرت منه زادت في تمسكهم به, كونها ظهرت وأظهرها الله بالدليل, فأضافت شيئاً جميلاً وثميناً إلى جملة من الأوصاف والأخلاق الحميدة جعلت من العزيز وامرأته لا يستطيعون التخلى نهائياً عنه , فكان الرأي أن يسجنوه لفترة معينة حفظاً لماء الوجه.

قوله تعالى :﴿وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ (٣٦) قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ذَلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ (٣٧) وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ (٣٨)﴾[150].

يخبر الباري جل وعلا عن حال سيدنا يوسف (ʊ) في السجن, إذ دخل معه فتيان, وكلمة (معه) تدل على دخولهما معه في الوقت نفسه, وقيل أنهما من خدام الملك, ذكر ذلك النسفي في تفسيره فقال:

"{وَدَخَلَ مَعَهُ السجن فَتَيَانَ} عبدان للملك خبازه وشرابيه بتهمة السم، فأدخلا السجن ساعة أدخل يوسف لأن مع تدل على معنى الصحبة، تقول: خرجت مع الأمير، تريد مصاحباً له، فيجب أن يكون دخولهما

150) يوسف 36/12- 38.

السجن مصاحبين له، {قَالَ أَحَدُهُمَا} أي شرابيه {إِنِّي أَرَانِي} أي في المنام وهي حكاية حال ماضية {أَعْصِرُ خَمْرًا} أي عنباً تسمية للعنب بما يؤول إليه أو الخمر بلغته عمان اسم للعنب {وَقَالَ الآخر} أي خبازه {إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ الطير مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ}، بتأويل ما رأيناه"[151].

إن مدة السجن التي مرَّ بها سيدنا يوسف (υ) والتي تحدث عنها الباري جل وعلا في الآيات المذكورة السابقة من سورة يوسف تظهر مرحلة مختلفة من حياته كقائد, والقارئ لتلك الآيات الكريمة يشعر بأن ما يصدر من كلام يختلف عما سبق بالطريقة والأسلوب, والثقة العالية والتعامل المختلف والتنسيق للمستقبل، والدعوة إلى الله تعالى بطريقة تنم عن علم وحكمة، وتمهيد لمرحلة جديدة من حياة سيدنا يوسف (υ) لا تصدر إلا من شخص يملك ثقة عالية بربه جل وعلا, وتشعر من كلامه أنه بدأ يتعامل مع الأحداث كنبي يحمل رسالة, وكذلك تعامل مع ما يمر به كقائد, إذ بدأ يستشرف المستقبل ويخطط، ويربط الأحداث ويستغل الفرص, وهذه من الصفات المهمة التي ميَّزته كقائد, فلابد أن نعرج عليها بشيءٍ من البيان:

أولاً: ما تكلم به الفتيان في السجن من عرض رؤياهم على سيدنا يوسف (υ) يدل على عمق العلاقة الطيبة بينهم, وعلى التأثر الكبير بشخصيته, يدل على ذلك مدحهم له في الآية الكريمة بقولهم: (إنا نراك من المحسنين)، أي: أنهم عرفوا منه الإحسان في التعامل معهم في السجن.

وهي دعوة لكل قائد أن يتحلى بالطيب من الأخلاق وحسن المعاملة في كل مكان، لأن حسن الخلق يعبر عن دين وعقيدة الإنسان, لاسيما إذا كنت تعيش في مجتمع غير موحد, أو

151) النسفي, *مدارك التنزيل وحقائق التأويل*, 110/2.

مجتمع متعدد الأديان، فإن لحسن المعاملة الأثر الكبير في النفوس, فهو يمنحها الطمأنينة ويلفت الأنظار إلى الفكر الذي يحمله صاحب الخلق الحسن، أو الدين الذي يدفعه على التحلي بالأخلاق الحميدة، التي تجعله يتقبل الآخر وإن كان على غير ملته أو دينه, وهو ذاته الذي حصل مع سيدنا يوسف (υ).

ثانياً: استغلال الفرص من أهم ما يميز القائد الذكي الذي لا يضيع ما يمكن أن يستفيد منه من موقف أو وقت, فحينما سئل سيدنا يوسف (υ) عن تعبير رؤيا صاحبيه في السجن استغل هذا الموقف ليطرح عليهم ما يحمل من رسالة وفكر وعقيدة طمعاً في إيمانهم, فقد أخذ يمارس واجب الدعوة إلى الله تعالى مغتنماً وجوده في السجن, فلم يركن إلى همه ولم ينشغل بنفسه، وإنما تصرف كنبي وقائد يحمل هماً أكبر من وضعه في السجن، وهو دعوة الناس إلى التوحيد وانقاذهم من ذل العبودية لغير الله جل وعلا, لذلك نجد أن الفتيان طرحا عليه موضوع الرؤيا فلم يجبهم مباشرة, وإنما انتقل بهم إلى موضوع يشغله وهو الأهم عنده وهو واجب الدعوة تجاه هؤلاء وإنقاذهم مما هم فيه من الشرك لأنه التمس فيهم إمكانية الحوار والتفهم للآخر, وضمن أنهم سيسمعونه وينصتون إلى كلامه لأنهم ينتظرون أن يفسر لهم منامهم, وهذا أسلوب فريد في اختيار الوقت الذي تضمن فيه الاستماع من الآخر, ونلاحظ أنه قادهم إلى ذلك بتدرج جميل, فقد بدأ مما انتهو به من مدحه بقولهم: (إنا نراك من المحسنين) فأخذ يظهر لهم قدرات وإمكانيات أخرى ليشد أذهانهم إلى الاستماع له, فأخذ يحدثهم عن قدرات أخرى يملكها غير تأويل الرؤى: ﴿قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ذَلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ (٣٧) ﴾، فحدثهم عن معجزة يملكها، وهي علمه بما يأتيهم من طعام إلى السجن قبل أن يصل إليهم, فيصف لهم

ذلك الطعام فيكون كما قال, وأظهر لهم تلك المعجزة طمعا في إيمانهم, وبين لهم أن الذي يملك من قدرات هي ليست قدرات ذاتية وإنما هي قدرات ممنوحة وهبها الله تعالى له, فبهذا الكلام جرَّهم إلى معرفة الله تعالى الذي يعطي هذه القدرات والمعجزات الخارقة للعادة, فأخذ ينتقد من يشرك بالله تعالى بقوله: ﴿إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾، أي: إذا أردتم أن تكونوا مثلي فعليكم بالإيمان بالله تعالى, لأني تركت ملة قوم لايؤمنون بالله ولايؤمنون باليوم الآخر, أي: أني لم أصبح كما ترون حتى تركت عقيدة هؤلاء الناس الذين لايؤمنون بالله تعالى، ثم قال: ﴿وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ (٣٨)﴾. فبعد أن استخدم معهم الرسائل المبطنة لترك الشرك يرشدهم هنا بطريقة وكأنه يقول لهم افعلوا مثلي، ويدعوهم إلى اتباع ملته التي أرشدته ودلته على الله تعالى، وهي ملة آبائه إبراهيم واسحاق ويعقوب, وبين لهم أن دلالتهم له بترك الشرك فضل من الله تعالى, لأن عاقبة الشرك معلومة, وأن أكثر الناس لايشكرون الله تعالى على نعمة التوحيد, كل تلك المقدمات هي دعوة مبطنة لصاحبيه لترك الشرك, وسيتدرج بهم لاحقاً إلى الدعوة الصريحة بعد أن يرى منهم شيئاً من الإصغاء المثمر, هذا التدرج والأسلوب في الدعوة إلى الله تعالى مطالب فيه كل قائد, سواء كان في مجتمع مسلم أو متعدد الأديان, لأن فيه لين وبساطة تستولي على القلوب.

ثالثاً: الحرص الشديد من قبل سيدنا يوسف (υ) على مدار السورة وفي الآيات السابقة خاصة على نسبة ما فيه من نعمة وما لديه من معجزات إلى الله تعالى، وذلك بقوله: ﴿ذَلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي﴾، وكذلك في قوله: ﴿مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ

عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾، فنراه يحرص على نسبة الأشياء الجميلة والنعمة والفضل إلى الله تعالى, فيتبرأ من حوله وقوته إلى حول الله تعالى وقوته ليبين لصاحبيه شيئاً من الربط والصلة والإخلاص بينه وبين الله تعالى, لأنه يريد ربطهم بخالقهم وليس به, وهذا من أهم ماينبغي أن تكون عليه نية الدعاة إلى الله تعالى, فإذا تحسنت صلتهم بالله تعالى جاءهم العطاء وجاءتهم المنح الربانية, فينبغي على الدعاة والقادة وكل من وكل إليه شيء من المسؤولية أن لايغفل عن أسلوب التذكير بالنعمة وإرجاع الفضل فيها على المتفضل الأول وهو الله تعالى, لأن لهذا الأسلوب شأن عظيم في تقوية صلتهم بربهم جل وعلا, فتصلح بذلك قلوبهم, وينعكس ذلك على عمل الجوارح.

رابعاً: التثقيف الواضح من قبل سيدنا يوسف (υ) على ضرورة التصحيح العقائدي, وأنه لابد من الانتقال من العقيدة الفاسدة إلى العقيدة السليمة وذلك باستخدام طريقة (الترك والاتباع) التي عرضها على صاحبيه في السجن بطريقة ذكية ومؤدبة جداً، وهي التحدث عن نفسه ولكنه يقصدهم, حيث تقتضي هذه الطريقة ترك الشرك, وعبر عنها: ﴿إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾، والانتقال إلى العقيدة السليمة وذلك باتباع من سار على منهج التوحيد ودعا إليه, وعبر عنها بقوله: ﴿وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ﴾، وهذا يدعو القادة إلى نشر ثقافة التصحيح العقائدي, وأنه لاعيب في الانتقال من المنهج أو العقيدة الفاسدة إلى الأصح.

خامساً: مرة أخرى نلحظ الأدب الراقي من قبل سيدنا يوسف (υ) وهو يذكر آبائه وأجداده, إذ بدأ بذكر جده لأنه أبو الأنبياء وهو إبراهيم (υ) ثم انتقل إلى جده إسحاق (υ) ثم ذكر والده يعقوب (υ) وذلك بقوله: ﴿وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ﴾، وهذا الترتيب

لايفارق سيدنا يوسف (υ) حينما يذكر من سبقه من أجداده الأنبياء تأدباً معهم, وكأنه يدعوا إلى حفظ الألقاب والمكانة لمن سبقه في ذلك المنهج أو المسار والتأدب معهم وإن ماتوا, فلا يفضل نفسه عليهم, وإنما يذكر فضلهم في هداية الناس إلى منهج التوحيد, فهي إرشاد للقادة بأن يحفظوا الحدود والأدب مع من سبقهم حتى يذكرهم بأدب ويحفظ معهم الحدود من يأتي بعدهم, وكذلك إرشاد الأفراد إلى هذه الآداب والأخلاق النبيلة.

قوله تعالى: ﴿يَاصَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ (٣٩) مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٤٠)﴾ [152].

في هذه المرحلة يكون سيدنا يوسف (υ) قد انتقل مع صاحبيه في السجن إلى الدعوة الصريحة بعد أن كانت رسائل مبطنة, فقد بدأ يشرح ويبين لهم التوحيد, ويقارن بينه وبين تعدد الآلهة وأيهما أفضل, وأهم ما يميز سيدنا يوسف (υ) في هذه الآيات ما يأتي:

أولاً: استخدام الأسلوب الذي يناسب مستوى عقولهم, فهم لايزالون على عقيدة الشرك, لذلك استخدم معهم الدليل العقلي الذي يقود إليه المنطق في الدعوة إلى عقيدة التوحيد, وأخذ يحفز عقولهم ويدعوهم إلى استخدامها في التمييز واختيار الأفضل، وذلك بما يدعوا إليه المنطق, فدعاهم إلى المقارنة بين أن يكون لك ربٌّ واحد وبين أن يكون لك عدة أرباب متفرقون, وذلك بقوله: ﴿يَاصَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾، وهذا الأسلوب

---

152) يوسف 12/39, 40 .

في الدعوة له الأثر الكبير في النفوس, لأنه لا يترك مجالاً للشك, ويقود إلى الإيمان الكبير بالشيء فقد جاء موافقاً للعقل والمنطق, فهي دعوة للقيادات أن لايحجموا عقول الأفراد, و يجب أن يفعل العقل للوصول إلى الإيمان, وأن يسلكوا الأسلوب الأنسب في الدعوة إلى الله تعالى من خلال المعرفة الدقيقة للأشخاص، وما يناسب كل شخصية من أسلوب في الدعوة أو المخاطبة.

ثانياً: من أهم صفات القائد هو القراءة الصحيحة للشخصية وما يؤثر فيها, لأن المعرفة المسبقة للدوافع والمسببات تنفع في تحديد الخلل وتساعد في إصلاحه, فسيدنا يوسف (υ) علم أن المشركين بصورة عامة يركنون إلى صاحب القوة والقدرة, لذلك ذهب إلى التحديد الواقعي لمركز القوة في الكون من خلال الحجة الواضحة, ولعل استخدام اسم الله القهار من قبل سيدنا يوسف (υ) مقصوداً, ليبين للفتيان أن المتصرف في الكون والقاهر لكل شيء هو الله سبحانه وتعالى, والدليل هو ما أظهره لهم من قدرات ومعجزات, أما ما تعبدون من دونه فهي أسماء سميتموها أنتم وليس لها تأثير في الكون, والتصرف والحكم في هذا الكون هو لله تعالى وحده, هذا البيان وتحديد صاحب القوة المطلقة في الكون ضروري لاستقطاب الكثير من أصحاب العقائد الفاسدة, لأنه من طبيعة هؤلاء أن يلجأوا إلى القوي الذي يضمن حمايتهم ويتكفل بقضاء حوائجهم, فبين لهم أن صاحب القوة المطلقة في الكون هو الله تعالى وليس ما تعبدون من آلهة مفترضة لاتنفع ولاتضر, وهو الذي أمر بعبادته, وهو الدّين القيم, وسيدنا يوسف (υ) يرشد القادة في هذا المقام إلى ضرورة القراءة الصحيحة للشخصيات، ومعرفة الدوافع والأسباب التي تؤثر فيها, لتكون تلك الأسباب والدوافع منطلقاً للدعوة، عبر إيجاد الإجابات

المنطقية لتلك الدوافع التي قادت صاحب العقيدة الفاسدة إلى الاعتقاد بها, وكذلك القراءة الصحيحة للشخصية من قبل القائد تمكنه من إيجاد الحلول المناسبة لمشاكل الأفراد.

قوله تعالى:﴿يَاصَاحِبَيِ السِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا وَأَمَّا الْآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ (٤١) وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنْسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ (٤٢)﴾[153].

بعد أن أسهب سيدنا يوسف (υ) في دعوة صاحبيه إلى عبادة الله تعالى، انتقل إلى تأويل ما سألوه عنه, فذكر أن الذي رأى في منامه أنه يعصر خمراً سيعود إلى عمله الأول وينجو ويكون ساقياً للملك ويسقيه الخمر, وأما الذي رأى أنه يحمل فوق رأسه خبزاً تأكل الطير منه فأنه سيقتل ويصلب فتأكل الطير من رأسه, وأن ما سألوا عنه قضي بقضاء الله تعالى, ولا مجال للرجوع فيه, سواء كان المنام حقاً أو أنهما تحالما لاختبار سيدنا يوسف (υ).

والذي يميز سيدنا يوسف (υ) في الآيات الكريمة السابقة الذكر ما يأتي:

أولاً: الصراحة والصدق في التعامل مع صاحبيه في السجن وإن كانوا على غير ديانته, فلم يجامل في تفسيره لرؤياهم, ولم يذكر لهم إلا ما علَّمه الله تعالى, فذكر لهم الحقيقة وإن كانت مرَّة على أحدهما, وهذه المصداقية والشفافية في التعامل يحتاجها الجميع وفي كل زمان, فهي أفضل من المجاملات التي تكون على الأغلب على حساب الدين.

153) يوسف 12/ 41, 42 .

ثانياً: إمكانية الأخذ بالأسباب واستغلال ما يمكن من الفرص للنجاة من الواقع المؤلم, ولا يخلُّ في أصل التوكل على الله تعالى, لذلك نجد أن سيدنا يوسف (υ) قال للذي ظنَّ أنه ناجٍ منهما (اذكرني عند ربك) أي اذكر حالتي للملك, أو صف حالتي وما رأيت من معجزات للملك, يقول الأصبهاني: "والعَرَب كانت تَقُولُ لكُلِّ مَلِك رَبّ"[154] , أما من فسر قوله تعالى: (فأنساه الشيطان ذكر ربه فلبث في السجن بضع سنين) بأن بقاء سيدنا يوسف (υ) مدة إضافية في السجن هو عقوبة له ففيه نظر, لأن الكثير يرون خلاف ذلك, وقالوا بأن الذي نسي ذكر يوسف عند ربه أي عند الملك هو الساقي, وقد ذكر ذلك ابن عطية الأندلسي في تفسيره فقال:

"ومعنى الآية: قال يوسف لساقي الملك حين علم أنه سيعود إلى حالته الأولى مع الملك: اذْكُرْنِي عند الملك، فيحتمل أن يريد أن يذكره بعلمه ومكانته، ويحتمل أن يذكره بمظلمته وما امتحن به بغير حق، أو يذكره بهما, والضمير في أنساه قيل: هو عائد على يوسف (υ)، أي نسي في ذلك الوقت أن يشتكي إلى الله تعالى، وجنح إلى الاعتصام بمخلوق، ... وقيل: إن الضمير في أنساه عائد على الساقي- قاله ابن إسحاق- أي نسي ذكر يوسف (υ) عند ربه، فأضاف الذكر إلى ربه إذ هو عنده، والرب- على هذا التأويل- الملك"[155].

---

154) محمد بن عمر بن أحمد بن عمر بن محمد الأصبهاني أبو موسى المديني، (ت 581هـ), *المجموع المغيث في غريبي القرآن والحديث*, المحقق: عبد الكريم العزباوي, جامعة أم القرى، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية – مكة المكرمة, دار المدني للطباعة والنشر والتوزيع، جدة – المملكة العربية السعودية, ط1, 1986م, 721/1.

155) عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية أبو محمد الأندلسي المحاربي (ت 542هـ), *المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز*, المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد, بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1422هـ, 247/3.

فالمتأمل لسيرة جميع الأنبياء يجد أن جميعهم قد أخذ بالأسباب, فلا معنى بقول بعضهم أن الضمير في (أنساه) يعود على سيدنا يوسف (υ), والمتتبع للآيات اللاحقة يجد أن الله تعالى بين أن الذي نسي هو الساقي، إذ قال تعالى في آية لاحقة: ﴿وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ (٤٥)﴾، أي أن الذي نسي أول مرة هو الساقي, وهو نفسه ادَّكر بعد أمة, إذاً موضوع الأخذ بالأسباب لا غبار عليه, ولا تعد الاستعانة هذه ذلة، وإنما أراد أن يظهر ويبين ماعلَّمه الله تعالى له من قدرات في تأويل الأحاديث, وما يؤيد صحة أخذه بالأسباب هو أن نجاته كانت بأن الساقي ذكره عند الملك وذكر معجزاته وإمكانيته العالية في التأويل, لاسيما بعد أن وقع ما قال لهم من نجاة أحدهما وهلاك الآخر, فهي دعوة لكل مسؤول أو قائد أن يحرص على الأخذ بالأسباب ثم التوكل على الله جل وعلا, فلا مانع من استغلال الأسباب المادية أو المعنوية وتسخيرها لخدمة الدعوة إلى الله تعالى أو خدمة الناس, لأن الأصل في الجميع هو مسبب الأسباب, فقد يسخر لك الأشياء لخدمتك, ولا يخلُّ ذلك في التوكل على الله تعالى, ومن واجب القائد أيضاً أن يعلم الأفراد سنة الأخذ بالأسباب التي شرعها الله تعالى, وعمل بها من سبقنا من الأنبياء والرسل والصالحين من جميع الأمم.

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَاأَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ (٤٣)قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالِمِينَ (٤٤) وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ (٤٥)﴾[156].

156) يوسف 12/ 43- 45.

حينما حان وقت الظهور لسيدنا يوسف (υ) شاء الله تعالى أن يرى ملك مصر رؤيا عجيبة, وهي المذكورة في الآية الكريمة, فطلب تأويلها ممن كانوا يختصون بتأويل الرؤى عنده, فقالوا هي أضغاث أحلام وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين, فقد حجب الله تعالى عن علمهم تأويل هذه الرؤيا لتكون سبباً في نجاة سيدنا يوسف (υ).

قال النسفي: "{قَالُواْ أضغاث أَحْلَامٍ} أي هي أضغاث أحلام، أي تخاليطها وأباطيها وما يكون منها من حديث نفس أو وسوسة شيطان، وأصل الأضغاث ما جمع من أخلاط النبات وحزم من أنواع الحشيش الواحد ضغث فاستعيرت لذلك، والإضافة بمعنى من أي أضغاث من أحلام، وإنما جمع وهو حلم واحد تزايداً في وصف الحلم بالبطلان، وجاز أن يكون قد قص عليهم مع هذه الرؤيا رؤيا غيرها {وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الأحلام بعالمين}، أرادوا بالأحلام المنامات الباطلة، فقالوا ليس لها عندنا تأويل إنما التأويل للمنامات الصحيحة أو اعترفوا بقصور علمهم وأنهم ليسوا في تأويل الأحلام بخابرين"[157].

بعد أن عجز القوم عن تفسير رؤيا الملك قال لهم الساقي الذي نجا من الموت(أنا أنبئكم بتأويله فأرسلون) فقد تذكر بعد زمن طويل ماكان من أمر سيدنا يوسف (υ) في تأويل الرؤى, وخاصةً بعد أن رأى صدق ما أوَّل به رؤياه, وطلب أن يرسله الملك إلى سيدنا يوسف (υ), ويظهر من ذلك أن السجن كان خارج المدينة, فأذنوا له فذهب إلى سيدنا يوسف (υ) في سجنه.

قوله تعالى: ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ (٤٦) قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ (٤٧) ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا

157) النسفي, *مدارك التنزيل وحقائق التأويل*, 114/2.

قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تُحْصِنُونَ (٤٨) ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ (٤٩)﴾[158].

بعد أن دخل الساقي على سيدنا يوسف (υ) أخذ يمدحه لما عرف من طيب معشره, وأنه سليل الأنبياء، ولعلمه بالتأويل، فقال له: ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ﴾، فطلب منه تأويل رؤيا الملك, وقال له (لعلهم يعلمون)، أي لعلهم يعلمون فضلك وقدراتك في التأويل فيكون ذلك سبباً في خلاصك من محنتك, من هذه اللحظة بدأ الفرج المرتقب لسيدنا يوسف (υ), إذ وصل ما أراده أن يصل إلى الملك من خبره حينما قال للساقي: (اذكرني عند ربك), فشاء الله تعالى أن ينسى الساقي أمر سيدنا يوسف (υ) إلى أن رأى الملك رؤياه التي عجز قومه عن تأويلها, فقال الساقي أرسلوني إلى يوسف في السجن فأنه عالم بالتأويل, وقد جربه في ذلك.

> ذكر الزمخشري ذلك في تفسيره فقال: "المعنى فأرسلوه إلى يوسف، فأتاه فقال يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أيها البليغ في الصدق، وإنما قال له ذلك لأنه ذاق أحواله وتعرف صدقه في تأويل رؤياه ورؤيا صاحبه حيث جاءت كما أوّل، ولذلك كلمه كلام محترز فقال لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ، لأنه ليس على يقين من الرجوع، فربما اخترم دونه ولا من علمهم فربما لم يعلموا. أو معنى لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ لعلهم يعلمون فضلك ومكانك من العلم، فيطلبوك ويخلصوك من محنتك"[159].

فبدأ سيدنا يوسف (υ) بتعبير الرؤيا بما آتاه الله تعالى من علم التأويل, فعلم من تلك الرؤيا أنهم سيمرون بسنين عجاف ينبغي الاستعداد لها بطريقة جدية وعلمية, وأخذ يخاطب الساقي وكأنه يأمره لأن الأمر لايستهان به فهو متعلق بحياة الناس, وينبغي أن يؤخذ على محمل الجد, فأرشده إلى

---

158) يوسف 12/46-49 .

159) الزمخشري, *الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل*, 2/476.

خطة عبقرية للنجاة من المحنة القادمة التي تهدد الأمن الغذائي للمملكة, لأنه فسر السبع بقرات السمان بأنها سنين خير، ولكن ستأتي بعدها سبع سنوات عجاف تأكل ما ادخروا من الطعام في السبع السنين السابقة, ثم يأتي من بعدها عام يكثر فيه الغيث ويكثر الخير.

وفي هذه المرحلة برز سيدنا يوسف (ʊ) كنبي وقائد وخبير في الإدارة والاقتصاد, فلابد من التعريج عليها والتحدث عن أهم ما يميز سيدنا يوسف (ʊ) فيها.

أولاً: استغلال الفرص المتاحة للنجاة من قبل سيدنا يوسف (ʊ) يظهر جلياً في هذه المرحلة, لأن الساقي جاء يطلب تأويل رؤيا الملك فلماذا انتقل به سيدنا يوسف (ʊ) إلى إيجاد الحلول للمشكلة القادمة وذلك بوضع الحلول إضافة إلى التأويل ﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ﴾، أي عليكم بالعمل الدؤوب والزراعة في السبع سنين القادمة, وما حصدتم يجب أن يبقى في السنابل ويخزن بهذا الشكل خوفاً عليه من السوس, ولا تفرطوه من سنبله إلا بمقدار ماتحتاجون اليه من الطعام, كل ذلك ليلفت انتباه الملك وعامة الناس أيضاً لأنه يتطلع إلى المستقبل, فهو يدرك أن مسألة رؤيا الملك لابد أن تخرج ويسمع بها الناس, لذلك فإن التأويل الصحيح والتشخيص الدقيق للمشكلة القادمة سيحسب له، وسيكسب ثقة الملك وثقة الناس في مسألة الإدارة والاقتصاد, لاسيما بعد أن وضع لهم سبل النجاة من أزمتهم التي ستحصل في المستقبل القريب, وإذا ما وثق به الناس في أمور معيشتهم ودنياهم فإنهم سيثقون به في أمور دينهم وعقيدتهم إذا دعاهم للتوحيد ونبذ الشرك, وبذلك يكون سيدنا يوسف (ʊ) قد استشرف المستقبل، وهي ميزة مهمة وصفة ثمينة يجب توافرها في كل قائد أو مسؤول, لأن القراءة السليمة للمستقبل ستمكن القائد من البناء الصحيح واتخاذ القرارات الملائمة للقادم من الأيام, وعلى القيادات أيضاً استغلال الفرص

المتاحة استغلالاً جيداً لأنها قد لا تعود, ولاسيما الفرص التي من شأنها إذا ما استغلت بصورة مثالية أن ترفع من شأن الأمة والدّين, وكذلك كل ما فيه مصلحة الناس.

ثانياً: بدا اهتمام سيدنا يوسف (υ) بالتخطيط لمواجهة مشكلة المجاعة القادمة ولم يلتفت إلى الدعوة إلى الله تعالى كما فعل مع رؤيا صاحبيه في السجن, لأن الوقت غير مناسب لطرح هكذا أمور, فمن باب أولى أن يوفر الغذاء للناس, فإذا توفر الغذاء بصورة عادلة كان ذلك سبباً في توفير الأمن, لأن الأمن متعلق بتوفير الخبز للناس, فإذا توفر الأمن الغذائي والأمن العام على حياة الناس بواسطة العدالة كانت الأجواء النفسية والعملية للناس مستعدة لسماع الداعي إلى الله تعالى, لاسيما إذا كان الداعي هو من ساعدهم في محنتهم وشاهدوا حرصه عليهم, لذلك على القيادات أن تختار الوقت المناسب لطرح ماهو مهم على الأفراد أو الجماعات, فقد يكون هنالك ما يشغل الناس، وقد يكون في نظرهم أهم مما يدعوهم إليه فيقابل ذلك الطرح بالرفض.

ثالثاً: المتأمل للآيات الكريمة التي فسر فيها رؤيا الملك يجد براعة وحنكة منقطعة النظير في تحليل المعلومة والاستفادة منها، وإدارة الاقتصاد، وإيجاد الحلول المناسبة لمشكلة يعجز عن حلها ذوي الاختصاص, لأن المتخصص لا يعرف حجم المشكلة القادمة, أما سيدنا يوسف (υ) فقد عرف حجم التحديات التي ستواجه المملكة من خلال رؤيا الملك ومن خلال الكشف الرباني, لأنه ذكر أموراً عند تفسيره للرؤيا ليس لها علاقة بالرؤيا ولم ترد فيها, وهي ذكر العام الذي فيه يغاث الناس وفيه يعصرون.

قال النسفي: "{ثُمَّ يَأْتِى مِن بَعْدِ ذلك عَامٌ} أي من بعد أربع عشرة سنة عام {فِيهِ يُغَاثُ الناس}، من الغوث، أي يجاب مستغيثهم أو من الغيث، أى يمطرون، يقال: غيثت البلاد إذا مطرت،

{وفيه يعصرون} العنب والزيتون والسمسم فيتخذون الأشربة والأدهان تعصرون خمرة، فأوّلَ البقرات السمان والسنبلات الخضر بسنين مخاصيب والعجاف واليابسات بسنين مجدبة، ثم بشرهم بعد الفراغ من تأويل الرؤيا بأن العام الثامن يجيء مباركاً كثيراً لخير غزير النعم وذلك من جهة الوحي"[160].

رابعاً: الخطة المحكمة التي رسمها سيدنا يوسف (υ) وخطط لها تشير إلى العقلية الواسعة التي يتمتع بها, وتشير أيضاً إلى الرؤية الاستشرافية للمستقبل التي يتميز بها, فقد أعد خطة طويلة الأمد لمواجهة المجاعة القادمة تتكون من سبع سنين من العمل الدؤوب في الزراعة, وتخزين ما جمعوه في السبع السنين الخصبة, ومن ثم طريقة التخزين التي لم تكن معروفة في وقتهم, وذلك بترك المحصول في سنبله حتى لايتسوس, وتخزينه في صوامع, وإخراج مقادير محسوبة للطعام, كل تلك الإجراءات تحسباً لسنين القحط السبع التي سيأكلون فيها ما تم تخزينه, فأرشدهم بعد التخطيط إلى التنظيم في الاستخدام للمخزون خلال سنوات القحط, وبهذه الصورة المذهلة من البراعة في التخطيط والتنظيم يكون سيدنا يوسف (υ) قد عرض نفسه كقائد أمام الملك وأمام خاصة الملك, وأمام عامة الناس, بعد هذا العرض المتكامل للمشكلة والحلول المناسبة لها لم يدع سيدنا يوسف (υ) أمام الملك خياراً إلا أن يدهش بتأويل الرؤيا ويدهش أكثر عند سماعه للخطة التي وضعها, فأصبح الملك متشوقاً للقاء هذا العبقري, ومتشوق أكثر ليكون سيدنا يوسف (υ) هو من يشرف ويتابع هذه الخطة, فبعد التخطيط والتنظيم لا ينقصه سوى التنفيذ والمتابعة, وقد نجح سيدنا يوسف (υ) بطرح نفسه بهذه الطريقة الذكية لأن الملك أرسل إليه فيما بعد وطلب منه العمل معه, وبذلك يضيف سيدنا يوسف (υ) ميزة ثمينة إلى جملة مميزات يتميز بها كقائد وهي التسويق الجيد للأفكار, واستثمار القدرات التي منحها الله تعالى

160) النسفي, *مدارك التنزيل وحقائق التأويل*, 115/2.

له في خدمة الأهداف التي يسعى إلى تحقيقها, فإذا توفرت هذه الإمكانيات في التخطيط والتنظيم والإدارة في شخص ما فإنه أولى من غيره في تولي المسؤولية وقيادة الناس.

قوله تعالى:﴿وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ (٥٠) قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدْتُنَّ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ (٥١) ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ (٥٢) وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ (٥٣)﴾[161].

لما سمع الملك ما قاله سيدنا يوسف (υ) من لسان الساقي كأنه وجد ضالته, فقد سارع إلى طلبه, لأنه سمع شيئاً جديداً, وتأويلاً معتبراً, ومنهجاً واقعياً للحلول, لذلك قال الملك: (ائتوني به) لما سمع من حسن خلقه وطيب معشره ورجاحة عقله.

ذكر ذلك ابن كثير فقال: "يَقُولُ تَعَالَى إِخْبَارًا عَنِ الْمَلِكِ لَمَّا رَجَعُوا إِلَيْهِ بِتَعْبِيرِ رُؤْيَاهُ، الَّتِي كَانَ رَآهَا، بِمَا أَعْجَبَهُ وَأَيْنَقَهُ، فَعَرَفَ فَضْلَ يُوسُفَ (υ)، وَعِلْمَهُ [وَحُسْنَ اطِّلَاعِهِ عَلَى رُؤْيَاهُ] وَحُسْنَ أَخْلَاقِهِ عَلَى مَنْ بِبَلَدِهِ مِنْ رَعَايَاهُ، فَقَالَ {ائْتُونِي بِهِ} أَيْ: أَخْرِجُوهُ مِنَ السِّجْنِ وَأَحْضَرُوهُ. فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ بِذَلِكَ امْتَنَعَ مِنَ الْخُرُوجِ حَتَّى يَتَحَقَّقَ الْمَلِكُ وَرَعَيَّتُهُ بَرَاءَةَ سَاحَتِهِ، وَنَزَاهَةَ عِرْضِهِ، مِمَّا نُسِبَ إِلَيْهِ مِنْ جِهَةِ امْرَأَةِ الْعَزِيزِ، وَأَنَّ هَذَا السِّجْنَ لَمْ يَكُنْ عَلَى أَمْرٍ يَقْتَضِيهِ، بَلْ كَانَ ظُلْمًا وَعُدْوَانًا"[162].

ومما سبق من الآيات الكريمة نستلهم ما يأتي:

---

161) يوسف 50/12- 53.

162) ابن كثير, *تفسير القرآن العظيم*, 393/4.

أولاً: لم يرغب سيدنا يوسف (υ) بلقاء الملك وهو بخانة الاتهام حتى تبرَّأ ساحته, ولم يرد أن يخرج للناس مكسوراً, فهو نبي وابن نبي ويحمل رسالة سماوية فيجب أن يظهر براءته أولاً, حتى يعمل بثقة عالية نابعة من صدقه في التعامل, فلا يريد العمل مع الملك وهو يظن فيه خيانة سابقة لسيده, وكذلك تساعده البراءة من التهمة على الانتقال لواجب الدعوة بهمة عالية نابعة من ثقة الناس به, كونه يحمل أخلاقاً عالية تمثلت بعفته عن الحرام ووفائه لسيده وعدم نكران الجميل, كل تلك الأخلاق ستكون دافعاً قوياً للإيمان بما جاءهم به من دعوة لعبادة الواحد القهار ونبذ ماكانوا يشركون به, لذلك لم يسارع في الذهاب مع رسول الملك للقاء الملك وإنما قال له: ﴿قَالَ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ﴾، أي ارجع إلى الملك فليسأل عن حاله مع النسوة اللاتي قطعن أيديهنَّ وكيف رفض ما دعونه إليه, ومن جميل الأدب لم يذكر للملك شأن امرأة العزيز مع ما لحقه منها من ظلم وفاءً لسيده, وإنما أراد أن يعرف الملك خبرها من غيره.

إذاً على من يرغب بتولي شيئاً من أمور الناس أن لا يبقي عليه شائبة في سمعته, أو شكاً في أمانته, فإذا شعر بشيء من ذلك فعليه أن يزكي ساحته قبل أن يتولى المسؤولية أو المنصب, لأن الطهارة المسبقة من العيوب تعطي دافعاً قوياً للعمل, فأغلب الأمور تكون مبنية على الثقة, لاسيما ما يتعلق منها بأمور العقيدة والشرع, فكل الأنبياء والرسل عرفهم الناس قبل النبوة بالأمانة وحسن الخلق وكل الصفات الحميدة, وكذلك من يتولى أمراً من أمور الناس يجب أن يحمل تلك الصفات الحميدة والأخلاق النبيلة التي ستكون سبباً في إقبال الناس عليه واختياره قائداً لهم أو مسؤولاً عن إدارة شؤونهم.

ثانياً: استجابة الملك لطلب سيدنا يوسف (υ) يعكس مدى إعجابه بشخصيته ومدى تمسكه به وطمعه في قربه والعمل معه, إذ وجد الملك في سيدنا يوسف (υ) الحكمة والتأني والصبر والمصداقية، وعدم السعي وراء المناصب كما هو الحال عند باقي الناس أو الحاشية القريبة من الملك, فقد اعتاد الملك على سماع المدح والتأييد لكافة أقواله وأفعاله, أما سيدنا يوسف (υ) فالأمر مختلف معه, فهو يخاطب ويناقش بصورة عملية وواقعية بعيدة عن التملق أو المحاباة, لذلك لفت انتباه الملك, فنجد أن الملك جمع النسوة وسألهنَّ عن حالهنَّ مع سيدنا يوسف (υ), أي يريد الوصول إلى حقيقة الأمر, لأن براءة سيدنا يوسف (υ) مما نسب إليه تنفع الملك أيضاً لأنه ينوي استعماله.

ذكر ابن كثير ذلك في تفسيره فقال: "وَقَوْلُهُ تَعَالَى: {قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدْتُنَّ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ} إِخْبَارٌ عَنِ الْمَلِكِ حِينَ جَمَعَ النِّسْوَةَ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ عِنْدَ امْرَأَةِ الْعَزِيزِ، فَقَالَ مُخَاطِبًا لَهُنَّ كُلَّهُنَّ- وَهُوَ يُرِيدُ امْرَأَةَ وَزِيرِهِ، وَهُوَ الْعَزِيزُ: {مَا خَطْبُكُنَّ} أَيْ: شَأْنُكُنَّ وَخَبَرُكُنَّ {إِذْ رَاوَدْتُنَّ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ} يَعْنِي: يَوْمَ الضِّيَافَةِ؟ {قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ} أَيْ: قَالَتِ النِّسْوَةُ جَوَابًا لِلْمَلِكِ: حَاشَ لِلَّهِ أَنْ يَكُونَ يُوسُفَ مُتَّهَمَا، وَاللَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ "[163].

ثالثاً: سيدنا يوسف (υ) يرشد كل قائد أو مسؤول أن يتحلى بالعفة, وأن يخلص في عمله, وأن يبتعد عن الخيانة, لأن الخائن لا يحصل على الهداية من الله سبحانه وتعالى, بل سيكشف الله تعالى أمره ولو بعد حين, وذلك بقوله: (وأنَّ الله لا يهدي كيد الخائنين)[164] .

رابعاً: الطريقة العجيبة في نزع الاعتراف من امرأة العزيز تكشف عن الشخصية القيادية المحترفة لسيدنا يوسف (υ), إذ طلب من رسول الملك أن يسأل الملك عن شأن النسوة اللاتي

---

163) ابن كثير, *تفسير القرآن العظيم*, 394/4 .

164) يوسف, 52/12.

جمعتهنَّ امرأة العزيز وقطعن أيديهن, وأراد سيدنا يوسف (υ) أن يكون السؤال موجهاً للنسوة وليس لامرأة العزيز حتى يحصل على شهادتهن له بالعفة, وكذلك يوقع الشك في نفس امرأة العزيز أنه لا بد من أن النسوة قد أخبرت الملك عن شأنها ومراودتها لسيدنا يوسف (υ), وبالفعل حصل له ذلك, فقد نفت النسوة عنه التهمة وشهدن له بالعفة, فلم يبقى أمام امرأة العزيز إلا الاعتراف, أي إنه لمن الصادقين بقوله (هي راودتني عن نفسي), وأراد (υ) أن يقوم الملك بالتحقيق بنفسه ليوهم النسوة بأن الملك جاد في معرفة الحقيقة ولا بد من أنه يملك معلومات كافية عن الأمر, لذلك لم تتردد النسوة عن قول الحقيقة, وكذلك امرأة العزيز لم تتردد في ذلك, ولو قام بالتحقيق غير الملك لاختلفت الأمور, وهي طريقة ذكية من سيدنا يوسف (υ) إذ أراد أن تأتي البراءة من فم عدوه لتكون أبلغ في التأثير, ولو أراد لدافع عن نفسه أمام الملك ولكن مع ذلك سيبقى الشك وعدم الثقة يراود النفوس.

خامساً: اختلف المفسرون أيضاً في عائدية قوله تعالى: ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾, فمنهم من نسب القول إلى عزيز مصر ومنهم من نسبه إلى سيدنا يوسف عليه السلام, ومنهم من نسبه إلى امرأة العزيز, وهو قول لا تدل عليه الآية لمعنى بسيط, وهو أن الآية الكريمة جاءت في مقام اتهام النفس, وعادة يأتي هذا الكلام من الصالحين بعد أن يمدحهم أحد أو يكونون في حالة من مدح أنفسهم في شيءٍ ما, وقد ظهر منه مدح النفس في الآية بقوله: ﴿ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ﴾[165] فحينما ثبتت براءة سيدنا يوسف (υ) وظهرت عفته للملك والناس أراد أن

---

165) يوسف, 52/12.

يتواضع لله تعالى فقال: ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[166]، فأراد سيدنا يوسف (υ) أن يبرأ من حوله وقوته إلى حول الله وقوته وينسب الفضل في عفته وعصمته إلى الله تعالى, وختمها بقوله: (إن ربي غفور رحيم) وهذه الأمور من الخوف على النفس من العجب, ورد النعمة والفضل إلى الله تعالى, وكذلك الاعتقاد بالثواب والعقاب لا يكون إلا من مؤمن, وجميع الصيغ تدل على ذلك, فلا يمكن أن يصدر مثل هذا الكلام من امرأة العزيز وهي لم تؤمن بعد, يقول الماوردي في تفسيره:" فيه ثلاثة أوجه: أحدها: أنه قول العزيز أي وما أبرىء نفسي من سوء الظن بيوسف.....,الوجه الثاني: أنه قول امرأة العزيز وما أبرىء نفسي إن كنت راودت يوسف عن نفسه لأن النفس باعثة على السوء إذا غلبت الشهوة عليها,....., الوجه الثالث: أنه من قول يوسف"[167] ,

مما سبق يبدو أن سيدنا يوسف (υ) وكأنه يمهد لتوبة امرأة العزيز, فمن خلال حديثه عن النفس وأن النفس أمارة بالسوء يريد أن يوصل رسالة للجميع بأن الخطأ ممكن حصوله من أي أحد لولا رحمة الله تعالى وعصمته لبعض الناس, وهذا الخطأ لا يعد عائقاً أمام من يريد التوبة والرجوع إلى الله تعالى, والمقصود أنه لا يريد التشهير بزوجة العزيز لأن مثل هذا الأمر ممكن الحدوث, فلا يريد أن يقلل من شأنها أحد, ورسالته لكل قائد أو مسؤول أن لا يغتر بعمله, ولا يجرح من ابتلاه الله تعالى بشيء من الذنوب, ومن عصمه الله تعالى فلا يغتر بذلك لأن اصل العصمة ومنع حدوث الشيء

166) يوسف, 53/12.

167) الماوردي, *النكت والعيون*, 48/3.

هو من الله سبحانه, وقد أشار في ختام الآية لمن يريد التوبة بقوله: ﴿إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ولم يكن غيرها في هذا المقام يحتاج إلى التوبة.

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ (٥٤) قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ (٥٥) وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (٥٦) وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (٥٧)﴾[168].

لما أخبر الساقي الملك بتأويل رؤياه من قبل سيدنا يوسف (ʊ) في المرة الأولى أراد الملك استدعائه ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ﴾، فلما ثبتت برائته وسمع ماسمع من براعته في التأويل وحنكته في إدارة الاقتصاد تغيرت صيغة الاستدعاء هذه المرة إذ جاءت أكثر ترغيباً في المجيء ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي﴾، أي اجلبوه كي أجعله من خاصتي, وقد جاء في أوضح التفاسير قال:" حين وضح له علم يوسف، ورسوخ قدمه وفضله، وبراءته مما نسب إليه (ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي) أي أجعله من خلصائي وأصفيائي"[169] ,فلما كلمه وحسب ما ذكره المفسرون أنه سأله عن تفسير رؤياه؟ فقال: أحب أن أسمعها منك, فذكر له الرؤيا وتفسيرها فزاد إعجابه به، فقال له: ﴿قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾، أي إنك من اليوم لدينا ذو مكانة ومنزلة عالية.

ومن أهم ما يميز سيدنا يوسف (ʊ) في الآيات السابقة ما يأتي:

---

168) يوسف 54/12- 57.

169) محمد محمد عبد اللطيف بن الخطيب (ت 1402هـ), *أوضح التفاسير*, المطبعة المصرية ومكتبتها, ط6, 1964م, 287/1.

أولاً: يتبين لنا من لقاء سيدنا يوسف (υ) مع الملك أنه يمتلك وسائل وأساليب عالية في إقناع المقابل بما لديه من قدرات, لا سيما وأن من يقابله ليس شخصاً بسيطاً, وإنما هو ملك يقود مملكة عظيمة في وقته, والخطأ أمامه يكلف كثيراً, مع ذلك فقد أظهر سيدنا يوسف (υ) براعة في إقناع الملك وكسب ثقته, فسارع الملك في منحه القرب والمكانة التي يستحقها وبجدارة, فهي رسالة لكل من يقود الناس أن يجتهد في حسن البيان في مثل هذه المواقف, أو يختاروا من يمتازوا بهذه القدرة في البيان والإقناع ليمثلوهم في المقابلات أو المنتديات, واختيار من يمثلهم في الخارج بعناية.

ثانياً: لما تيقن سيدنا يوسف (υ) برغبة الملك في استعماله اختار أن يكون على خزائن مصر لأسباب ذكر جزءاً منها؛ ﴿قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾، أي إني أمين على تلك الخزائن وعليم بطرق التصرف بها وحسن إدارتها.

> وقد ذكر ذلك النسفي في تفسيره فقال: "{قال! يوسف {اجعلني على خزائن الأرض} ولني على خزائن أرضك يعني مصر، {إِنّى حَفِيظٌ} أمين أحفظ ما تستحفظنيه، {عَلِيمٌ} عالم بوجوه التصرف وصف نفسه بالأمانة والكفاية، وهما طلبة الملوك ممن يولونه، وإنما قال ذلك ليتوصل إلى إمضاء أحكام الله تعالى، وإقامة الحق وبسط العدل والتمكن، مما لأجله بعث الأنبياء إلى العباد، ولعلمه أن أحداً غيره لا يقوم مقامه في ذلك، فطلبه ابتغاء وجه الله لا لحب الملك والدنيا "[170].

ومن الأسباب الأخرى التي دفعته إلى التولي على خزائن الأرض هو رحمته بالناس وإن كانوا على غير دينه, لأنه عرف أنه ستأتي على الناس سنين قحط ومجاعة, ولن يستطيع أحد أن يدير اقتصاد الناس كما يديره هو كونه أميناً وعليماً وفقاً لما علَّمه الله تعالى, ولا يوجد من

---

170) النسفي, *مدارك التنزيل وحقائق التأويل*, 119/2 .

هو أحرص منه على الناس وفقاً لما يحمل من تقوى لله عز وجل, لذلك طلب التولي على خزائن الأرض, ولو علم أن في المملكة من هو أفضل منه لما طلب ذلك, لأن السنين المقبلة عليهم بحاجة إلى علم وأمانة وحكمة ومساعدة الوحي, ولا تتوفر تلك المواصفات إلا في سيدنا يوسف (υ), من ذلك استدل العلماء (ψ) إلى أنه يجوز للمؤمن أن يعرض خدماته ويبين قدراته ويظهر أمانته إذا أمن على نفسه من العجب والرياء, وبالأخص إذا كان القصد من ذلك هو خدمة الناس بغض النظر عن انتمائهم وعقيدتهم, واستدلوا أيضاً إلى جواز العمل أو تولي منصب لدى الحاكم الكافر إذا كانت الغاية من ذلك هو خدمة الناس عامة، وإظهار ما في الدين من أمانة وصدق في التعامل, فإن ذلك يقود الناس إلى اعتناق الدين نفسه الذي يعتنقه القائد أو المسؤول الذي أعانهم في محنتهم، وحرص على توفير احتياجاتهم, وفي ذلك دعوة لكل من يتولى شيئاً من أمور الناس أن يسعى لخدمتهم دون النظر إلى عقيدتهم لأن الجميع أخوة في الإنسانية, وهذا ما فعله النبي (ε) فلم يمنع الصدقة على فقراء الكفار.

وهذا العرض لفعل سيدنا يوسف (υ) فيه توجيه واضح للنبي (ε) كونه مقبل على الهجرة إلى المدينة في فترة نزول سورة يوسف (υ), لأن المدينة المنورة كانت متعددة الأديان, والذي يروم قيادتها عليه بالتحلي بصفات سيدنا يوسف (υ), إذ كان همه منفعة الناس وتوفير الأمن الغذائي لهم الذي بدوره سيوفر الأمن العام للناس.

ثالثاً: مرة أخرى يمدح الله تعالى سيدنا يوسف (υ) بقوله: ﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (٥٦) وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (٥٧)﴾، أي أن التمكين لسيدنا يوسف (υ) حصل برحمة الله تعالى التي يصيب بها من يشاء, وذكر أسباب تلك الرحمة به والأعمال التي توجب الرحمة والعون من الله تعالى، وذكر

منها الإحسان إلى الناس، إذ قال تعالى: ﴿وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾، أي أن الإحسان إلى الناس له مكانة عند الله تعالى ولن يضيع الله تعالى أجر المحسنين, وسيكون جزائهم في الدنيا العون والمدد من الله سبحانه وتعالى وأجر الآخرة سيكون أكبر, والسبب الآخر الذي ذكره الله سبحانه في الآية الكريمة و يوجب الرحمة هو الإيمان بالله تعالى والتقوى، كما ورد بقوله تعالى: ﴿وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾، أي فضلاً عن أجر الدنيا سيكون أجر الآخرة خير للذين آمنوا وكانوا يتقون, وهذه المنح لا تقتصر على سيدنا يوسف (ʋ) وإنما هي ستكون لكل من يعمل مثل عمله سواء كان فرداً أو جماعة أو مسؤولاً, شريطة أن يكون مؤمناً ومحسناً وصاحب تقوى، فإنه سيحصل على التمكين ونيل الرحمة من الباري سبحانه.

> ذكر ذلك النسفي في تفسيره فقال: "{ولأجر الآخرة خير للذين آمنوا} يريد يوسف وغيره من المؤمنين إلى يوم القيامة، {وَكَانُواْ يَتَّقُونَ} الشرك والفواحش. قال سفيان بن عيينة: المؤمن يثاب على حسناته في الدنيا والآخرة، والفاجر يعجل له الخير في الدنيا وماله في الآخرة من خلاق، وتلا الآية" [171].

فلك أن تتخيل مثل هذا التمكين سيكون من نصيب كل مؤمن محسن وتقي, فإذا توفرت تلك المواصفات في شخص ما فهو المفضل في أن يتولى شؤون الناس.

قوله تعالى: ﴿وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ (٥٨) وَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ قَالَ ائْتُونِي بِأَخٍ لَكُمْ مِنْ أَبِيكُمْ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ (٥٩) فَإِنْ لَمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي وَلَا تَقْرَبُونِ (٦٠) قَالُوا سَنُرَاوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ (٦١)

---

171) النسفي, *مدارك التنزيل وحقائق التأويل*, 120/2.

وَقَالَ لِفِتْيَانِهِ اجْعَلُوا بِضَاعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (٦٢)[172].

لما صار سيدنا يوسف (υ) مكان العزيز وتولى أمر خزائن مصر ودبرها أحسن تدبير دخلت عليهم سنوات القحط والجوع, فصار الناس يأتون إليه ليمتاروا ويسدوا جوعهم, فأخذ يعطي الناس بعدالته التي عرف فيها, وكان قد احتاط لمثل هذا اليوم فخزن الحبوب بسنابلها, فيكون الحب من نصيب البشر والأعلاف من نصيب الدواب, وكان قد أصاب أرض كنعان وبلاد الشام مثل ما أصاب مصر من سنين الجدب والمجاعة, لذلك أرسل سيدنا يعقوب (υ) أبنائه للميرة فعرفهم سيدنا يوسف (υ) وهم له منكرون.

وأهم ما يميز سيدنا يوسف (υ) في هذه الآيات ما يأتي:

أولاً: الحلم والأناة التي يتمتع بها سيدنا يوسف (υ) إذ لم تظهر عليه نزعة الانتقام حين لقائه مع إخوته بالرغم مما فعلوه به, وإنما أظهر لهم الترحيب والإكرام, وجهزهم بالطعام وردَّ عليهم البضاعة التي جلبوها ليشتروا بها الطعام دون علمهم, وهي زيادة في الإكرام, وهي رسالة للنبي (ε) أن الله تعالى سيكتب لك التمكين كما كتب ليوسف (υ) فالواجب أن يكون العفو منك عند المقدرة, وهذا ما فعله النبي (ε) عند فتح مكة حينما قال لأعدائه اذهبوا فأنتم الطلقاء, وهي دعوة لكل الناس والقيادات منهم خاصة أن يتحلوا بالعفو والتسامح عند تمكنهم من عدوهم أو من خالفهم, لأن نشر ثقافة العفو والتسامح يسهم كثيراً في بناء البلدان, ويقرب القلوب لبعضها, ويقطع دابر الشيطان.

---

172) يوسف 12/58-62 .

ثانياً: الحس الأمني الكبير الذي يتمتع به سيدنا يوسف (υ), والذي ظهر عبر السعي الحقيقي لمعالجة الخلافات السابقة ولم شمل الأسرة، فقد اتخذ عدة إجراءات للتأكد من صلاح إخوته قبل أن يضمهم إليه, ومنها ما يضمن عودة إخوته مرة أخرى, فقد طلب منهم أن يأتوا بأخيهم الذي تركوه عند أبيهم ورغبهم في ذلك بقوله: ﴿وَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ قَالَ ائْتُونِي بِأَخٍ لَكُمْ مِنْ أَبِيكُمْ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ﴾، أي رغبهم بكرمه وأوفى لهم الكيل وقيل أعطاهم حصة أخيهم الذي تركوه شريطة أن يأتي معهم في المرة القادمة.

والإجراء الثاني الذي اتخذه سيدنا يوسف (υ) لضمان عودة إخوته هو تحذيرهم والتشديد عليهم أن لايأتوا من دون أخيهم الذي تركوه عند أبيهم، فقال مخاطباً لهم: ﴿فَإِنْ لَمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي وَلَا تَقْرَبُونِ﴾.

والإجراء الثالث أنه أمر أن ترد لهم بضاعتهم وتوضع في رحالهم، فإن كانوا مؤمنين فلابد أن يرجعوا البضاعة لأهلها, وإن كانوا غير ذلك فلابد أن يجبرهم سيدنا يعقوب (υ) على الرجوع كونه نبي ولا يقبل شيءً من الحرام لأن البضاعة كانت ثمناً للطعام, وفي كلا الحالتين يضمن عودتهم إليه, كل تلك الإجراءات والتدابير ليضمن أن يأتوا بأخيه معهم ربما ليستفهم منه عن أحوال أبيه أو تعامل إخوته معه, وربما أراد أن يتأكد من صلاح إخوته قبل أن يعرِّف بنفسه كي لا يلحقه ضرر منهم إذا ماضمهم إليه, فأراد أن يستفهم من أخيه بنيامين عن إخوته الباقين هل تغيرت أفعالهم وتصرفاتهم كي يقربهم, وهذا يرشد جميع القادة إلى ضرورة التحري وطلب المعلومات عن الشخص الذي يسعون إلى تقريبه منهم أو في النية أن يولوه مسؤولية ما, كي يضمنوا سلامتهم ويحافظوا على سمعتهم من أن يخدشها قريب أو بعيد.

قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٦٩) فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ (٧٠) قَالُوا وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِمْ مَاذَا تَفْقِدُونَ (٧١) قَالُوا نَفْقِدُ صُوَاعَ الْمَلِكِ وَلِمَنْ جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ (٧٢) قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ (٧٣) قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ (٧٤) قَالُوا جَزَاؤُهُ مَنْ وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ (٧٥) فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وِعَاءِ أَخِيهِ كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ (٧٦) قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنْتُمْ شَرٌّ مَكَانًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ (٧٧)﴾[173].

لما أراد سيدنا يوسف (υ) من إخوته إحضار أخيه بنيامين وافق سيدنا يعقوب (υ) على إرساله معهم بعد أخذ المواثيق منهم على حمايته, فلما دخلوا على سيدنا يوسف (υ) آوى إليه أخاه, أي ضمه إليه, ثم أخذ سيدنا يوسف (υ) يدبر أمراً لبقاء أخيه بنيامين عنده, فلما جهز إخوته بالميرة كي يعودوا إلى سيدنا يعقوب (υ) وضع السقاية وهي الإناء الذي يشرب فيه الملك في رحل أخيه, قيل أنه من فضة وقيل أنه من ذهب, ثم صاح بهم صائح أيتها العير إنكم لسارقون, وكان من أعرافهم أن الذي يسرق يبقى عبداً لمن سرقه, وبهذه الحيلة أراد سيدنا يوسف (υ) أن يبقي أخاه معه, وبالفعل حصل ذلك بعد أن فتشوا الجميع وأخرج الوعاء من رحل أخيه بنيامين.

والذي يميز سيدنا يوسف (υ) كقائد في هذه المرحلة وحسب الآيات السابقة المذكورة ما يأتي:

---

173) يوسف 12/ 69- 77.

أولاً: التأني الشديد وعدم كشف الحال من قبل سيدنا يوسف (υ)، إذ تريث طويلاً قبل أن يعرّف عن نفسه لإخوته, خوفاً من أن يلحق به ضرر إذا علم الملك أو الناس أنهم إخوته, فأراد التثبت والتأكد من صلاح نياتهم وتغير افعالهم قبل أن يعرّف عن نفسه, لأن المؤمن لا يلدغ من جحر مرتين, وإلا كان من الممكن أن يخبرهم عن نفسه من أول لقاء, وكان يثق بأخيه من أمه وأبيه وهو بنيامين, لذلك قربه كي يعرف التفاصيل جميعها فيما يخص إخوته وأبيه, لذلك بمجرد دخولهم إليه آوى إليه أخاه بنيامين, ولم يتسرع بالتعريف عن نفسه أمام إخوته, فهذا التأني يعكس صورة القائد الذي يحرص على مستقبله ومستقبل من هم في مسؤوليته, ولايتسرع في كشف المعلومة, فالسرّية مطلوبة خصوصاً في الأماكن الحساسة وذات المسؤولية العالية.

ثانياً: حسن التدبير والمكر الحسن الذي يمتاز به سيدنا يوسف (υ), فحينما وضع السقاية في رحل أخيه وصاح بهم إنكم لسارقون، قالوا: ما جئنا لنسرق، فسألهم عن عقوبة من يجدوا السقاية في رحله, لأنه عرف أنهم سيحكمون بشريعتهم وهي توافق مراده, وهي أن يسترِقه المسروق, أما في شريعة الملك فكانت العقوبة هي الضرب أو الحبس أو الغرامة وهي لا تخدم ما يصبو إليه سيدنا يوسف (υ), وكل هذا التدبير كان بفضل الله سبحانه وتعالى، إذ قال ﴿كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾، والعاقل يفهم من ذلك أن من يمكر مكراً حسناً أو يدبر أمراً يريد به الخير يعينه الله تعالى عليه, فحينما علم الله نية سيدنا يوسف (υ) باستخدامه حيلة الوعاء المسروق أعانه في ذلك, وكل ما حصل هو بإذن الله جل وعلا, فمهما كان ذكاء ودهاء سيدنا يوسف (υ) فإن أمراً لن يحصل إلا بأذن الواحد الأحد سبحانه, ومهما بلغ من العلم فإن فوقه عليم يدبر أمره ﴿نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾، فعلى القائد أن لا يعجز عن

الحيلة والتدبير للوصول إلى ما فيه جلب المصالح للناس أو دفع المفاسد عنهم، واستخدام وتسخير ما يملك من علم ودراية في سبيل الوصول للأهداف المرسومة, ويجب أن لا يغيب عن ذهنه أن الله تعالى معه إذا صدقت النيات، وأن شيئاً لن يحدث مما دبّر إلا بإذن الله تعالى.

ثالثاً: عدم الانتصار للنفس وكظم الغيظ والسعي نحو الهدف الأعظم وهو مرضاة الله سبحانه وتعالى, فحينما أُخرجت السقاية من رحل بنيامين تكلم إخوته ﴿قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنْتُمْ شَرٌّ مَكَانًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ﴾، هم يقصدون سيدنا يوسف (υ) حينما كان صغيراً.

يقول ابن عجيبة: " يقول الحق جلّ جلاله: قال إخوة يوسف، لما ظهرت السرقة عليهم: إِنْ يَسْرِقْ بنيامين فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ، فهذا الأمر إنما صدر من ابْنَيْ راحيل، لا منا، قصدوا بذلك رفع المضرة عن أنفسهم، ورموا بها يوسف وشقيقه"[174].

فقد كظم سيدنا يوسف (υ) غيظه على إخوته حينما نسبوا السرقة إليه وإلى أخيه بنيامين وزكوا أنفسهم من السيء من الأعمال التي اقترفوها معه ومع أخيه, وكظم الغيظ لا بد منه لقائد مثل سيدنا يوسف (υ) كونه نبي ويحمل رسالة ربه إلى البشرية, ولو قابل الإساءة بمثلها لتعقدت الأمور ولم يبقى مكاناً للعفو أو التسامح, وهي صفات يجب أن يحملها كل قائد أو مسؤول عن شيء من أمور الناس لأنها تقود إلى الألفة والمحبة.

174) أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني أبو العباس الأنجري الفاسي الصوفي (ت1224هـ), *البحر المديد في تفسير القرآن المجيد* , المحقق: أحمد عبدالله القرشي رسلان, القاهرة, الناشر: حسن عباس زكي, ط1, 1419هـ, 616/2 .

قوله تعالى:﴿قَالُوا يَاأَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ (٧٨) قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِنْدَهُ إِنَّا إِذًا لَظَالِمُونَ (٧٩)﴾[175].

بعد أن أخذ سيدنا يوسف (υ) أخاه بنيامين بداعي السرقة وأبقاه عنده حاول إخوته استعطافه, فقالوا إن له أباً شيخاً كبيراً فخذ أحدنا بدلاً عنه, لأنهم أعطوا المواثيق لأبيهم للحفاظ عليه فكيف سيبررون ذلك, وأخذوا يمدحون سيدنا يوسف (υ) بما كان منه من إحسان عليهم رجاء أن يترك بنيامين ويأخذ غيره منهم, فرفض ذلك واستعاذ بالله أن يأخذ غير الجاني لأن هذا من الظلم, وامتاز سيدنا يوسف (υ) في هذا المقام بما يأتي:

أولاً: الثبات والإصرار على تحقيق الأهداف بعيداً عن التأثيرات الخارجية والعواطف, فحينما حاول إخوته استعطافه لترك بنيامين وأن يأخذ أحدهم مكانه رفض ذلك وأصرَّ على بقائه عنده, لأنه قد رسم أهدافاً في داخله يريد الوصول إليها, لأنه يعلم أن ما ينتظرهم وينتظر أباهم خيراً لهم, فاختار الأفضل والدائم لهم وهو لم شمل الجميع بعد التأكد من صلاحهم وصدقهم معه, ولو ذهب معهم فيما اقترحوا عليه لاتهم في عدالته, وهذا يدعو كل صاحب قرار أن لايؤثر على قراره شيء إن كان متأكداً من صحة وصواب قراره, وأن يقارن بين الخيارات المتاحة ويختار الأفضل والأنسب منها.

ثانياً : شهادة إخوته له بالإحسان تظهر مدى إكرامه لإخوته بالرغم مما فعلوه به, قال الثعلبي في تفسيره: " (إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ) في أفعالك, وقيل: إلينا"[176] , وتظهر شهادتهم أيضاً

175) يوسف 12/ 78- 79 .

الصبر الكبير الذي يتحلى به سيدنا يوسف (υ), إذ كظم غيظه ولم يبدر منه أي عمل يشعرهم بأنه يحمل ضغينة عليهم, وبالرغم من استفزازهم له في الحديث عن بنيامين حينما قالوا: إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل، فإنه لم يتغير عليهم, فأجمل ما يتحلى به صاحب المسؤولية في الأسرة أو المجتمع بصورة عامة هو الصبر وكظم الغيظ وعدم قطع النعمة والرزق عن أحد بسبب الانتصار للنفس, أو بسبب ذنب قديم قد يكون الشخص قد تاب منه, وأن يتحلى القائد بسعة صدر تسع جميع من هم في مسؤوليته, وحكمة تحتوي جميع العقول.

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَاأَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ (٨٨) قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ (٨٩) قَالُوا أَإِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (٩٠) قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ (٩١) قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (٩٢)﴾[177].

لما قدم إخوة سيدنا يوسف (υ) في المرة الثالثة قالوا يا أيها العزيز مسنا وأهلنا الضر أي الجوع والحاجة, وجئنا ببضاعة مزجاة أي بسيطة ورخيصة فأوف لنا الكيل وتصدق علينا لأن بضاعتنا لا تكفي أجر الطعام, عند ذلك قرر سيدنا يوسف (υ) أن يخبرهم بحاله ويعرّف عن نفسه, فقال:

---

176) أحمد بن إبراهيم أبو إسحاق الثعلبي (ت 427 هـ), *الكشف والبيان عن تفسير القرآن*, أشرف على إخراجه: د. صلاح باعثمان، د. حسن الغزالي، أ. د. زيد مهارش، أ. د. أمين باشه, أصل التحقيق: رسائل جامعية (غالبها ماجستير) لعدد من الباحثين, دار التفسير، جدة – المملكة العربية السعودية, ط1, 2015م, 105/15.

177) يوسف 88/12- 92.

هل علمتم مافعلتم بيوسف وأخيه إذ أنتم جاهلون, فقالوا بطريقة الاستفهام أو بالجواب: ﴿قَالُوا أَإِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾، حينئذٍ اعترفوا بأن الله تعالى فضّله عليهم واعترفوا بخطأهم تجاهه, وفي الآيات السابقة صفات عظيمة امتاز بها سيدنا يوسف (ʊ) منها:

أولاً: التماس العذر المسبق للخاطىء وهذا يساعد كثيراً في تذليل العقبات ورفع الحواجز النفسية بين المتخاصمين, ويفسح المجال أمام لغة العفو والتسامح, وهذا ما فعله سيدنا يوسف (ʊ) حينما عاتب إخوته، ﴿قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ﴾ فاختار لفظة الجهل وحمل شنيع فعلهم عليها, فلا يريد إيلامهم بالطريقة التي لا تجعل فرصة لحل الخلاف ومعالجة الأخطاء.

وقد ذكر السمعاني في تفسيره قال: "وَقَوله: {إِذْ أَنْتُم جاهلون} مَعْنَاهُ: إِذْ أَنْتُم آثمون عاصون، وَعَن ابْن عَبَّاس قَالَ: إِذْ أَنْتُم صبيان، وَعَن الْحسن قَالَ: إِذْ أَنْتُم شُبَّان وَمَعَكُمْ جهل الشبَّان".[178]

وهذا هو دأب الذين يحملون رسالة عظيمة للإنسانية جميعاً, فالذي يشغلهم هو مرضاة الله تعالى وليس الانتصار للنفس أو التشفي بالآخرين, وإنما الأجدر بهم هو التماس العذر والتفكير في المستقبل الذي يبدأ بإصلاح النفوس والحث على الوحدة وعدم التفرق, وهذا الأسلوب يجب على كل قائد أن يستعمله فهو يجمع ولا يفرق, ويصلح أكثر مما يفسد.

178) منصور بن محمد بن عبد الجبار بن أحمد المروزي أبو المظفر السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (ت 489هـ), *تفسير القرآن*, المحقق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم, الرياض- السعودية، دار الوطن، ط1، 1997م, 61/3.

ثانياً: معرفة الفضل لأهله وعدم الاغترار بالحال, فحينما عرَّف عن نفسه وعرفه إخوته سارع إلى نسب ما هم فيه من النعمة إلى الله تعالى، ويذكِّر إخوته أن هذه النعمة كانت نتيجة الصبر والتقوى, وهي رسالة للجميع أن من يتقِ ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين, وسيحصلون على النصر والتمكين من الله سبحانه وتعالى بصبرهم وتقواهم وحسن أعمالهم.

ثالثاً: المسارعة في العفو والتأني في العقوبة دليل على سلامة الصدر من الغل والحقد, وهذا ما امتاز به سيدنا يوسف (υ), فحينما اعترف إخوته بخطأهم وشنيع فعلهم معه لم تحدثه نفسه بالانتقام, وإنما جميع ما فعل تجاههم هي إجراءات احترازية للتأكد من صلاحهم, وهذا جواب من يقول لماذا لم يعرِّف عن نفسه من أول لقاء بينهم؟ ولماذا تركهم يرجعون إليه ثلاث مرات؟ فكل ذلك تحسباً لما قد يبدر منهم من شر, فلا يريد أن يقربهم قبل أن يضمن صلاحهم النفسي, أي تخليهم عن الحقد والغل والحسد, وبعد أن وجد فيهم ما تطمئن به نفسه صرَّح لهم عن نفسه, ولم يتريث في العفو عنهم والدعوة لهم بالمغفرة ﴿قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ فقد قابل سيئتهم بإحسانه, وأطفأ نيران حقدهم وحسدهم بعفوه, وزادهم على ذلك بالدعاء لهم بالمغفرة, أي تخلى عن حقه في حسابهم في الآخرة على ما فعلوا معه, فأي نقاء وأي نبل وأي سلامة صدر هذه, فسلامة الصدور من أهم ما يميز القائد أو المسؤول, فهي قربة من الله جل وعلا وقربة من قلوب الناس, والأهم من ذلك أن سلامة الصدور توجب الرحمة والمغفرة من الله سبحانه وتعالى, لأن الراحمون يرحمهم الرحمن بدليل أنه ختم الآية بقوله ﴿يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ أي أني رحمتكم وغفرت لكم والله تعالى بالتأكيد هو أرحم مني بكم لأنه أرحم الراحمين.

قوله تعالى:﴿اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ (٩٣)﴾[179].

بعد ما عرف إخوة يوسف بأن العزيز هو أخوهم يوسف عليه السلام وزال العتب بعد العفو والمغفرة آن الأوان كي يلم شمل العائلة ويضمهم إليه , فقال لهم اذهبوا بقميصي هذا فألقوه على وجه أبي يأت بصيراً بعد أن فقد بصره من شدة حزنه على يوسف (ʊ), يقول الهروي في كتابه الغريبين في القرآن والحديث:"وقوله تعالى: (يأت بصيرًا) أي: يعد بصيرًا كقوله: {فارتد بصيرًا}"[180] , وفي هذا المقام يلفت الأنظار سيدنا يوسف عليه السلام إلى شيء جديد من مميزاته وهي:

أولاً: ظهور معجزة القميص بعد رميه على وجه سيدنا يعقوب (ʊ) تشير إلى مرحلة جديدة من حياة سيدنا يوسف (ʊ), إذ كانت المعجزات غير ظاهرة منه للناس, أما في هذه المرحلة فقد تعمد إظهار المعجزة أمام إخوته وأمام الناس, وهي معجزة رد البصر لأبيه, فقد تشير إلى التعامل مع الناس كنبي فضلاً عن كونه قائد بعد هذه المرحلة, والبدء بدعوة الناس إلى عبادة الواحد الأحد, وقد يساعده إخوته وأباه في ذلك بعد لم شمل العائلة جميعاً, وبالرغم من اختلاف المفسرين في ماهية هذا القميص إلا أن النتيجة واحدة وهي حصول المعجزة به.

وبالتأكيد هذا الظهور للمعجزة كان بأمر من الله سبحانه وتعالى, فهو سبحانه من اختار له توقيت الظهور ودعوة الناس, يقول ابن جزي: " (يَأْتِ بَصِيراً) الظاهر أنه علم ذلك بوحي

---

179) يوسف 93/12.

180) أحمد بن محمد الهروي (ت 401 ه), *الغريبين في القرآن والحديث*, تحقيق ودراسة: أحمد فريد المزيدي, قدم له وراجعه: أ. د. فتحي حجازي, مكتبة نزار مصطفى الباز – المملكة العربية السعودية, ط1، ١٩٩٩م, 42/1.

من الله"[181], وهذا ينفع القادة في اختيار الوقت المناسب لإظهار القوة, واستغلال الأوقات المناسبة لإظهار الهيبة التي تقود الرعية إلى الطاعة.

ثانياً: الدراسة المعمقة للأمور ومعرفة الأوقات المناسبة لطرح الأفكار والمعتقدات الجديدة على الناس, فيبدو أن سيدنا يوسف (υ) قد وجد الوقت مناسباً لالتحاق أبيه وإخوته به, وقد يكون الملك قد آمن في ذلك الحين أو أنه مستعد للإيمان بعد ما رأى من عفة وأخلاق وحكمة سيدنا يوسف (υ), لذلك طلب سيدنا يوسف (υ) من إخوته فقال: ﴿وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ﴾، فقد شعر بأن الملك يتقبلهم في مملكته, وكذلك الناس سيرحبون بهم لما رأوا من شأن سيدنا يوسف (υ), فيكون بذلك قد اختار الزمان والمكان المناسبين للدعوة, فمصر كانت مملكة عظيمة وكثيرة السكان فلا يصح أن يترك أهلها على الشرك, وقد يجد آذاناً صاغية أفضل من المكان الذي كان فيه, وهذا ماحصل مع نبينا (ε) أيضاً, فقد وجد فسحة للدعوة في المدينة المنورة أفضل منها في مكة, فكان زمان الهجرة ومكانها فيه من الخير الكثير في جانب الدعوة إلى الله تعالى, وهي رسالة لكل قائد أو مسؤول أن لا يهمل مسألة الظرف الزماني والمكاني واختيار الأنسب منهما في خدمة ما يطرح من أفكار أو تعليمات لكي يضمن تقبلها من الذين طرحت عليهم تلك الأفكار أو المقترحات الجديدة.

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ (٩٩) وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَاأَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ

---

181) محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله أبو القاسم ابن جزي الكلبي الغرناطي (ت 741هـ), *التسهيل لعلوم التنزيل*, المحقق: عبد الله الخالدي, شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم – بيروت, ط1, 1416هـ, 396/1.

جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (١٠٠) رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ (١٠١)﴾[182].

بعد أن ردَّ الله تعالى نعمة البصر إلى سيدنا يعقوب (υ) جاء الجميع مع أهلهم إلى سيدنا يوسف (υ), فلما دخلوا عليه ضمَّ إليه أبويه, وسجودهم له كان تحية, ذكر ذلك ابن الجوزي في كتابه فقال: "(وخروا له) الأبوان والإخوة غلبهم السلام, وكانت سجدة تحية لا سجدة عبادة وكانوا يتحايون بالانحناء والسجود في الزمن الأول"[183] , وقال ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين, وهو ما تحدثنا عنه من اختيار الوقت المناسب ليجمع أهله ليأمن عليهم ويتقبلهم الناس ويتقبلوا عقيدتهم, لأن مصر كانت متعددت الأديان, وفي الآيات السابقة يبرز سيدنا يوسف (υ) كنبي وقائد تميز بما يأتي:

أولاً: حينما رفع أبويه على العرش فهو يريد أن يوصل رسالة لكل الناس أن الإنسان مهما بلغ من رفعة في الدنيا فلا يمكن أن يعلو على والديه, ويبقى مديناً لهما طول حياته, فلم يجلس في مكان يرتفع فيه عنهما طاعة لله تعالى, وأدباً يريده أن يصل إلى جميع من يراه من الملك وحاشيته وجميع الناس.

---

182) يوسف 12/ 99- 101.

183) جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت 597هـ), *تذكرة الأريب في تفسير الغريب*, تحقيق: طارق فتحي السيد, دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان, ط1 ., 2004م, ص177.

ثانياً: التمسك بالرابط الرئيس الذي هو أصل الحب بين سيدنا يعقوب وسيدنا يوسف (عليهما السلام) وهو علاقتهم بالله تعالى, فنجد أنه وهو بهذه الحالة من الفرح بلقاء أهله لم يغب عن ذهنه المنعم الأول, فأخذ يذكر نعم الله تعالى عليه بحضرة أبيه ويذكّره برؤياه في الصبا التي تحققت بكل ما فيها, وهو بذلك كأنه يريد أن يقول للسامعين- وهم إخوته وجميع من حضر-: نحن بيت النبوة ونتعامل مع الوحي والله تعالى هو الذي يدبر أمورنا, فهو العليم بأمرنا والحكيم الذي شاء أن نلتقي وبهذه الطريقة, فما عليكم سوى اتباعنا فيما نرشدكم إليه من أمر العقيدة والطاعة المطلقة لله تعالى, وإلا لو لم يرد الجهر بنعمة الله تعالى عليه لكان تكلم بذلك سراً وحصراً مع أبيه, وهذا يفيد بأنه يجوز للقادة أن يفصحوا عن بعض علاقاتهم مع كبار المسؤولين, وهذا ينفع الأفراد من ناحية أن العلاقات الوثيقة بمن هو أعلى في المسؤولية تجعل طلبات الأفراد من الممكن تحقيقها لأن الوصول لمن هو أعلى في المسؤولية ممكنة ومتاحة, ومن ناحية أخرى فهي تبعث الهيبة في نفوس الأفراد فلا يخطأ أحد في حق القائد, فيكون الاحترام والتقدير تبعاً لاحترام وتقدير القائد الأعلى.

ثالثاً: الأدب مع الله سبحانه وتعالى نراه يغمر سيدنا يوسف (υ) عن طريق الآيات الكريمة, فنراه يذكر نعمة الله عليه بأخراجه من السجن ولم يذكر دخوله السجن، ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ ﴾، وذكر نعمة الله عليه بأن جمعه بأهله ولم يذكر حينما فرق بينه وبين أهله، وكل ذلك من الأدب مع المنعم المتفضل (جل وعلا) فلا يريد أن ينسب إليه ما يراه الإنسان شراً أو سوءاً, والأدب مع الخالق مطلوب من كل قائد أو مسؤول, فمراقبة الأقوال لا تقل أهمية عن مراقبة الأفعال, والكل مطالب فيها.

رابعاً: اختيار المقال بحسب المقام, لذلك نجد أن سيدنا يوسف (υ) نسب ما وقع بينه وبين إخوته إلى الشيطان﴿مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي﴾، وذلك من باب التماس العذر لهم, وكذلك لدفع الحرج عنهم أمام الناس, أما قوله: ﴿قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ﴾، فهذا كان قبل توبتهم واعترافهم بالخطأ, أما بعد توبتهم فلا يصح التعيير بالذنب, وإنما نسب حسدهم وما فعلوا إلى كيد الشيطان الذي نزغ بينه وبين إخوته, جاء في المعجم الوسيط قوله:" نزغَ بَين الْقَوْم نزغا: أفسد وَحمل بَعضهم على بعض"[184] , فهذا الكلام أنسب لهذا المقام, فهم في مقام التوبة وطلب المغفرة, كذلك على كل قائد أو مسؤول أن يختار الكلام الذي يناسب الحال.

خامساً: يرشدنا هذا القائد إلى أمر عظيم, ويدلنا على باب نلج منها إلى حضرة الباري جل وعلا, وينالنا منها العون والمدد والنصر والتمكين, وهي الذل والانكسار لله تعالى, والاعتراف له بالفضل والنعمة, وكذلك ملازمة الدعاء من الله سبحانه وفي جميع الأحوال, يظهر ذلك في قوله: ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾[185]، وهذا يرشد القادة إلى ضرورة الذل والانكسار بعد النصر والتمكين تواضعاً لله تعالى.

---

184) مجمع اللغة العربية بالقاهرة (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار) , *المعجم الوسيط*, دار الدعوة, د.ط, 914/2.

185) يوسف, 101/12.

3. الفصل الثاني

القيادات الثانوية في سورة يوسف

1. 3. المبحث الأول: قيادة عزيز مصر:

1. 1. 3. المطلب الأول: التعريف بعزيز مصر.

وهو وزير ملك مصر في عهد سيدنا يوسف (υ), وكان على خزائن مصر, ويلقب بعزيز مصر, واسمه قطفير أو أطفير حسب ما ورد في كتب التفسير, وهو الذي اشترى سيدنا يوسف (υ) من مالك بن ذعر حينما عرضه للبيع في مصر, فقد ورد في كتاب الكامل في التاريخ قوله:" وَذَهَبُوا بِهِ إِلَى مِصْرَ، فَكَسَاهُ مَالِكٌ، وَعَرَضَهُ لِلْبَيْعِ، فَاشْتَرَاهُ قُطْفِيرُ وَقِيلَ أُطْفِيرُ، وَهُوَ الْعَزِيزُ، وَكَانَ عَلَى خَزَائِنِ مِصْرَ، وَالْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ الرَّيَّانُ بْنُ الْوَلِيدِ رَجُلٌ مِنَ الْعَمَالِقَةِ، قِيلَ: إِنَّ هَذَا الْمَلِكَ لَمْ يَمُتْ حَتَّى آمَنَ بِيُوسُفَ وَمَاتَ وَيُوسُفُ حَيٌّ، وَمَلَكَ بَعْدَهُ قَابُوسُ بْنُ مُصْعَبٍ، فَدَعَاهُ يُوسُفُ فَلَمْ يُؤْمِنْ"[186],

وقد تربى سيدنا يوسف (υ) في بيت هذا العزيز مدة طويلة بعز وشرف وكرامة لأنه أوصى امرأته بإكرامه حين اشتراه لها، وكان عزيز مصر ليس له ولد, وقيل كان عنيناً لا يأتي النساء, لذلك أراد أن يتبنى سيدنا يوسف (υ), وكان الملك قد عزله وتولى سيدنا يوسف (υ) خزائن مصر, فمات هذا العزيز في ذلك الحين.

---

186) علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري عز الدين ابن الأثير (ت 630هـ), *الكامل في التاريخ*, تحقيق: عمر عبد السلام تدمري, دار الكتاب العربي، بيروت ــ لبنان, ط1, 1997م, ص126.

2. 1. 3. المطلب الثاني: أهم ما يميز قيادة عزيز مصر في سورة يوسف.

يعد عزيز مصر من القيادات المهمة التي ورد ذكرها في سورة يوسف, واعتبرناها من القيادات الثانوية والمهمة في نفس الوقت, لأنه كان له الفضل الأول بعد الله تعالى في أن يعيش في كنفه سيدنا يوسف (υ) بعزة وكرامة وسعة بعد ما عاناه من كيد إخوته, وكانت لعزيز مصر طريقته في القيادة, واتخاذ القرارات, فمنها ما هو سلبي كونه غير مؤمن, ومنها ما هو إيجابي, وسنتناول مميزاته القيادية السلبية والإيجابية بحسب ورودها في الآيات الكريمة من سورة يوسف (υ) وحيثما ذكر اسمه في السورة أو ما يدل عليه من معنى.

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٢١) وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (٢٢)﴾[187].

بعد أن عرض سيدنا يوسف (υ) للبيع في مصر من قبل مالك بن ذعر اشتراه عزيز مصر بثمن غالٍ كما أسلفنا, ثم جاء به إلى امرأته وهي زليخا فطلب منها أن تكرمه وتحسن مقامه عندهم عسى أن ينفعهم ويدبر مصالحهم في المستقبل, أو يتخذوه ولداً لأن عزيز مصر لم يكن له ولد وقيل كان عنيناً لا يأتي النساء.

وذكر الزمخشري ذلك فقال: "عَسى أَنْ يَنْفَعَنا لعله إذا تدرّب وراض الأمور وفهم مجاريها، نستظهر به على بعض ما نحن بسبيله، فينفعنا فيه بكفايته وأمانته, أو نتبناه ونقيمه مقام الولد، وكان قطفير عقيماً لا يولد له، وقد تفرس فيه الرشد فقال ذلك, وقيل: أفرس الناس ثلاثة: العزيز حين تفرس في يوسف، فقال

187) يوسف 12/ 21 , 22 .

لامرأته أَكْرِمِي مَثْواهُ عَسى أَنْ يَنْفَعَنا والمرأة التي أتت موسى وقالت لأبيها يا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ وأبو بكر حين استخلف عمر رضى الله عنهما"[188].

ومما يميّز عزيز مصر في هذا المقام هو تفرسه في أن هذا الفتى من الذين ترجى منهم المنفعة, لذلك اشتراه وحرص على أن يكون مقامه عنده حسناً, وهذا التصرف يعكس شخصية عزيز مصر كقائد, لأنه يحرص على ما ينفعه, وكذلك يرشد القادة إلى أمرٍ عظيم, وهو أنكم إذا أردتم أن تنتفعوا من الأفراد مستقبلاً عليكم بالحرص على تنمية المواهب خصوصاً عند الفتيان وذلك بالاهتمام بهم ورعايتهم, فهذه الأمور ستزرع المحبة والمودة في قلب الشخص المقصود, وبالتالي سيكون أيضاً حريصاً على قائده ويجلب له ما ينفعه من باب ردِّ الجميل, وهذه السياسة آتت ثمارها مع سيدنا يوسف (ʊ), إذ عفَّ عن زوجة العزيز وحفظ عرضه في غيبته, ولم ينكر ما كان منه من جميل النعمة والإكرام.

قوله تعالى:﴿وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٢٥) قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (٢٦) وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٢٧) فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ (٢٨) يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ (٢٩)﴾[189].

---

188) الزمخشري, *الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل*, 454/2.

189) يوسف 12/ 25-29.

حينما راودت امرأة العزيز سيدنا يوسف (υ) عن نفسه رفض هذا الأمر وفرَّ منها سريعاً واستبقا الباب, فسيدنا يوسف (υ) يريد الخروج وهي تريد منعه فقدَّت قميصه من الخلف, في هذه اللحظة وجدا العزيز عند الباب, فسارعت بالقول: ﴿قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾، عند ذلك دافع عن نفسه سيدنا يوسف (υ): ﴿قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (٢٦) وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾، فلما ثبتت براءته، كان لعزيز مصر موقف سليم يعكس صورة جيدة عن عدالته في ذلك الموقف ورضوخه إلى الحكم العادل.

وأهم ما يميّز عزيز مصر في الآيات السابقة ما يأتي:

أولاً: قبوله لمسألة تحكيم الشاهد الذي اقترح النظر إلى القميص إن كان قدَّ من قبل فصدقت وأن كان قدَّ من دبرٍ فكذبت وهو من الصادقين, فمجرد قبوله التحكيم والسماع للآخر يدل على حكمة عزيز مصر وعدالته فلم يركن أو ينحاز إلى زوجته ولم يقبل كلامها إلا بالدليل, فقد جاء في كتاب(الإشارات الإلهية إلى المباحث الأصولية) في تعليقه على مسألة قبول التحكيم قال:" دليل على تعليق الأحكام بالقرائن والأمارات المناسبة"[190] , وهذا يرشد المسؤول أو القائد إلى ضرورة التحلي بنفس الصفات الحميدة التي ظهرت على عزيز مصر, وهي عدم الانحياز للقريب على حساب الحق, وكذلك ضرورة السماع من طرفي النزاع, والأهم من ذلك هو الانصياع للحكم وإن كان لا ينسجم مع تمنياته إذا كان عادلاً.

---

190) نجم الدين أبو الربيع سليمان بن عبد القوي بن عبد الكريم الطوفي الصرصري الحنبلي (ت 716 ه), *الإشارات الإلهية إلي المباحث الأصولية*, تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل, دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان, ط1, 2005م, ص348.

ثانياً: الحلم الكبير الذي يتحلى به عزيز مصر, وكذلك الحكمة في حلّ المشكلات التي تواجهه, فلم يعظم المشكلة وإنما تعامل معها بقدرها ولم يفجر في خصومته, فحينما ثبت أن زوجته هي من راودت سيدنا يوسف(υ) اكتفى بتأنيبها بقوله: ﴿قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾، وقال لسيدنا يوسف (υ): ﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا﴾, فلم يذكر عنه أنه قد عاقب بأكثر من ذلك وكان بإمكانه أن يفعل ما يشاء بهم كونه صاحب قرار, ولكنه تصرف بحلم وذكاء, إذ أراد أن يستر الأمر كون الزنى لم يحدث فلم يتوسع بالعقوبة, ولو توسع بالعقوبة لخرج الأمر إلى العلن وهو لا يريد ذلك, يقول الشعراوي في تفسيره:" وبهذا القول من الزوج أنهى الحقُّ سبحانه هذا الموقف الرُّباعي عند هذا الحد، الذي جعل عزيز مصر يُقِرُّ أن امرأته قد أخطأت، ويطلب من سيدنا يوسف(υ) أن يعرض عن هذا الأمر ويَكتمه, وهذا يبين لنا سياسة بعض أهل الجاه مع بيوتهم، وهو أمر نشاهده في عصرنا أيضاً؛ فنجد الرجل ذا الجاه وهو يتأبَّى أن يرى أهله في خطيئة، ويتأبى أكثر من ذلك فيرفض أن يرى الغيرُ أهله في مثل هذه القضية، ويحاول كتمان الأمر في نفسه؛ فيكفيه ما حدث له من مهانة الموقف، ولا يريد أن يشمتَ به خصومه أو أعداؤه"[191].

وهذا يرشد القادة والمسؤولين بكافة عناوينهم سواء في الأسرة أو المجتمع عامة إلى التحلي بالحكمة, وعدم إعطاء الأمور أكثر من حقها, وستر الأمور المهمة التي لا يستحب التشهير بها, وهذا الهدوء وعدم الاستعجال وتدارك الأمور بالتي هي أحسن يدل على حكمة عالية يتمتع بها عزيز مصر في هذا الجانب, وهو ما ينبغي أن يتوفر في كل قائد.

191) محمد متولي الشعراوي (ت 1418هـ), *تفسير الشعراوي – الخواطر*, مطابع أخبار اليوم, 1997م, 6925/11.

قوله تعالى:﴿ثُمَّ بَدَا لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّى حِينٍ (٣٥)﴾[192].

بعد أن تحدث نسوة في المدينة أن امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه جمعت امرأة العزيز تلك النسوة وأعدت لهن الفرش والطعام وأعطت كل واحدة منهن سكيناً وقالت لسيدنا يوسف (υ) اخرج عليهن, فلما رأينه أكبرنه وقطعن أيديهن, فقالت لهن امرأة العزيز: (فذلكن الذي لمتنني فيه) واعترفت أنها راودته عن نفسه فاستعصم, وإن لم يفعل ما تريد منه ليسجنن ويكن من الصاغرين, وقد رفض سيدنا يوسف (υ) جميع العروض التي قدمت من امرأة العزيز أو من النسوة الأخريات, وطلب من الله تعالى أن يصرف عنه كيدهن فاستجاب الله تعالى له فصرف عنه كيدهنَّ ومراودتهن له عن نفسه, فلما رأوا منه هذا الثبات والاستعصام وظهرت الدلالات والبراهين على براءته كلمت امرأة العزيز زوجها في شأن سيدنا يوسف (υ) واحتالت بحيلة حتى يسجنه.

فبعد أن تبين للجميع براءة سيدنا يوسف (υ) بشهادة النسوة واعتراف امرأة العزيز أمامهنَّ أراد عزيز مصر أن يجعل حداً لكلام الناس عن امرأته, وهي رغبة امرأته أيضاً, فقرروا أن يسجن حتى حين, أي لفترة غير محددة حتى يقطعوا كلام الناس وتنسى القصة, وهذا فيه من الظلم الكبير لسيدنا يوسف (υ), والذي يتحمل هذا الظلم هو عزيز مصر كونه صاحب القرار, ولكن مع هذا الظلم يعد القرار هيّناً قياساً بما يحدث في زماننا أو ما كان يحدث قبل, إذ كان بإمكان عزيز مصر أن يقتل سيدنا يوسف (υ) أو ينفيه حتى تنتهي ملامح القصة وينتهي كلام الناس, إلا إنه حاول قدر الإمكان عدم إلحاق الضرر بسيدنا يوسف (υ) كونه ثبتت عفته وأمانته فلم يرد خسارته.

---

192) يوسف 35/12.

وكأن الله تعالى قد أذهب سلطته لأنه ظلم سيدنا يوسف (υ), فقد عزله الملك فيما بعد وجعل مكانه سيدنا يوسف (υ) بعد أن أخرجه من السجن.

فقد جاء في لطائف الإشارات للقشيري قوله: "لما سجن يوسف (υ) مع ظهور براءة ساحته اتقاء على امرأته أن يهتك سترها حوّل الله ملكه إليه، ثم في آخر الأمر حكم الله بأن صارت امرأته بعد مقاساتها الضّر ... وهذا جزاء من صبر, ويقال لما ظلم يوسف (υ) بما نسب إليه أنطق الله تلك المرأة حتى قالت في آخر أمرها بما كان فيه هتك سترها، فقالت: (الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا راوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ)"[193].

وهذا يرشد القيادات إلى توخي العدل, لأن الظلم عاقبته ظلمات يوم القيامة, وكذلك الخذلان في الدنيا, وفي نهاية الأمر سيكون التوفيق والظفر للمظلوم.

وبذلك تكون قيادة عزيز مصر فيها الكثير من العدالة وعدم الانحياز بالرغم من الظلم الذي حصل مع سيدنا يوسف (υ), فمن شدَّةِ تأنيه في التعامل مع قضية امرأته مع سيدنا يوسف(υ) اتهمه بعض المفسرين بعدم الغيرة على زوجته منهم القرطبي حيث قال:" وَقِيلَ: إِنَّ الْقَائِلَ لِيُوسُفَ أَعْرِضْ وَلَهَا اسْتَغْفِرِي زَوْجُهَا الْمَلِكُ، وَفِيهِ قَوْلَانِ: أَحَدُهُمَا: أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ غَيُورًا، فَلِذَلِكَ، كَانَ سَاكِنًا..., الثَّانِي: أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى سَلَبَهُ الْغَيْرَةَ وَكَانَ فِيهِ لُطْفٌ بِيُوسُفَ حَتَّى كُفِيَ بَادِرَتَهُ وَعَفَا عَنْهَا"[194], ولا نعرف لماذا حملوه على هذا، فلا يوجد دليل على عدم غيرته على زوجته, والذي ورد من قراراته تجاه سيدنا يوسف (υ) يدل على مكانته في نفس العزيز.

193) القشيري, *لطائف الإشارات*, 184/2.

194) القرطبي, *الجامع لأحكام القرآن*, 175/9.

2. 3. المبحث الثاني: قيادة ملك مصر وأهم ما يميزها.

لقد كان الملك على مصر في زمن سيدنا يوسف (ʊ) هو (الريان بن الوليد) كما ورد في كتب التفسير وكتب التاريخ.

لقد حكم هذا الملك مصر وقادها قيادة متميزة كما ذكر في سورة يوسف, فقد أظهرت الآيات الكريمة عدالة هذا الملك, وحياديته في كثير من الأحداث, وإخلاصه لشعبه وحرصه عليهم, والذي يميز حكمه أنه حكم في بلد تعددت فيه الأديان والمعتقدات فلم يلتفت إلى شيء منها أو ميَّز أحد أو قربه منه لدينه أو معتقده, وإنما اعتمد الخبرة والكفاءة في اختيار وزرائه أو قياداته.

وتعد قيادة هذا الملك من القيادات المهمة التي ذكرت في سورة يوسف, لأنه من القيادات التي ينبغي الاقتداء بها في هذا الزمان الذي طغت فيه الطائفية والمحسوبية في اختيار الوزراء أو القادة أو من يمثل الناس, وكذلك فإن حكمه يعد نموذجاً عظيماً يحتذى به في السياسة وقيادة البلدان المتعددة الأديان والطوائف, وسنتناول أهم ما يميز قيادة ملك مصر بحسب ما ورد ذكره في الآيات القرآنية في سورة يوسف (ʊ), وسنبين أهم ما يمكن للقادة أن ينتفعوا ويتعلموا من هذا القائد, وبالرغم من قلة الآيات التي ورد ذكره فيها، إلا أنه ترك بصمة كبيرة في فن القيادة, ويمكن لأي قائد أن ينهل من صفاته وفي كل زمان.

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنْسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ (٤٢)﴾[195].

---

195) يوسف 42/12.

من خلال تتبعي لتفسير هذه الآية الكريمة وجدت أنها قد ظلمت كثيراً من قبل المفسرين, وأكثر من ظلم فيها هو ملك مصر, لأنه من خلال طلب سيدنا يوسف (υ) من صاحبه في السجن أن يذكر خبره عند الملك، نرى أن أغلب المفسرين انشغلوا بالذي سيذكره للملك من محاسنه وعلمه في تأويل الرؤى وكذلك ذكر مظلوميته للملك, في حين قد غفلوا عما دفع سيدنا يوسف عليه السلام لتقديم الطلب, لما لذلك من دلالات عظيمة في شأن هذا الملك, فذلك يدل على علم سيدنا يوسف (υ) بعدالة هذا الملك أو علم بأنه لا يظلم عنده أحد من خلال كلام صاحبيه في السجن, ولو لم يتوسم فيه الخير لما طلب ذلك, وهذا يدل أيضاً على أن صيت الملك قد ذاع بين الناس في الحكمة والعدالة والتواضع ونصرة المظلوم, وفيه دلالة أيضاً على أن الملك كان يستمع للناس ويلبي مطالبهم, وكان يملك الكثير من التواضع الذي يتيح للمقربين منه أو عامة الناس طرح مشاكلهم عليه بكل سهولة, وفي ذلك إرشاد لكل قائد أن يجعل العدالة هي السائدة في حكمه وقراراته, وأن يطمئن الناس من عدالته حتى يدفعهم ذلك إلى اللجوء إليه إذا ما ظلموا أو وقع عليهم الحيف ممن هو أدنى منه منزلة في السلطة, وعلى القائد أيضاً أن يتواضع لمن دونه وللناس عامة حتى لايتحرج الناس من الدخول عليه, ولاينفروا من مقابلته, وبذلك يكون قد حصل على عدة أمور بعد رضا الله سبحانه وتعالى, ومن تلك الأمور أنه سيكون محبوباً لدى الناس لتواضعه وقربه منهم, وكذلك فإن التواضع سيمكنه من معرفة أحوال الناس وما يدور في مملكته أو دائرته وما إلى ذلك, لأن الناس إذا عرفوا بتواضع من يدير شؤونهم أقبلوا عليه يطرحون كل صغيرة وكبيرة من مشاكلهم فيعرف بذلك أحوال مملكته أو ما يدور في مكان عمله من لسانهم, فيثني على الجميل, ويقوم المعوج, ويصلح المفسد, وينصر المظلوم, ويعاقب الظالم, وإذا كان يتصف بالغلظة والتكبر فإنه

يفقد ثقة الناس بعدالته, وتحجب عنه أمور المملكة أو أي مكان يعمل فيه, والأهم من ذلك يخسر مرضاة الله سبحانه وتعالى.

قوله تعالى:﴿وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَاأَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ (٤٣) قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالِمِينَ (٤٤)﴾[196].

من هنا بدأت قصة النجاة من السجن لسيدنا يوسف (υ), إذ شاء الله تعالى أن يرى الملك في منامه الرؤيا المذكورة في الآية الكريمة, فأراد أن يفسرها له أحد, فجمع الكهنة وخبراء التفسير ممن عنده فعجزوا عن تفسيرها وقالوا: إنها أضغاث أحلام, وليس لنا في تأويل الأحلام شيء من العلم, يقول ابن عجيبة عن رؤيا الملك:

"إني أَرى في المنام سَبْعَ بَقَراتٍ سِمانٍ خرجن من نهر يابس، وسبع بقرات عجاف- مهازيل- خرجن بأثرهن فابتلعت المهازيلُ السمان، وَسَبْعَ سُنْبُلاتٍ خُضْرٍ قد انعقد حبّها، وَسبعا أُخَرَ يابِساتٍ قد أدركت، فالْتوت اليابسات على الخضر حتى غلبن عليها, فلما رأى ذلك انتبه مرعوباً، وجمع ندماءه، ودعا المفسرين، فقال: يا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُءْيايَ اعبروها، إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّءْيا تَعْبُرُونَ أي: إن كنتم عالمين بعبارة الرؤيا, قالُوا: هذه أَضْغاثُ أَحْلامٍ تخاليطها، جمع ضَغث، وأصله: ما جمع من أخلاط النبات وحُزم، فاستعير للرؤيا الكاذبة, وإنما جمعوا أَحْلامٍ للمبالغة في وصف الحلم بالكذب, ثم قالوا: وَما نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلامِ بِعالِمِينَ، والمعنى: ليس لها تأويل عندنا لأنها أكاذيب الشيطان، وإنما التأويل للمنامات الصادقة "[197].

والذي يميز الملك في الآيات السابقة مايأتي:

---

196) يوسف 43/12- 44.

197) ابن عجيبة, *البحر المديد في تفسير القرآن المجيد*, 601/2.

أولاً: مجرد انشغال الملك بالرؤيا يدل على أن لديه إيمان بالغيبيات, ويدل أيضاً على إيمانه بتأثير الرؤيا وحدوثها في الواقع, لذلك جمع المفسرين واهتم في معرفة تفسيرها, وأما من دعاهم لتفسيرها فقد أجمعوا على أنها أضغاث أحلام ولا يضره منها شيء.

فعلى كل قائد أو مسؤول عن بعض الناس أن يكون له حظاً من الإيمان بالغيب, وأن لا يقطع صلته في عالم الغيب لأن أمر المسلم كله مبني على الإيمان, فقد تأتي إشارات للمؤمن عن طريق الرؤيا الصالحة التي يراها المؤمن أو ترى له, وكما حدث أيضاً في رؤيا الملك التي حذرته من القحط والمجاعة.

ثانياً: مبدأ الشورى الذي ظهر واضحاً من خلال الآية الكريمة إذ جمع المفسرين وقال: ﴿يَاأَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ﴾، فكلمة (الملأ) تدل على أن الملك كان لديه جمع كبير وهو يريد مشورتهم, ومبدأ الشورى من أهم دعائم الحكم في الإسلام, وقد حث عليه الباري جل وعلا بقوله: ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾[198], وهذا يدعو القادة إلى أن يكون لهم مجلس للشورى يناقشون فيه ما يهم من هم في مسؤوليتهم كما فعل ملك مصر, وأن يكونوا على صلة دائمة مع الناس ويسمعوا آرائهم ويبقى القرار النهائي للقائد, وبالتأكيد سيكون موفقاً لأنه سمع عدة أفكار فيأخذ ما يناسب منها لخدمة الناس.

قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ (٥٠) قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدْتُنَّ يُوسُفَ

198) الشورى 42/ 38.

عَنْ نَفْسِهِ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ (٥١) ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ (٥٢) ﴾[199].

لما أجمع المفسرون الذين جمعهم الملك على اعتبار رؤيا الملك أضغاث أحلام نطق ساقي الملك وتذكر سيدنا يوسف (υ) ﴿وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ﴾، فبعد أن سمع تفسير الرؤيا من سيدنا يوسف (υ) أخبر الملك بما سمع, فعجب الملك من هذا التفسير, والذي أعجبه أكثر هو الحلول التي وضعها لمواجهة هذه المشكلة القادمة, وعلم الملك أن سيدنا يوسف (υ) يملك عقلية القائد المفكر والمخطط, لذلك طلب مقابلته وأرسل إليه رسولاً يبلغه رغبة الملك.

وفي الآيات السابقة الكثير من المميزات التي امتاز بها ملك مصر نذكر منها:

أولاً: الإصرار على الوصول للأفضل من قبل الملك, ولم يكتفي في مشورة من حوله, فبعد أن سمع الملك رأي الملأ في تعبير رؤياه وكأنه لم يعجبه، قال لهم الساقي: أنا آتيكم بتأويله فأرسلون, فوافق الملك على ذلك, فلما جاءه التفسير الواقعي من سيدنا يوسف (υ) سارع إلى دعوته ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ﴾, وهذا يدل على أنه صاحب بصيرة ورأي, ولا ينجر خلف الآراء غير المقنعة وغير الواقعية, فحينما وجد تفسيراً مقنعاً من خارج مجلس الشورى الذي أقامه لم يتأخر بالأخذ به, وهذا يدعو القادة إلى توسيع حيز السماع للمشورة, فإذا كان الصواب

199) يوسف 12/ 50-52.

خارج مجلس المشورة لا يمنع القائد من سماعه أو الأخذ به, لأن الغاية من المشورة هي الوصول للأفضل والأنفع للجميع.

ثانياً: التواضع الكبير الذي يملكه ملك مصر, وذلك من خلال الاستجابة للشرط الموضوع من قبل سيدنا يوسف (υ), فلم يغضب لعدم تلبيته الدعوة إلا بعد أن يسأل النسوة عن حالهن معه، ﴿فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ﴾، وبالفعل نفذ الشرط وسأل النسوة ونزل عند الطلب، ﴿قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدْتُنَّ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾، وكان بإمكانه أن يأتي به مجبراً بالقوة, لكنه ملك متفهم ويملك سعة الصدر التي مكنته من احتواء الجميع ومكنته من عبور محنته من خلال استيعابه واحتوائه لسيدنا يوسف (υ), وهذا يرشد القادة إلى التواضع وعدم التكبر على الحق, وكذلك ضرورة قبول ما هو نافع للصالح العام، وإن كان ذلك صادراً من أدنى الناس منزلة، لأن المصلحة العامة تقدم على المصالح الشخصية, وهذا ما فعله ملك مصر إذ أخذ بمشورة سيدنا يوسف (υ) حينما رسم له خطة طويلة الأمد لمواجهة سنين القحط والجوع التي تهدد المملكة.

ثالثاً: التحري وطلب الحقيقة من قبل الملك, وذلك نزولاً عند الطلب المقدم من سيدنا يوسف (υ), إذ قام الملك بجمع النسوة وسألهن عن سيدنا يوسف (υ)، ﴿قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدْتُنَّ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ﴾، وذلك لشدة إعجابه به فأراد أن يعرف كل ما يتعلق بقضيته, وأن يتأكد من عفته وأمانته لأنه ينوي أن يقربه منه. وهذا يرشد القادة إلى ضرورة التحري وطلب

المعلومات عن كل من يسعون لتعيينهم في مسؤولية أو خدمة معينة, وهذا يمكنهم من اختيار الأفضل والأنسب للمكان الذي يعمل فيه المرشح للمسؤولية.

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ (٥٤) قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ (٥٥) وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (٥٦)﴾[200].

لما ظهرت براءة سيدنا يوسف (ʊ) أمام الملك من خلال قول النسوة ومن خلال اعتراف زوجة العزيز ازداد تعلق الملك به, وكبر إعجابه بشخصيته لما وصله من علمه وحكمته في تبرئة ساحته قبل لقاء الملك, فتيقن الملك من أن هذا الشخص يستحق القرب، لذلك دعاه ليجعله من خاصته والمقربين عنده، ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي﴾.

وقد جاء في تفسير البحر المديد في تفسير القرآن المجيد قوله:

" قال أولاً: ائْتُونِي بِهِ فقط، فلما تبين له حاله وظهر كماله، قال: ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي,....فقال: أحب أن أسمع رؤياي، فحكاها، ونعت له البقرات والسنابل وأماكنها، فأجلسه على السرير، وفوض إليه أمره, وهذا معنى قوله تعالى: فَلَمَّا كَلَّمَهُ قالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنا مَكِينٌ أَمِينٌ أي: فلما أتوا به وكلمه وشاهد منه الرشد والدهاء، قالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ عندنا مَكِينٌ أي: في مكانه ومنزلة، أَمِينٌ: مؤتمن على كل شيء، ثم فوض إليه أمر المملكة "[201].

وأهم مايميز الملك في هذا المقام ما يأتي:

أولاً: اختيار الحاشية الصالحة الأمينة والحكيمة من قبل الملك, وعدم التكبر على الحق, والأخذ بالرأي الذي ينفع مملكته وإن كان من سجين ضعيف لاحول له ولا قوة, حيث أصر على

---

200) يوسف 12/54-56.

201) ابن عجيبة, *البحر المديد في تفسير القرآن المجيد*, 2/605.

تقريب سيدنا يوسف (υ) فأرسل إليه مرتين, الأولى كي يتأكد بنفسه من شخصيته, والثانية كي يقربه ويستعمله في مملكته بعدما اطمئن من صدقه وعفته وأمانته وحكمته وعبقريته وهو ما يحتاجه في المملكة، ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي﴾ وحينما قال الملك (استخلصه لنفسي) لا يعني مصلحته الشخصية وإنما مصلحة المملكة عامة, والأحداث أثبتت هذا إذ وكله الأمور التي تهم الناس.

وهذا يرشد الجميع إلى اختيار الشخص المناسب في المكان المناسب, وتحث القادة على اختيار الحاشية الصالحة التي تحرص على ما ينفع الناس.

ثانياً: عدم الاستعجال في تولية المناصب, كما هو الحال مع الملك, إذ يتوجب التحري عن الشخصية المناسبة وعدم الاكتفاء بثناء الناس عليه, وكذلك بأسلوب المقابلة المباشرة التي تتيح فهماً أكثر للشخصية المرشحة لتولي المسؤولية كما فعل الملك، ﴿فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾، أي أن الملك جلس مع سيدنا يوسف (υ) وكلمه, وهذا يفيد في معرفة إمكانيات المرشح وقراءة أفكاره قبل أن يتولى المسؤولية.

ثالثاً: إعطاء الصلاحيات المناسبة لمن يستحقها, وهذا ما فعله الملك بعدما وثق من أمانة وقدرة سيدنا يوسف (υ) على إدارة اقتصاد المملكة في الحالات الحرجة, فقال له بعد أن استمع لخطته في مواجهة الأزمة ﴿فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾، أي إنك اليوم ذو مكانة ومنزلة، فأعطاه جميع الصلاحيات التي تمكنه من إنجاز مهمته, فاختار سيدنا يوسف (υ) أن يوليه على خزائن الأرض فوافق الملك على هذا الطلب. وهذا يرشد القادة إلى ضرورة تمكين من هو أهل للمسؤولية وإعانته على أدائها, ومنحه الصلاحيات المناسبة لإتمام مهمته على أكمل وجه.

وبهذا تطوى شخصية ملك مصر الذي ظهر بأجمل المواقف في سورة يوسف, وبرز كقائد يحتذى به ويضرب به المثل في العدالة والتواضع والحكمة والإدارة في الأزمات, والأهم من ذلك هو قيادته لمجتمع متعدد التوجهات والمعتقدات, وهذا أهم ما يتعلمه القادة في هذا الزمان, لأنه يستحيل أن تجد بلداً في هذا الزمان الجميع فيه على دين أو معتقد واحد, لذا يتوجب على كل قائد أو مسؤول في مثل هذه البلدان أن يتقن فن الإدارة في هكذا مجتمعات, وأن يستوعب جميع الأفكار, ويحتوي جميع المعتقدات, ويقدم للمسؤولية صاحب الكفاءة دون النظر إلى دينه أو معتقده.

3. 3. المبحث الثالث: الشخصيات التي تحمل بعض السمات القيادية في السورة.

1. 3. 3. المطلب الأول: السمات القيادية لإخوة يوسف (υ).

"لقد كان لسيدنا يعقوب (υ) اثنا عشر ولداً (ذكراً) ومنهم سيدنا يوسف (υ), فسيدنا يوسف (υ) وأخيه بنيامين ولدوا من أم واحدة"[202].

وقد اختلف العلماء في كون إخوة يوسف (υ) أنبياء.

جاء ذلك في قصص الأنبياء لابن كثير إذ قال: "قَدْ قَدَّمْنَا أَنَّ يَعْقُوبَ كَانَ لَهُ مِنَ الْبَنِينَ اثْنَا عَشَرَ وَلَدًا [ذَكَرًا] وَسَمَّيْنَاهُمْ، وَإِلَيْهِمْ تُنْسَبُ أَسْبَاطُ بَنِي إِسْرَائِيلَ كُلُّهُمْ، وَكَانَ أَشْرَفُهُمْ وَأَجَلُّهُمْ وَأَعْظَمُهُمْ يُوسُفَ (υ), وَقَدْ ذَهَبَ طَائِفَةٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ إِلَى أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ فِيهِمْ نَبِيٌّ غَيْرُهُ، وَبَاقِي إِخْوَتِهِ لَمْ يُوحَ إِلَيْهِمْ, وَظَاهِرُ مَا ذُكِرَ مِنْ فِعَالِهِمْ وَمَقَالِهِمْ فِي هَذِهِ الْقِصَّةِ يَدُلُّ عَلَى هَذَا الْقَوْلِ, وَمَنِ اسْتَدَلَّ عَلَى نُبُوَّتِهِمْ بِقَوْلِهِ: قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيم وَإِسْمَاعِيل وَإِسْحَق وَيَعْقُوب والأسباط" وَزعم أَن هؤلاء هم الْأَسْبَاطُ فَلَيْسَ اسْتِدْلَالُهُ بِقَوِيٍّ، لِأَنَّ الْمُرَادَ بِالْأَسْبَاطِ شُعُوبُ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَمَا كَانَ يُوجَدُ فِيهِمْ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ الَّذِينَ يَنْزِلُ عَلَيْهِمُ الْوَحْيُ مِنَ السَّمَاء وَالله أعلم"[203].

---

202) ابن كثير, *قصص الأنبياء*, 301/1.

203) المصدر السابق.

إن الذي يتتبع أفعال وتصرفات إخوة يوسف (υ) يجد نفسه أمام مرحلتين مختلفتين من التصرفات والأفعال, مرحلة ما قبل حادثة الجب ومرحلة ما بعدها, لأن الأفعال تأتي على حسب الإيمان بالله تعالى, فحال إيمانهم بعد حادثة الجب كان مختلفاً عما بعدها, وفي كلا المرحلتين لا يمكن أن يجزم أحد من المفسرين أو غيرهم بتسمية واحد من إخوة يوسف (υ) أنه كان يقودهم أو يوجههم, وإنما وردت أقوال مختلفة عن كل قرار اتخذوه أو فعل عمدوا عليه, فلم يعرف بالضبط من كان يفرض قراره عليهم, لأن الله تعالى لم يذكر بالتحديد اسماً منهم في قول أو فعل, وإنما كان يعبر عنه بقوله: (قال قائل منهم) أو يقول: (قال كبيرهم) ثم يختلف المفسرون هل هو الكبير في السن منهم أم بالرأي وما إلى ذلك.

وفي السورة بصورة عامة كانت تصرفاتهم وقراراتهم تأتي بصورة الجمع مثل (قالوا) أو (جاءوا) أو (دخلوا) وما إلى ذلك, لذلك اعتبرناهم قيادة واحدة, وسنعرج على أهم ما يميزهم في السورة سواء كان سلباً أم إيجاباً, وبقدر تعلق الآية بهم.

قوله تعالى:﴿قَالَ يَابُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ (٥)﴾[204].

حينما قص سيدنا يوسف (υ) رؤياه على أبيه نصحه بأن لا يحدِّث بها إخوته, فيتبين منها ما يأتي:

---

204) يوسف 12/ 5 .

أولاً: من المعلوم أن سيدنا يعقوب (υ) كان نبياً, وكلام الأنبياء حق, فيظهر من خلال كلام سيدنا يعقوب (υ) أنه كان يعرف ضعف إيمانهم لدرجة أن يتحكم الشيطان بتصرفاتهم ومشاعرهم, فقد يغلب عليهم الحسد ويدفعهم إلى الكيد بك بمساعدة الشيطان وهو ما حصل بالفعل, وهي صفة سيئة ينبغي تجنبها من الجميع سواء كانوا أفراداً أو قادة.

وقد جاء في تفسير القرآن للسمعاني: "وَقَوله تَعَالَى: {قَالَ يَا بني لَا تقصص رُؤْيَاك على إِخْوَتك}، قَالَ أهل التَّفْسِير: إِن رُؤْيا الْأَنْبِيَاء وَحي، فَعلم يَعْقُوب أَن الْإِخْوَة لَو سمعُوا (بِهَذِهِ) الرُّؤْيَا عرفُوا أَنَّهَا حق فيحسدونه (فَأمره بِالْكِتْمَانِ) لهَذَا الْمَعْنى. وَقَوله: {فيكيدوا لَك كيدا} مَعْنَاهُ: فيحتالوا لَك حِيلَة. {إِن الشَّيْطَان للْإِنْسَان عَدو مُبين} وَمَعْنَاهُ: إِن الشَّيْطَان يزين لَهُم ذَلِك ويحملهم عَلَيْهِ لعداوته, للعداوة الْقَدِيمَة"[205].

ثانياً: فقدان الثقة الواضح ما بين إخوة يوسف وأبيهم من خلال الآية الكريمة بحيث لايأمن شرَّهم ولو على أخيهم، يعكس الصورة السيئة التي كانوا عليها في ذلك الوقت, فهذه النظرة عليهم من أبيهم يبدو أنها كانت تسبقها أعمال وتصرفات غير مرضية لسيدنا يعقوب (υ) لذلك حذَّر منهم.

قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِلسَّائِلِينَ (٧) إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٨) اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ (٩) قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ (١٠)﴾[206].

---

205) السمعاني, *تفسير القرآن*, 8/3.

206) يوسف 12/ 7- 10.

يحدثنا الباري جل وعلا أن في قصة يوسف مع إخوته مواعظ وبراهين ومعجزات لمن يطلب ذلك, وأهم ما يميز إخوة سيدنا يوسف (υ) في الآيات الكريمة ما يأتي:

أولاً: الحكم المسبق على أبيهم دون معرفة السبب, حيث اتهموه بالضلال لأنه يميل إلى سيدنا يوسف (υ), ولم يلتمسوا له العذر في شيء, فسيدنا يعقوب (υ) ربما رأى منه تصرفات تختلف عن إخوته, أو قد علم أنه سيكون نبياً لذلك يميل إليه أكثر منهم, فقد ظنوا أنه يحبه لأمر من أمور الدنيا ﴿إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾، أي نحن جماعة أقوياء وأكبر من يوسف وننفع أبينا أكثر من يوسف, فالحكم المسبق على الأشياء دون دليل أو علم مرفوض شرعاً وعرفاً, وهو ضلال بيّن, لأن الأيام أثبتت أنهم في ضلال وليس أباهم, لذلك ينبغي على كل قائد أو مسؤول أن لا يحكم على فعل أو تصرفات أحد إلا بوجود إثبات أو دليل.

ثانياً: ربما شعر إخوة يوسف (υ) ببعض التمييز بينهم وبين أخيهم من قبل سيدنا يعقوب (υ) وهذا يدعو الآباء إلى عدم التمييز بين الأبناء, وإذا كان الأب يحب أحداً من أولاده أكثر من الباقين فليحاول أن لا يظهره للعلن, لأن ذلك يورث العداوة والبغضاء والحسد بين الإخوة, والأمر ذاته بالنسبة لكل قائد أو مسؤول, فينبغي أن يظهر المحبة للجميع.

ثالثاً : الإقدام على القتل يعبر عن الضعف الشديد في الإيمان لدى إخوة يوسف (υ) حينما قالوا: ﴿اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ﴾، ويعبر أيضاً عن حقدهم وحسدهم الشديد له, ولا نعلم من هو صاحب هذا الطرح بقتل سيدنا يوسف (υ) أو نفيه إلى أرضٍ بعيدة كي يصفو لهم وجه سيدنا يعقوب (υ), وهذا الطرح يعبر عن أقسى ما وصلت إليه نفوسهم من غلٍ وحقد وحسد, فعلى كل مسؤول سواء في بيت أو

جماعة أو أي مسؤولية في الدولة أن يكثف من دروس التوعية الدينية والأخلاقية للأفراد حتى لا يصل بهم الحال إلى مثل حال إخوة يوسف (υ) من ضعف الإيمان.

رابعاً: العزم على التوبة بالرغم من فضاعة ما ينوون فعله يشعر ببارقة أمل في صلاحهم, وذلك بقولهم: ﴿وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ﴾، وهذا يدل على الرغبة الكامنة لديهم للصلاح, وهذا من أهم ما ميزهم في السورة, فالتوبة يجب أن تكون حاضرة في أذهان الجميع رغم كثرة الذنوب.

> وقال السمعاني في تفسيره: "وَقَوله: {وتكونوا من بعده قوما صالحين} يَعْنِي: تُوبُوا بعد أَن فَعلْتُمْ هَذَا، ودوموا على الصّلاح يعف الله عَنْكُم, وَاسْتدلَّ أهل السّنة بِهَذِهِ الْآيَة على أَن تَوْبَة الْقَاتِل عمداً مَقْبُولَة؛ فَإِن الله تَعَالَى ذكر عزم الْقَتْل [مِنْهُم] وَذكر التَّوْبَة وَلم يُنكر عَلَيْهِم التَّوْبَة بعد الْقَتْل؛ دلّ أَنَّهَا مَقْبُولَة, قَالَ ابْن إِسْحَاق- يَعْنِي: مُحَمَّد بن إِسْحَاق-: وَقد اشْتَمَل فعلهم على جرائم، مِنْهَا: قطيعة الرَّحِم، وعقوق (الْوَالِد)، وَقلة الرأفة بالصغير الطريح الَّذِي لَا ذَنْب لَهُ، والغدر بالأمانة، وَترك الْعَهْد بِالْحِفْظِ، وَالْكذب الَّذِي عزموا عَلَيْهِ مَعَ أَبِيهِم يَعْقُوب عَلَيْهِ الصَّلَاة وَالسَّلَام، ثمَّ عَفا الله عَنْهُم مَعَ هَذَا كُله؛ لِئَلَّا ييأس أحد من رَحمته,[207].

خامساً: يبرز لنا القائد الخفي الذي يحاول أن يقود إخوته ويظهر أنه أقل حقداً منهم ولكنه لا يستطيع الخروج عن الجماعة, فأفضل ما يمتاز به هذا القائد الخفي هو أنه يحاول تقليل الخسائر ودفع ما يمكن من الضرر, ففي هذا الموقف حاول الدفاع عن سيدنا يوسف (υ) بعض الشيء من خلال اقتراح طرحه على إخوته فوافقوا عليه, وهو عدم قتل سيدنا يوسف (υ) والاكتفاء بطرحه في الجب.

---

207) السمعاني, *تفسير القرآن*, 8/3.

وهذا الاقتراح المطروح بعدم قتل سيدنا يوسف (υ) من قبل يهوذا وقيل أنه روبيل يرشد القيادات والأفراد إلى عدم الاستسلام لرأي الأغلبية إن كان غير صحيح, وإنما ينبغي المحاولة لدفع الضرر قدر الإمكان, وهذا هو شأن القائد، فالحصول على شيء أفضل من لا شيء.

قوله تعالى: ﴿قَالُوا يَاأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ (١١) أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ (١٢) قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ (١٣) قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَخَاسِرُونَ (١٤) ﴾[208].

بعد أن عزم إخوة يوسف على التخلص منه عن طريق رميه في الجب أخذوا يسعون لإقناع أبيهم كي يخرج معهم سيدنا يوسف (υ) وينفردوا به, والآيات الكريمة تظهر بعض ما امتاز به إخوة يوسف وهو الآتي:

أولاً: وسيلة الإقناع الكبيرة التي استطاعوا من اقناع أبيهم الذي كان يحذر سيدنا يوسف منهم فإذا به يقع ضحية كذبهم ومكرهم, ووسيلة الإقناع ضرورية ومهمة فينبغي توافرها لدى كل قائد أو مسؤول, لاسيما إذا كان صاحب رسالة ويريدها أن تصل إلى باقي الناس, وينبغي أن تستخدم في جانب الخير وجلب المنافع للناس.

ثانياً: وحدة الصف ووحدة الكلمة التي اعتمدوها في كل قراراتهم أسهمت كثيراً في اقناع سيدنا يعقوب (υ) لخروج سيدنا يوسف (υ) معهم, يظهر ذلك بقولهم: ﴿قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَخَاسِرُونَ﴾، وكلمة (نحن عصبة) تكررت منهم أكثر من مرة, وفي كل

---

208) يوسف 12/ 11- 14 .

موقف يظهر عملهم الجماعي ليعبر عن وحدتهم وتكاتفهم, ووحدة الكلمة والصف ضرورية ومهمة سواء في العائلة الواحدة أو على نطاق الدولة, فهي تعكس الداخل القوي لجميع الأفراد, وتعبر عن مدى التماسك الداخلي للدول, فينتج عنها قوة في اتخاذ القرار, وتنتج عنها قوة في مواجهة الدول الأخرى, فكل القيادات مدعوة إلى التكاتف والعمل الجماعي كما فعل إخوة يوسف (υ) ولكن في جانب الخير, أي أن وحدة الصف ووحدة الكلمة تستعمل لخدمة الناس وليس للانتقام أو الكيد أو إلحاق الضرر بالآخرين.

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (١٥) وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ (١٦) قَالُوا يَاأَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ (١٧) وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ (١٨)﴾[209].

بعد أن وافق سيدنا يعقوب (υ) على خروج سيدنا يوسف (υ) مع إخوته يرتع ويلعب بزعمهم ذهبوا به واتفقوا على رميه في الجب. وقد تميز إخوة يوسف في الآيات السابقة بما يأتي:

أولاً : القسوة الشديدة التي استخدموها مع سيدنا يوسف (υ) والمكر الذي ظهر منهم كان وبالاً عليهم, إذ ألجأتهم الحاجة إليه في سنين القحط, فجاءوا يطلبون الطعام منه وهم لا يشعرون أنه يوسف (υ), وحصل ما حصل في حادثة السقاية التي وضعت في رحل أخيهم مما جعلهم يرجعون إلى أبيهم ويقطعون مسافات طويلة بين مصر وكنعان, فمن حكمة الله تعالى وعدالته

---

209) يوسف 12/ 15- 18 .

أنه عاملهم بالمثل, فحينما أخذوا سيدنا يوسف (ʊ) معهم ليرتع ويلعب بزعمهم وهم عازمون على رميه في الجب كانوا يعذبونه ويضربونه وهم لا يشعرون بما يعانيه من صدمته بفعلهم وكذبهم على أبيه وخيانتهم الأمانة, فمن باب المعاملة بالمثل عاقبهم الله تعالى بأن يقطعوا المسافة بين مصر وكنعان ثلاث مرات وهم لا يشعرون أن الذي يفعل بهم هذا هو يوسف (ʊ), فقد قوبل المكر السيء منهم بالمكر الحسن الذي دبَّره بمعونة الله تعالى, وقوبل عدم الشعور منهم بما يعانيه سيدنا يوسف (ʊ) بعدم الشعور أنه يوسف في وقت هم أحوج ما يكون لمعرفته, لذلك حينما فعلوا به ما فعلوا طمأنه الله تعالى بالوحي فقال: ﴿لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾، أي لا تكترث لعدم شعورهم بك فسيأتي يوم يعذبون فيه وهم لا يشعرون إنك أخاهم.

ثانياً: الاستخدام الأمثل لظرفي الزمان والمكان، وكذلك استخدام واستغلال جميع الوسائل التي تساعدهم في تنفيذ مكرهم, فقد اختاروا وقت العشاء للرجوع وإخبار أبيهم بفقدان سيدنا يوسف (ʊ) لأن الليل يخفي ملامحهم فهم يبكون كذباً, واختاروا مكان تنفيذ كيدهم وهو مكان الرعي لأنه من المعلوم أن الرعي لا ينحصر بمكان معين, فإذا ما أراد سيدنا يعقوب (ʊ) البحث عنه كان بإمكانهم أن يضللوه ويأخذوه إلى أي مكان يخدمهم, واستغلوا وجود الذئاب في مناطق رعيهم ليمرروا كذبتهم, واستغلوا كل ما من شأنه أن يدعم كذبتهم, وهذا الاستغلال للظروف المساعدة يحسب كميزة ايجابية لهم لو كان في جانب الخير, فيجب على القائد أن يستغل كل شيئ يساعده في الوصول إلى هدفه.

قوله تعالى:﴿وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ (٥٨) وَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ قَالَ ائْتُونِي بِأَخٍ لَكُمْ مِنْ أَبِيكُمْ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ (٥٩) فَإِنْ لَمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي وَلَا تَقْرَبُونِ (٦٠) قَالُوا سَنُرَاوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ (٦١) وَقَالَ لِفِتْيَانِهِ اجْعَلُوا بِضَاعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (٦٢)﴾[210].

لما جاءت سنوات القحط والجوع وعمَّت الحاجة مصر والشام بما فيها كنعان- حيث كان يسكن سيدنا يعقوب (υ) مع أولاده- فأرسلهم إلى مصر إذ علم أن فيها ملكاً ولديه خزائن ويمتار منه الناس, فلما دخلوا على سيدنا يوسف (υ) عرفهم, لأنهم كانوا كباراً حينما افترقوا ولم تتغير أشكالهم كثيراً, بينما هم لم يعرفوه لأنه كان صغيراً حينما ألقوه في الجب, ولم يخطر على بالهم أن يكون على هذه المنزلة والمكانة, وربما دار بينهم حديث فسألهم عن أحوالهم فعرفهم من لسانهم, والأقوال في كيفية معرفته لهم كثيرة وخاض فيها المفسرون كثيراً, وكان سيدنا يوسف (υ) يعطي كل رجل حمل بعير فيبدو أنهم طلبوا حصة أخيهم بنيامين الذي بقي عند سيدنا يعقوب (υ)، لذلك أراد منهم أن يجلبوه معهم في المرة القادمة، وإلا فلن يسمح لهم بدخول مصر ولن يعطيهم شيئاً من الطعام، لذلك قال: ﴿فَإِنْ لَمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي وَلَا تَقْرَبُونِ﴾، والذي يعنينا هو أهم ما يميز إخوة يوسف (υ) في هذه الآيات الكريمة السابقة الذكر, نذكر شيئاً منها:

أولاً : نلاحظ في هذه المرحلة أن إخوة يوسف (υ) يظهر عليهم بعض التغير في التعامل والمصداقية، إذ صدقوا في شرح وضعهم ووضع أبيهم وابتعدوا عن الكذب, وهذا نتيجة الجهد

---

210) يوسف 12/ 58- 62.

المبذول من سيدنا يعقوب (υ) في إصلاحهم, ولكن صلاحهم لم يبلغ بهم مرحلة الفراسة التي تكون للمؤمن, لأنهم لم يعرفوا أن الذي يخاطبهم وأكرمهم هو سيدنا يوسف (υ), فذلك قوله تعالى ﴿وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ﴾ فلم ترشدهم فراستهم ولم يرشدهم قلبهم إلى معرفته.

ثانياً: من خلال كلامهم فهم منهم سيدنا يوسف (υ) أنه لاتزال تراود قلوبهم نزعة الغيرة والحسد من أخيه بنيامين, فحينما طلب منهم أن يأتوا في المرة القادمة بأخ لهم من أبيهم كان جوابهم: ﴿قَالُوا سَنُرَاوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ﴾، فحينما قالوا سنراود عنه (أباه) فهم أنهم لا يزالون يضمرون الغيرة والحسد وكأنما يشعرون أن سيدنا يعقوب (υ) هو أب لبنيامين فقط لما يرون من حبه له وقربه من قلبه، فغاضهم ذلك وظهر على لسانهم دون أن يشعروا بذلك, وإلا كان الأولى بهم أن يقولوا: (سنراود عنه أبانا), لذلك فعل بهم ما فعل سيدنا يوسف (υ), واتخذ إجراءات كثيرة كي يضمن عودتهم مع أخيه بنيامين منها: ﴿وَقَالَ لِفِتْيَانِهِ اجْعَلُوا بِضَاعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾، وتأخر في لم شملهم حتى يتأكد من توبتهم ونقاء قلوبهم, وهذا يدعو الجميع والقادة خاصة إلى اختيار الألفاظ الدقيقة حين المخاطبة والنقاش، لأن الكلام يعبر عما يضمر صاحبه, فلا يصح أن يظهر كل ما في داخلك إلى العلن, لذلك كان سيدنا يوسف (υ) أوعى منهم في هذا الجانب, وشهد له الباري جل وعلا في ذلك, فحينما قالوا له: ﴿قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ﴾، لم يظهر لهم سيدنا يوسف (υ) ما يعلم عنهم, وإنما أسر ذلك، ﴿فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنْتُمْ شَرٌّ مَكَانًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ﴾، أما هم فلم يحتملوا أن يخفوا غيرتهم وحسدهم فظهر على لسانهم.

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَى أَبِيهِمْ قَالُوا يَاأَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَا أَخَانَا نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ (٦٣) قَالَ هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمِنْتُكُمْ عَلَى أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (٦٤) وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ وَجَدُوا بِضَاعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا يَاأَبَانَا مَا نَبْغِي هَذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ذَلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ (٦٥) قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّى تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ لَتَأْتُنَّنِي بِهِ إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ (٦٦)﴾ [211].

بعدما رجع إخوة يوسف (υ) إلى أبيهم أخذوا يقنعون أباهم بأن يسمح لبنيامين بالذهاب معهم للميرة ولقاء العزيز, فلم يسمح له بالذهاب معهم إلا بعد أن أخذ عليهم المواثيق, ومن الآيات السابقة نلحظ مميزات إخوة يوسف (υ) نذكر منها:

أولاً : المصداقية والصراحة التي نقلوا بها ما حدث بينهم وبين العزيز فحدثوا بها والدهم تشير إلى التغير الكبير الحاصل في أخلاقهم وتصرفاتهم, ساعدهم في ذلك حكمة وتدبير سيدنا يوسف (υ) حينما جعل بضاعتهم في رحلهم وردها إليهم فكانت كعربون للمصداقية فيما حدثوا به أباهم (υ) عن كرم العزيز، ﴿وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ وَجَدُوا بِضَاعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا يَاأَبَانَا مَا نَبْغِي هَذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ذَلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ (٦٥)﴾، ولو لم يكن هذا التدبير من سيدنا يوسف (υ) لكان الموقف أصعب على إخوة يوسف (υ) فلم يكن هنالك ما يثبت صدقهم أو يدعم حجتهم, فالمصداقية في القول أو

---

211) يوسف 12/ 63- 66 .

الفعل من أهم ما يتصف به القائد أو الفرد, لأنه إذا عرف عنه الكذب مرة أو أكثر فلن يصدقه أحد بعدها، ولن يتمكن من القيادة ولن يقبل منه كلام, وعدم المصداقية ستحدث فجوة كبيرة بينه وبين المجتمع بصورة عامة.

ثانياً: موافقة إخوة يوسف (ʊ) على إعطاء المواثيق لأبيهم من أجل أن يسمح لبنيامين بالذهاب معهم للميرة ولقاء العزيز يدل على نيتهم في إصلاح أخطائهم, فإذا حافظوا على إخيهم بنيامين وعادوا إلى أبيهم به كان ذلك سبباً في بناء جسور الثقة فيما بينهم, وهذا يرشد الجميع إلى ضرورة إصلاح الأخطاء, لأن العيب في الاستمرار على ذلك الخطأ.

قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ مَا كَانَ يُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِمَا عَلَّمْنَاهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٦٨) وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٦٩) ﴾[212].

حينما دخل إخوة يوسف إلى مصر كما أمرهم أبوهم وهو أن يدخلوا من أبواب متفرقة خوفاً عليهم من العين أو شيء آخر عبر عنه الباري جل وعلا بقوله: (حاجة في نفس يعقوب قضاها) وهذه الحاجة التي في نفس يعقوب تحدث عنها المفسرون كثيراً ولا شيء يوجب الجزم برأي معين, لأن الله جل وعلا لم يذكر هذه الحاجة, وضمَّ سيدنا يوسف (ʊ) أخيه بنيامين إليه, وطمأنه بأن لا تحزن مما مضى أو لا تكترث لما سيفعل الفتيان لأني سأدبر أمراً.

---

212) يوسف 12/ 68 , 69 .

قال ابن عادل الحنبلي: "{فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ}، قال أهل اللغة: تَبْتَئِسْ: تَفْتَعِل من البُؤسِ وهو الضَّررُ والشِّدةُ، والابتِئَاس: اجتِلابُ الحُزْنِ والبُؤسِ, وقوله: {بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ}، من إقامتهم على حسدنا، والحرص على انصراف وجه أبينا عنَّا ,وقال ابنُ إسحاق وغيره: «أخبره بأنَّه أخوه حقيقة، واستكتمه، وقال لهُ: لا تُبَالِي بكلِّ ما تراه من المكوره في تحيلي في أخذك منهم,... وقيل: إنَّ يوسف (ʊ) ما بقي في قلبه شيءٌ من العداوةِ وصار صافياً لإخوته؛ فأراد أن يجعل قلب أخيه صافياً معهم أيضاً، فقال: {فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ} أي: لا تلتفت إلى صنيعهم فيم تقدَّم"[213].

وأهم ما ميَّز إخوة يوسف (ʊ) في هذا المقام هو امتثالهم لأمر أبيهم حين أمرهم بأن لا يدخلوا من باب واحد, ففعلوا مثل ما أمرهم أبوهم فدخلوا من أبواب متفرقة, وهذا يثبت ما قلناه في الآيات السابقة عن نيتهم في إصلاح أنفسهم, وهذا التغيير في أنفسهم والصدق الذي أظهروه نفعهم في تقبل سيدنا يوسف (ʊ) لهم والعفو عنهم فيما بعد, وكذلك سيدنا يعقوب (ʊ) قال لهم فيما بعد: (سأستغفر لكم ربي), ويفهم من هذا أن الالتزام بالأوامر وإظهار السمع والطاعة للأب أو القائد الأعلى سيؤتي أكله ولو بعد حين, ويعبر عن الانضباط الواجب توفره لدى الجميع تجاه الأعلى منهم في المسؤولية, ويسهم في بناء الأسرة والمجتمع.

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ (٧٠) قَالُوا وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِمْ مَاذَا تَفْقِدُونَ (٧١) قَالُوا نَفْقِدُ صُوَاعَ الْمَلِكِ وَلِمَنْ جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ (٧٢) قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ

213) سراج الدين عمر بن علي بن عادل أبو حفص الحنبلي الدمشقي النعماني (ت 775هـ), *اللباب في علوم الكتاب*, المحقق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض, دار الكتب العلمية، بيروت, ط1، 1998م, 158/11.

(٧٣) قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ (٧٤) قَالُوا جَزَاؤُهُ مَنْ وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ (٧٥)﴾[214].

بعد أن ضمَّ سيدنا يوسف (υ) إليه أخاه أخذ يدبر أمراً ليبقيه معه, فجهز أخوته للعودة لبلدهم وأكرمهم, وجعل السقاية وهي الإناء الذي يشرب فيه الملك في رحل أخيه, ثم نادى بهم إنكم لسارقون, وكان من شريعة سيدنا يعقوب (υ) أن السارق يُستَرق, ويبقى عبداً عند من سرقه, فلما نودي بهم أيتها العير إنكم لسارقون، وعرفوا بفقدان صواع الملك بدأوا بالدفاع عن أنفسهم ونفوا التهمة عنهم, وسألهم سيدنا يوسف (υ) عن جزاء من وجد في رحله الصواع, فحكموا عليه بشريعتهم, وهو مراد سيدنا يوسف (υ), والذي يميّز إخوة يوسف (υ) في هذا الموقف هو حسن السيرة التي أظهروها حين قدومهم إلى مصر جعلتهم أكثر ثباتاً وقوة في الدفاع عن أنفسهم من التهمة التي وجهت إليهم.

ذكر الزمخشري ذلك فقال: "(قالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ ما جِئْنا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَما كُنَّا سارِقِينَ) تَاللَّهِ قسم فيه معنى التعجب مما أضيف إليهم, وإنما قالوا لَقَدْ عَلِمْتُمْ فاستشهدوا بعلمهم, لما ثبت عندهم من دلائل دينهم ... ولأنهم ردّوا بضاعتهم التي وجدوها في رحالهم، (وَما كُنَّا سارِقِينَ) وما كنا قط نوصف بالسرقة وهي منافية لحالنا"[215].

وهذا يرشد القادة إلى أهمية حسن السيرة والسلوك, وكذلك جميع الأفراد, لأن حسن السيرة والسلوك يعطي قوة في الحجة، تنبع تلك القوة من الثقة العالية في النفس كونها لم ترتكب شيئاً تعاب

---

214) يوسف 12/ 70- 75 .

215) الزمخشري, *الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل*, 490/2.

عليه شرعاً أو عرفاً أو قانوناً, لذلك دافع إخوة يوسف (υ) عن أنفسهم بثقة عالية, وصرحوا بعقوبة السارق حسب شريعة أبيهم يعقوب (υ).

قوله تعالى: ﴿فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وِعَاءِ أَخِيهِ كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ (٧٦) قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنْتُمْ شَرٌّ مَكَانًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ (٧٧) قَالُوا يَاأَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ (٧٨) قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِنْدَهُ إِنَّا إِذًا لَظَالِمُونَ (٧٩)﴾[216].

بعد أن اتفق سيدنا يوسف (υ) على عقوبة السارق مع إخوته دون أن يعرفوه بدأ بتفتيش أوعيتهم قبل وعاء أخيه, ثم استخرجها من وعاء أخيه, فكانت الصدمة من إخوته وأخذوا يلومونه ويوبخونه, ومما وبخوه به هو أنهم عيَّروه بأخيه يوسف (υ), فقالوا: ﴿قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ﴾، فكتم سيدنا يوسف (υ) الرد عليهم في نفسه حتى لا يكشف الأمر, والذي يميز إخوة سيدنا يوسف (υ) في الآيات السابقة ما يأتي:

أولاً: الثرثرة الزائدة التي تحدث بها إخوة يوسف (υ)، إذ لم يكن من الضروري أن يذكروا شيئاً سيئاً عن أخيهم الآخر, فالكلام والتوبيخ كان من الممكن أن يصدر منهم على بنيامين فقط دون الحاجة إلى ذكر ما ينتقص من أخيهم الآخر, فمثل هذا الأمر يعكس ما بداخلهم من حقد

216) يوسف 12/ 76-79.

على سيدنا يوسف (υ) لا يزال يخالج عقولهم فكلفهم الكثير, فقد تأخر سيدنا يوسف (υ) في لم شملهم لفقدان الثقة بهم قبل توبتهم, ولو كان الرد منهم طيباً لاختلفت الأمور ولتغيرت نظرته تجاههم, من ذلك يفهم القادة ومن دونهم أن الكلام ينبغي أن يحسب له, فالثرثرة الزائدة والتبرع بالمعلومات يكلف كثيراً, لاسيما إذا صدر من قائد أو مسؤول, فقد يتسبب في خراب الدول أو تنشأ بسببه الحروب والمشاكل, وتختل به العلاقات بين الدول, كل ذلك بسبب عدم حفظ اللسان من قبل من يصرح باسم الدولة أو الوزارة, وكذلك الثرثرة بين الناس عامة، فهي لا تقل شراً عما ذكر, ومن يرمي الناس بشيء ليس فيهم من الممكن أن يرموه بشيء ليس فيه. يقول القشيري:" كان بنيامين بريئا مما رمى به من السرقة، فأنطقهم الله تعالى حتى رموا يوسف عليه السلام بالسرقة، واحد بواحد ليعلم العالمون أنّ الجزاء واجب".[217]

ثانياً: إصرارهم على الوفاء بعهدهم هذه المرة مع أبيهم يعكس التحسن الواضح في إيمانهم بالرغم من الثرثرة التي بدرت منهم, فقد كانوا مستعدين لتحمل تبعات الاسترقاق مكان بنيامين, وأخذوا يستعطفون سيدنا يوسف (υ) بقولهم: ﴿قَالُوا يَاأَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾، ففي هذا الموقف ظهر منهم الوفاء بالعهد والتضحية من أجل ذلك, وظهر منهم الخوف على صحة أبيهم والبر به, وظهر منهم عدم نكران المعروف الذي كان لهم من العزيز، من خلال قولهم: ﴿إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾، فكل هذه الصفات تبشر بصلاحهم وتغير حالهم مع أبيهم ومع الله تعالى, وهذه الصفات من أجمل ما يتحلى به القائد.

---

217) القشيري, *لطائف الإشارات*, 197/2.

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا اسْتَيْأَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ وَمِنْ قَبْلُ مَا فَرَّطْتُمْ فِي يُوسُفَ فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ (٨٠) ارْجِعُوا إِلَى أَبِيكُمْ فَقُولُوا يَاأَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ (٨١) وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ (٨٢)﴾[218].

لما يئس إخوة يوسف من استعطاف سيدنا يوسف (ʊ) يظهر أنهم اجتمعوا وتكلموا في الأمر, فأخذ كبيرهم يذكرهم بالعهد الذي أخذوه على أنفسهم مع أبيهم, وقال لهم: أنتم قبل هذه المرة فرطتم في يوسف وأخلفتم عهدكم مع أبيكم, والآن نترك بنيامين, فلن أبرح الأرض حتى يأذن لي أبي أو يحكم الله تعالى لي, أي رفض المغادرة وفضل البقاء خجلاً من أبيه, ونصحهم بالرجوع إلى أبيهم وشرح الحالة له.

والذي يميز إخوة يوسف في الآيات السابقة ما يأتي:

أولاً: المحاولات الكثيرة من قبل إخوة يوسف (ʊ) لاستعطافه رجاء أن يطلق سراح أخيهم بنيامين من خلال توجيه اللوم عليه, ومن خلال الطلب المباشر منه إذ شرحوا له حالة أبيه الذي لا يحتمل أن يفقد ابنه الآخر, كل تلك المحاولات ترشد القائد وبالذات المفاوض أن لا يستسلم وأن يحاول بكل ما لديه أن يصل إلى هدفه كما حاول إخوة يوسف (ʊ), فلم يستسلموا للقرار من أول وهلة, وإنما حاولوا كثيراً قبل اليأس, يشهد لهم قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا اسْتَيْأَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا﴾، أي أنهم حاولوا حتى وصلوا إلى حالة اليأس.

---

218) يوسف 12/ 80-82.

ثانياً: الاجتماع والمشورة والتقرير الذي استخدمه إخوة يوسف فيما بينهم يظهر مدى القوة والتماسك فيما بينهم, فبعد أن استيأسوا من استجابة سيدنا يوسف (υ) لهم (خلصوا نجيا), أي انفردوا عن الناس ليتشاوروا فيما حصل لهم, فالمشورة من أهم ما ترتكز عليه القيادة, لأن الاجتماع والتوصل إلى تفاهمات بين القائد ومن دونه يمكن الجميع من الوصول إلى القرار الصائب, ويخلي المسؤولية عن القائد في حالة حدوث خلل في النتائج, والمشورة تساهم في تقوية أواصر الثقة والمحبة بين القائد والأفراد, وتشجع الكل على العمل الجماعي, وتمنع الانفراد في القرار, وتقضي على الدكتاتورية.

ثالثاً: ظهور الصوت العقلاني مرة أخرى بين إخوة يوسف (υ), وهو صوت القائد الخفي الذي قلنا سابقاً أنه حاول التقليل من الضرر حينما منع قتل سيدنا يوسف (υ) واقترح أن يلقوه في الجب, وهذه المرة يظهر أكثر حرصاً للوفاء بالعهد وحفظ بنيامين, واختلف المفسرون في معرفة (كبيرهم) الوارد في الآية الكريمة، فيبدوا أنهم اجتمعوا للمشاورة فتحدث كبيرهم في السن وقيل في العقل وقيل رئيسهم.

قال الزمخشري: "ومعنى خَلَصُوا اعتزلوا وانفردوا عن الناس خالصين لا يخالطهم سواهم، نَجِيًّا ذوى نجوى، أو فوجاً نجياً، أى مناجياً لمناجاة بعضهم بعضاً, وأحسن منه أنهم تمحضوا تناجياً، لاستجماعهم لذلك، وإفاضتهم فيه يجدّ واهتمام، كأنهم في أنفسهم صورة التناجي وحقيقته، وكان تناجيهم في تدبير أمرهم، على أيّ صفة يذهبون؟ وماذا يقولون لأبيهم في شأن أخيهم؟ ... ما فَرَّطْتُمْ فِي يُوسُفَ فيه وجوه: أن تكون «ما» صلة، أى: ومن قبل هذا قصرتم في شأن يوسف ولم تحفظوا عهد أبيكم"[219].

219) الزمخشري, *الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل*, 494/2.

ولايوجد ما يدل على صاحب الكلام العقلاني سوى كلام الله سبحانه (قال كبيرهم), فظهر أنه حريص على الوفاء بالعهد ونادم على ما فعلوه بيوسف (ʊ) من قبل، لأن ذلك الفعل جعلهم يفقدون ثقة أبيهم بهم, ورفض العودة معهم خجلاً من الموقف, وأظهر صدق التوكل على الله تعالى بقوله: ﴿فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾، وأظهر دور القائد الخفي الذي يحاول تعديل المسار دون أن يخسر أحد, فالذي يعمل مع جمع لا يمثلهم قائد ولا يعترفون بقيادته فليعمل قدر المستطاع على التأثير على قراراتهم والدفع باتجاه الصواب, فالحصول على شيء أفضل من لاشيء.

رابعاً: التعامل بالدليل العقلي والمادي من قبل إخوة يوسف (ʊ), فحينما قصوا على أبيهم ما حدث لهم طلبوا من أبيهم أن يسأل أهل القرية التي كانوا فيها, ويسأل الناس الذين أقبلوا معهم إذا لم يكن يصدقهم، ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾، فالتعامل بالدليل ينفع في بناء الثقة التي يطمح لها إخوة يوسف (ʊ) مع أبيهم, فهو طلب ذكي منهم, لأنه وإن لم ينفذ فهو يدعم حجتهم وصدق مقالهم عقلياً, وهذا يفيد القادة ويدعوهم إلى استخدام الدليل في التعامل مع الآخرين إلى أن تصبح الثقة بينهم كبيرة ولا تحتاج إلى قرينة لإثبات مصداقيتهم في القول أو الفعل.

قوله تعالى:﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَاأَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ (٨٨) قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ (٨٩) قَالُوا أَإِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (٩٠) قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا

وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ (٩١) قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (٩٢)﴾[220].

بعد أن أمر سيدنا يعقوب (υ) أولاده بالرجوع والتحسس من يوسف وأخيه رجعوا إلى مصر فدخلوا على سيدنا يوسف (υ) وجرى بينهم الحوار المذكور في الآيات الكريمة السابقة, فشكوا له الحال واستعطفوه، لأن بضاعتهم هذه المرة غير جيدة ولا تكفيهم الميرة.

ذكر ذلك الواحدي في تفسيره فقال: "{فلما دخلوا عليه قالوا يا أيها العزيز مسَّنا وأهلنا الضر} أصابنا ومَنْ يختصُّ بنا الجوع {وجئنا ببضاعة مزجاة} ندافع بها الأيام ونتفوت وليس ممَّا يتشبَّع به، وكانت دراهم زيوفاً {فأوف لنا الكيل}، سألوه مساهلتهم في النقد وإعطائهم بدراهمهم مثل ما يعطي بغيرها من الجياد، {وتصدَّق علينا} بما بين القيمتين، {إن الله يجزي} يتولَّى جزاء {المتصدقين}، ...وقال توبيخاً لهم وتعظيما لما فعلوا: {قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ}، بإدخال الغمّ عليه بإفراده من يوسف {إذ أنتم جاهلون} آثمون بيعقوب أبيكم وقطع رحم أخيكم منكم"[221].

والذي ميَّز إخوة يوسف في الآيات السابقة ما يأتي:

أولاً: الاستثمار الأمثل للجانب الإنساني وتحريك الجانب العاطفي لدى سيدنا يوسف (υ), ظهر هذا من إخوته من خلال عرض حالتهم وما مسهم من جوع, لأنهم من خلال ترددهم عليه قرأوا فيه الرحمة والإنسانية، فاستغلوا هذا الجانب للوصول إلى هدفهم وهو رجاء أن يطلق سراح أخيهم بنيامين، وأن يقبل بضاعتهم ولا ينقص من حصتهم من الطعام, وبالفعل سرعان ما رقَّ لهم وعرَّف عن نفسه, وهذا يرشد القادة إلى ضرورة الاستفادة من كل النقاط التي من شأنها أن

220) يوسف 12/ 88-92 .

221) الواحدي, *الوجيز في تفسير الكتاب*, ص559 .

تؤثر في القرار، ومنها القراءة الدقيقة لشخصية المقابل، ومعرفة نقاط الضعف والقوة لديه، وتسخيرها لصالح الأهداف المرسومة.

ثانياً: الاعتراف بالخطأ واتهام النفس وانتقادها من قبل إخوة يوسف (ʊ) وهذا يعد من الفضائل, فحينما عرفوه سرعان ما اعترفوا بخطأهم وتقصيرهم بحقه, والأهم من ذلك هو التغير الواضح في تعاملهم مع الله جل وعلا, إذ اعترفوا بتفضيل الله تعالى لسيدنا يوسف (ʊ), وهذا يدل على صحة عقيدتهم وإيمانهم بأن الأمر عائد إلى الله تعالى الذي يختص برحمته من يشاء. والاعتراف بالخطأ من شيم الرجال وخصوصاً من يقود أو يمثل الناس فهو القدوة في ذلك, وينبغي أن تكتمل فضيلة الاعتراف بفضيلة أخرى وهي الاعتذار من التقصير سواء في حق الناس أو في حق الله تعالى, فإذا ما حصل الاعتراف بالذنب أو التقصير وحضر معه الاعتذار فهذا يوجب العفو والمغفرة, وهذا ما حصل مع إخوة يوسف (ʊ)، إذ نالوا العفو والدعاء بالمغفرة لهم بمجرد اعترافهم بالذنب والاعتذار منه.

قوله تعالى: ﴿اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ (٩٣) وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ (٩٤) قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ (٩٥) فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٩٦) قَالُوا يَاأَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ (٩٧) قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٩٨)﴾[222].

222) يوسف 12/ 93- 98 .

شاء الله تعالى أن يمكن سيدنا يوسف (υ) من إخوته وانقادوا له طوعاً وطاعة لله تعالى الذي فضله عليهم, فقال لأخوته اذهبوا بقميصي هذا فألقوه على وجه أبي يأت بصيراً وأتوني بأهلكم أجمعين, وكأنه يقول لإخوته كما كنتم سبباً في إلحاق الضرر بأبيكم يعقوب (υ) اذهبوا فأصلحوا ذلك بأيديكم, ولتكن بشرى اللقاء من لسانكم كما كان نداء الفرقة.

وأهم ما تميَّز به إخوة يوسف (υ) في الآيات السابقة ما يأتي:

أولاً: حسن الالتزام والطاعة وتنفيذ الأوامر, فقد بدا ذلك واضحاً على إخوة يوسف (υ) من خلال تنفيذ ما طلبه منهم من الرجوع إلى أبيهم وإلقاء القميص عليه والعودة بأهلهم أجمعين إليه, كل تلك الطاعة منهم تجزم بصلاح سريرتهم، وانتهاء ما كان منهم من حقد وحسد وكيد تجاه سيدنا يوسف (υ), فقد كانوا في يوم من الأيام يتصرفون كقيادة منفردة وحدهم فيجتمعون ويقررون وينفذون, فاليوم ظهر قائد أعلى منهم وهو سيدنا يوسف (υ) لذلك وجبت طاعته والانقياد له, وهذا يرشد القادة إلى أهمية المركزية في اتخاذ القرار, وإلى وجوب الالتزام بالتنفيذ وإظهار الطاعة للقائد الأعلى.

ثانياً: التوجيه الصحيح لِلهَمْ, والاهتمام بالأهم, فحينما كانت البهجة تغمر سيدنا يعقوب (υ) ببشرى اللقاء بسيدنا يوسف (υ)، كان الذي يشغل إخوة يوسف (υ) هو الاعتذار وطلب المغفرة من أبيهم ﴿قَالُوا يَاأَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ﴾، وهذا التوجيه لِلهَمْ أسعد سيدنا يعقوب (υ) فوعدهم بالاستغفار لهم, لأنه رأى منهم صدق النية وصدق التوجه إلى الله تعالى, وهذا ما كان يسعى إليه سيدنا يعقوب (υ) من ربطهم بخالقهم وتقوية إيمانهم.

والذي ينفع القادة من هذا هو ضرورة توحيد الهَمْ وتوجيهه باتجاه الأهم, ومعرفة الأولويات من أهم ما يميّز القائد, فهي تجعل القائد أكثر اتزاناً وتركيزاً لأنه يعرف ما يريد, وهذا

ما فعله إخوة يوسف (υ) حينما حسنت صلتهم بالله تعالى, فقد تيقنوا بأنه لا معنى لاعترافهم بالخطأ إذا لم يغفر الله تعالى لهم, لذلك طلبوا ابتداءً العفو من المتضرر الأول وهو سيدنا يوسف (υ), ومن ثمَّ طلبوا العفو والمغفرة من أبيهم وهو المتضرر الثاني من فعلهم, فإذا ما تنازل أصحاب الحق عن حقهم صار الجو مناسباً لطلب المغفرة من الله تعالى.

2. 3. 3. المطلب الثاني: السمات القيادية لامرأة العزيز.

وهي المرأة التي نشأ وتربى في بيتها سيدنا يوسف (υ) بعد أن اشتراه زوجها عزيز مصر وأوصاها بأن تُكرم مثواه, وكانت امرأة حسناء ولكن لم يكن لها أولاد، لأن زوجها كما قيل كان لا يأتي النساء وقد سبق ذكر ذلك, وقد نشأت في بيت عز, في بيت العزيز المقرب من الملك، ووزيره الذي يتولى أمر الخزانة للمملكة, وكانت تملك حنكة وتدبيراً وذكاءً، لكنها استعملت ذلك في غير محله, فقد سببت المشاكل والظلم لسيدنا يوسف (υ) من خلال مراودتها له عن نفسه, وتسببت في سجنه, وفي كل تلك الأحداث كانت تستخدم عبقريتها في التخطيط والتنفيذ, فهي تملك صفات قيادية كثيرة, لكنها استخدمتها في الكيد والمكر, وتدور حولها الكثير من أحداث القصة, وأخذت الدور السلبي, إذ استخدمت قدراتها في محاولة إشباع رغباتها على حساب الآخرين، لكنها وقفت وقفة شجاعة في نهاية الأمر وحسُن حالها واعترفت بذنبها، فكان ذلك سبباً في حب الناس لسيدنا يوسف (υ) إذ برزت عفته وأمانته, وكذلك ازداد الملك تعلقاً به ورغبة في استعماله كوزير للخزانة بدلاً من زوجها.

وسنتناول أهم ما يميزها كشخصية نسوية تملك قرار نفسها, واستطاعت أن تؤثر في قرارات زوجها عزيز مصر, وسنذكر ما كان من صفاتها القيادية سلباً أو إيجاباً بحسب ما يرد من ذكرها في

الآيات الكريمة الواردة في السورة, ولانريد أن نظلمها في شيء لم يكن فيها أو نبالغ في بعض الأمور, ولا يحق لأحد أن ينتقص منها بغير ما ذكره الله تعالى عنها, كونها في نهاية الأمر أصبحت زوجة نبي, وإنما تؤخذ العبر من المواقف وليس القصد هو الانتقاص, فضلاً عن ذلك لم يرد شيء في القرآن أو كتب أخرى أنها كانت بغياً أو ما شابه ذلك, وإنما كانت نزوة أو شعور سابق لأوانه, فينبغي من باب الإنصاف والأدب أن لا ينتقص منها أحد في أمر ما أكثر مما ورد في القرآن الكريم مخافة الظلم في حقها.

قوله تعالى: ﴿وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ (٢٣) وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ (٢٤) وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٢٥)﴾[223].

لقد نشأ سيدنا يوسف (υ) في بيت العزيز الذي أوصى امرأته بإكرامه وحسن إقامته, وأخذ يكبر أمام أنظار زوجة العزيز التي يبدو من خلال أقوال المفسرين أنها كانت تفتقد إلى الحياة الزوجية الطبيعية كون زوجها لا يأتيها لأنه كما قيل كان عنيناً, فوجدت أمام أنظارها سيدنا يوسف(υ) وهو في عنفوان شبابه وحسن طلعته وبهاء منظره, فراودته عن نفسه, يقول الزجّاج في معنى كلمة (راودته):" المعنى أنها رَاوَدْته عما أرادَتْه مما يريد النساء من الرجَالِ، فَعُلِمَ بِتَرْكِهِ ذكرَ الفَاحِشَةِ نفسها

223) يوسف 12/ 23- 25.

ما راودته عليه"[224] وأخذت كافة الإجراءات التي من شأنها أن تساعد في إتمام ما تريد دون أن يشعر أحد, يقول ابن كثير في ذلك: "يَذْكُرُ تَعَالَى مَا كَانَ مِنْ مُرَاوَدَةِ امْرَأَةِ الْعَزِيزِ لِيُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنْ نَفْسِهِ وَطَلَبِهَا مِنْهُ مَا لَا يَلِيقُ بِحَالِهِ وَمَقَامِهِ، وَهِيَ فِي غَايَةِ الْجَمَالِ وَالْمَالِ وَالْمَنْصِبِ وَالشَّبَابِ، وَكَيْفَ غَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ عَلَيْهَا وَعَلَيْهِ؟ وَتَهَيَّأَتْ لَهُ وَتَصَنَّعَتْ وَلَبِسَتْ أَحْسَنَ ثِيَابِهَا وَأَفْخَرَ لِبَاسِهَا، وَهِيَ مَعَ هَذَا كُلِّهِ امْرَأَةُ الْوَزِيرِ"[225],

ومن خلال الآيات الكريمة السابقة تبرز بعض السمات القيادية لامرأة العزيز نذكر منها:

أولاً: الشجاعة في الإقدام على ما تطمح إليه، وتخطي جميع العوائق في سبيل الوصول إلى هدفها, وهذا من صفات القادة المتميزين لولا أن هدفها كان سيئاً, فنجد أنها تعدت جانب الحياء الذي ينبغي أن يكون في النساء بصورة عامة, يقول ابن جزي :" وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ أي طلبت منه ما يكون من الرجل إلى المرأة وهي زليخا امرأة العزيز وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ روي أنها كانت سبعة أبواب (هَيْتَ لَكَ) اسم فعل معناه تعال وأقبل"[226], وكذلك تخطت الجانب المعنوي في ذلك كونها صاحبة أمر ونهي وهي تطلب ولا تعرض نفسها لأحد, وتخلت أيضاً عن الجانب الاعتباري كونها زوجة عزيز مصر, ولا يصح أن تظهر بهذه الوضاعة أمام غلام اشتراه زوجها, ولكن رغبتها الجامحة في نيل ما تريد جعلتها تتخلى عن كل الاعتبارات في سبيل الوصول لهدفها, ولابأس بذلك لو كان الهدف نبيلاً, وهذا يرشد القادة إلى ضرورة

---

224) إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (ت ٣١١هـ), *معاني القرآن وإعرابه*, المحقق: عبد الجليل عبده شلبي, عالم الكتب – بيروت, ط1, 1988م, 99/3.

225) ابن كثير, *البداية والنهاية*, 469/1.

226) محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله أبو القاسم ابن جزي الكلبي الغرناطي (ت 741هـ), *التسهيل لعلوم التنزيل*, المحقق: الدكتور عبد الله الخالدي, شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم – بيروت ط1- 1416 هـ, 384/1.

التضحية في بعض الأمور والإقدام بشجاعة نحو تحقيق الأهداف المرسومة, ولا مانع من التخلي عن الأشياء الاعتبارية والمعنوية الشخصية في سبيل تحقيق المراد, ويشترط في ذلك أن يكون الهدف سامياً ونبيلاً ويصب في مصلحة الفرد أو الجماعة.

ثانياً: التطوير المستمر للخطة من قبل امرأة العزيز, فقد بدأت الأمر بالمراودة التي قال عنها أهل التفسير إنها الطلب برفق من خلال التعرض لسيدنا يوسف (υ) ومحاولتها أن توقعه في شباكها, ويظهر أنها كانت تكرر محاولات جذبه من خلال جمالها أو من خلال بعض الإيحاءات, لأنها لم ترد التصريح بالطلب ابتداءً كونها ذات مكانة, وكذلك كونها أنثى وينبغي أن تكون المبادرة من الرجل, يقول عبد القادر العاني في كتابه (بيان المعاني):

"ولما رأت عدم رغبته بما طلبته ناشيء عن أمر قلبي كرهه في تنفيذ طلبها غضبت عليه، وجرته لداخل الدار (وَغَلَّقَتِ الْأَبْوابَ) عليه، واعلم أن تضعيف الفعل يدل على التكثير، أي أنه ليس بابا واحدا بل أبواب كثيرة، قالوا إنها سبعة، واحد داخل الآخر والتفتت إليه (وَقالَتْ هَيْتَ لَكَ) تعال أقبل إليّ، فقد هيئت لك، وهي لغة حوارن إذ ذاك، أي هلم أفعل ما آمرك به، وفيها معنى الحث على الفعل، وقيل إن هيت بالعبرانية. بمعنى تعال فعرّبت"[227] .

فبعد أن عجزت من أن تجد استجابة منه ظنت أن الذي يمنعه هو مخافة أن يفاتحها بالأمر, أو أنه يخشى أن يراه الناس, فبادرت إلى تغيير مسار خطتها في محاولة منها لإزالة الحواجز والموانع المادية والمعنوية التي ظنت أنها كانت سبباً في رفضه لمحاولاتها, لذلك فقد تزينت له

227) عبد القادر بن ملّا حويش السيد محمود آل غازي العاني (ت 1398هـ), *بيان المعاني*, مطبعة الترقي – دمشق, ط1 1965 م, 189/3.

وصرحت له بالطلب وغلقت الأبواب وقالت: (هيت لك) أي تهيأت لك ورتبت لك جميع أسباب إتمام هذا الأمر بستر ودون أن يعلم أحد.

جاء في تفسير البحر المديد قوله: "يقول الحق جلّ جلاله: وَراوَدَتْهُ للفاحشة، أي: تمحلت وطلبت منه أن يوافقها الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِها وهي زليخا, وترك التصريح بها استهجاناً, فراودته عن نفسه، وَغَلَّقَتِ الْأَبْوابَ، قيل: كانوا سبعة, والتشديد للتكثير، أو للمبالغة في الإيثاق، وَقالَتْ هَيْتَ لَكَ أي: أقبل وبادر، أو تهيأتُ لك, رُوي أنها تزينت بأحسن ما عندها، وقالت: تعال يا يوسف، قالَ مَعاذَ اللَّهِ أي: أعوذ بالله معاذاً، إِنَّهُ أي: الشأن، رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوايَ سيدي أحسن إقامتي وتربيتي، إذ قال لك أكرمي مثواي، فما جزاؤه أن أخونه في أهله، أو أنه تعالى ربي أحسن مَنزلي بأن عطف عَلَيَّ قلبَ سيدي، ولطف بي في أموري، فلا أعصيه، إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ المجاوزون الإحسان إلى الإساءة، أو الزناة فإن الزنى ظلم على الزاني والمزنيّ بأهله"[228].

والذي ينفع القادة من شخصية امرأة العزيز في هذا الموقف هو التدرج في الخطط الموضوعة للوصول إلى الأهداف، وضرورة تطويرها باستمرار وحسب الحاجة التي يتطلبها الموقف, وعدم الركون لخطة معينة إذا لم تأتي بالمطلوب.

ثالثاً: المبادرة في فرض الرواية التي تناسبها بالمكر والكذب, ومحاولة إخفاء الحقائق من خلال سرعتها في مخاطبة زوجها حينما رفض سيدنا يوسف (υ) طلبها وسارع للهروب من الموقف، فاستبقا الباب وقدَّت قميصه من دبر, فوجدا زوجها على الباب, فسبقت سيدنا يوسف (υ) في الكلام، وقالت: ﴿قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾، وهذا من دهائها في تدارك الموقف ومحاولتها طمس الحقيقة, وتصرفت وكأن الأمر قد فرغ منه من أن سيدنا يوسف (υ) أرادها بسوء, فحاولت لفت الأذهان إلى نوع العقوبة التي يستحقها وهي السجن أو العذاب, ولكن لم ينفعها شيء من ذلك لأن الله تعالى تولى رعايته وحمايته.

228) ابن عجيبة, *البحر المديد في تفسير القرآن المجيد*, 587/2.

وهذا يرشد القادة إلى ضرورة الفطنة وتدارك الأمور واختيار القائد أو المسؤول الذي يملك سرعة بديهة تمكنه من النجاة في المواقف الصعبة.

قوله تعالى:﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُباً إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٣٠) فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ (٣١) قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِنَ الصَّاغِرِينَ (٣٢) قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ (٣٣) فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٣٤) ثُمَّ بَدَا لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّى حِينٍ (٣٥)﴾[229].

حينما خرج خبر امرأة العزيز إلى العلن وأخذت النسوة تتكلم في هذا الأمر أرادت امرأة العزيز أن تدافع عن نفسها, ولكن دفاعها هذه المرة بإسلوب مختلف وينم عن حكمة وذكاء تتمتع به هذه الشخصية, وإليك أبرز ماتميزت به في هذا الموقف الوارد في الآيات الكريمة السابقة:

أولاً: لما وقع عليها اللوم من النسوة أنها تراود فتاها عن نفسه أرادت أن تثبت لهن بالتجربة أنه لو كانت إحداهنَّ مكانها لتصرفت مثل تصرفها, ولو دافعت عن نفسها بالكلام لم يكن له تأثير كما حصل بالتجربة والدليل, إذ أرسلت إليهن، وأعدت لهنَّ مكاناً للجلوس، وقدمت لهن

229) يوسف 12/ 30-35 .

الطعام والفاكهة، وأعطت لكل واحدة منهنَّ سكيناً، وطلبت من سيدنا يوسف (υ) أن يخرج عليهن حتى تنظر ما يفعلن بأنفسهنَّ, وبالفعل حصل ما أرادت أن تثبته لهن, إذ لم يصبرن على رؤيته لما يحمل من جمال وبهاء طلعة ووقار, فقطع النسوة أيديهن من شدة جماله وقلن (ما هذا بشراً إن هذا إلا ملك كريم)، عند ذلك استخدمت الكلام في الدفاع عن نفسها فقالت: (فذلكن الذي لمتنني فيه)، أي هذا الذي وقع عليَّ اللوم بسببه, وأنتنَّ لم تصبرن على رؤيته لحظة فكيف بي أراه أمام ناظري كلَّ يوم, وهذا يدعو القادة والمسؤولين إلى استخدام التجربة والدليل في الدفاع عن آرائهم وصحة توجهاتهم وقراراتهم, لأن التجربة وإخضاع المقابل لنفس الموقف ونفس الظرف سوف يجبره على الاعتراف بصحة ما قمت به, وهو أكثر وقعاً من الكلام.

ثانياً: استخدام الضغط النفسي والمعنوي على سيدنا يوسف (υ) من التهديد بالسجن أو التعذيب في سبيل النيل من إرادته والعدول عن عصمته, وذلك بقولها: ﴿وَلَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾، وهذا الاستخدام السيء للسلطة عبَّر عن ظلمها ورغبتها للوصول لمطلوبها بكل الوسائل وإن كانت جائرة, أما من ناحية القائد أو المسؤول فيمكنه أن يستخدم وسائل الضغط القانونية للوصول إلى هدفه إن كان الهدف نبيلاً ولم يجد استجابة من الخصم, والأولى أن يتدرج في طرح ما يريد كما تدرجت امرأة العزيز, فبدأت الطلب برفق, ثم انتقلت إلى التصريح المباشر وإزالة الموانع, ثم انتقلت إلى التهديد والوعيد. كذلك المسؤول أو القائد عليه عرض طلبه بالحسنى وبالطرق الرسمية التي لا تزعج أحد, وإذا لم يجد استجابة ينتقل إلى طرائق أكثر حدة للوصول إلى مراده, وكذلك هي صيغ التعاملات بين الدول، فالمفاوضات

تبدأ بالحسنى والمجاملات، فإذا استعصى الطلب ينتقل المفاوض إلى أسلوب الضغط بجميع الوسائل الممكنة والشرعية.

ثالثاً: امكانيتها في التأثير على قرارات زوجها عزيز مصر من خلال استخدام أساليب الإقناع المؤثرة للحصول على ما تطمح إليه, فحينما عجزت عن لي ذراع العصمة والعفة لدى سيدنا يوسف (υ) لجأت إلى أسلوب الضغط النفسي من خلال طرح موضوع سجنه على زوجها وإقناعه بذلك, فقد جاء في تفسير البحر المديد في تفسير القرآن المجيد قوله: "يقول الحق جلّ جلاله: (ثُمَّ بَدا لَهُمْ) أي: ظهر للعزيز وأهله، مِنْ بَعْدِ ما رَأَوُا الْآياتِ الدالة على براءة يوسف كشهادة الصبي، وقَدّ القميص، وقطع الأيدي، واستعصامه منهن، فظهر لهم سجنه, وأقسموا لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّى حِينٍ: حتى يظهر ما يكون منه ليظن الناس أنها مُحِقة فيما ادعت عليه, فخدعت زوجها حتى وافقها على سجنه"[230].

رابعاً: الحب الشديد من قبل امرأة العزيز لسيدنا يوسف يفيد بأنها كانت تعاني من نقص عاطفي, وهذا يرشد إلى ضرورة مراعات الأزواج لزوجاتهم في هذا الجانب للحفاظ على العائلة والمجتمع من الضياع.

قوله تعالى: ﴿قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدْتُنَّ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ (٥١) ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ (٥٢)﴾[231].

---

230) ابن عجيبة, *البحر المديد في تفسير القرآن المجيد*, 595/2.

231) يوسف 12/ 51-52.

لما سمع الملك تأويل سيدنا يوسف (υ) لرؤياه طلبه يريد رؤيته ومقابلته, فلما جاءه رسول الملك قال: ارجع إلى ربك فاسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن؟ عند ذلك جمع الملك النسوة ليتبين من الأمر فسألهن عن مراودتهن يوسف عن نفسه, فظهرت براءة سيدنا يوسف (υ) على لسان النسوة, فلما سمعت امرأة العزيز ذلك اعترفت: ﴿قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾، يقول الأزدي في كتابه (جمهرة اللغة): "حصحص الشَّيْء إذا وضح وَظهر"[232] , وبعد هذا الإقرار والاعتراف بالذنب بدأت مرحلة جديدة من حياة امرأة العزيز, وهذه المرحلة أظهرت ما كان كامناً من صفاتها القيادية الإيجابية ومنها:

أولاً: الشجاعة والقوة التي ظهرت منها في هذا الموقف، إذ كشفت عن الحقيقة واعترفت بصدق سيدنا يوسف (υ), وهي المرة الثانية التي اعترفت فيها بصدقه, يقول عبد الكريم الخطيب:" (أنا راودته عن نفسه): تقولها هكذا صريحة مؤكّدة (أنا راودته عن نفسه) ! ولم تكتف بهذا العرض الذي تعرض فيه نفسها فى معرض الاتهام الصريح المؤكد، بل تستحضر يوسف الذي لا يزال فى سجنه، وتستدعى صورته التي لا تزال تملأ خيالها فتقول: (وإنه لمن الصادقين) أي إننى لكاذبة فيها تقوّلته عليه، وإنه لصادق فيه نفى هذا الاتهام عنه"[233] , والاعتراف بالخطأ فضيلة, ولا يصدر إلا من شخصية تملك صفات نبيلة وقيادية كامنة, وبالفعل لم يذكر عنها أنها آذت سيدنا يوسف (υ) بشيء قبل حادثة المراودة, وهذا يرشد القادة إلى ضرورة التحلي بالمصداقية والشفافية مع الجميع, وتفعيل مبدأ النقد الذاتي واتهام النفس, والاعتراف بالتقصير

---

232) محمد بن الحسن بن دريد أبو بكر الأزدي (ت 321هـ), *جمهرة اللغة*, المحقق: رمزي منير بعلبكي, دار العلم للملايين ـ بيروت, ط1, 1987م, 186/1.

233) عبد الكريم يونس الخطيب (ت بعد 1390 هـ), *التفسير القرآني للقرآن*, دار الفكر العربي – القاهرة, د.ط, 1286/6.

وإن كان مراً, لأن الصدق في الأقوال والأفعال يعطي قوة ذاتية للقائد, ويورث المحبة له في قلوب من يعمل معه, ويعزز الثقة فيه, ويسهم في قبول التعامل معه في المستقبل.

ثانياً: أدركت امرأة العزيز أن الملك جدي في التحري عنه كي يستعمله في صالح المملكة, لذلك دافعت عنه أمام الملك باعترافها: ﴿قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾، أي آن أوان قول الحق لأن الأمر أكبر من المصلحة الشخصية, وأن في تزكيتها له أمام الملك ضرورة ومصلحة للجميع, فآثرت المصلحة العامة على المصلحة الخاصة, وهذا يحسب لها لأنه كان بإمكانها أن تصر على كلامها الأول, يقول أبو السعود:

"والمعنى أُقرَّ الحقُّ في مقرّه ووُضع في موضعه، ولم ترِدْ بذلك مجردَ ظهور ما ظهر بشهادتهن من مطلق نزاهتِه (υ) فيما أحاط به علمُهن، من غير تعرض لنزاهته في سائر المواطنِ، خصوصاً فيما وقع فيه التشاجرُ بمحضر العزيز، ولا بحثٍ عن حال نفسها وما صنعت في ذلك، بل أرادت ظهورَ ما هو متحققٌ في نفس الأمر وثبوتِه من نزاهته (υ) في محل النزاعِ وخيانتِها، فقالت: (أَنَاْ راودته عَن نَّفْسِهِ) لا أنه راودني عن نفسي, (وَإِنَّهُ لَمِنَ الصادقين)، أي في قوله حين افتريت عليه "[234].

لذلك كان في شهادتها لسيدنا يوسف (υ) أهمية كبيرة في إعجاب الملك به, وازدياد ثقته به, مما زاده تمسكاً به لما اجتمعت فيه من خصال قيادية, وهذا يرشد القادة والأفراد إلى ضرورة تغليب المصلحة العامة على المصالح الشخصية, لاسيما إذا كان الأمر يقتضي اختيار مسؤول أو صاحب خبرة ليشغل المكان المناسب.

وفي ختام ذكر هذه الشخصيات التي وردت في سورة يوسف ينبغي أن يكون القرآن الكريم هو الأصل والشاهد على تلك الشخصيات سلباً أم إيجاباً, فهو مقدَّمٌ على جميع ما

234) أبو السعود, *إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم*, 285/4.

يروى في الكتب التاريخية السابقة واللاحقة, وحقاً ما قاله مصطفى البغا: "بعد ما ثبت الدليل على أن القرآن كلام الله المنزل فإن التاريخ هو الذي يستمد قوته من حديث القرآن وأخباره, وليس القرآن يستمد قوته من أخبار التاريخ, وحسبنا في ذلك قول الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ يوسف111/12" [235].

الخاتمة

الحمد لله الذي يهدي للصالحات وبنعمته تتم, ويرشد من شاء إلى مراده في كتابه ويعلِّم, ويوصل ما أراده أن يصل إلى عباده ويفهم, وأصلي وأسلم على خير من بيَّن كلام الله, نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن والاه.

وبعد:

ففي ختام بحثنا هذا الذي تناولنا فيه قيادات مختلفة ورد ذكرها في سورة يوسف, فقد أورد فيها جميع فئات المجتمع, فقد ذكر فيه الشيخ كقائد ويمثله سيدنا يعقوب (υ), وذكر الشباب كقادة ويمثلهم سيدنا يوسف (υ), وذكر لنا الباري أيضاً شخصيات تحمل صفات قيادية لكنها سلبية في مرادها تمثلت بإخوة يوسف (υ) وامرأة العزيز, وذكر لنا الملك والإنسان البسيط, والغني والفقير, والحر والسَّجين, وذكر لنا النبي والمؤمن والمعتقدات المختلفة, وكل قيادة من تلك القيادات لها مميزاتها التي بيّناها في البحث بالقدر الذي مكننا الله تعالى منه.

---

235) مصطفى ديب البغا، محي الدين ديب مستو, *الواضح في علوم القرآن*, الناشر: دار الكلم الطيب / دار العلوم الانسانية – دمشق, ط1, 1418 هـ - 1998 م, ص182.

النتائج:

1. من خلال القصص القرآني يدرك الإنسان أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام هم أشد الناس بلاءً, فما لاقاه سيدنا يعقوب عليه السلام وكذلك سيدنا يوسف (υ) خير دليل على ذلك.
2. المتأمل لما ورد في السورة الكريمة من قيادات يدرك ما رجحناه في سبب نزول هذه السورة من أنها إرشاد للنبي (ε) ولم تنزل لسبب معين, وإنما نزلت كتهيئة للنبي (ε) ليؤسس لخير أمة أخرجت للناس, وذلك بضرب الأمثلة, وعرض أنواع كثيرة من الابتلاءات التي قد يعترضه ما هو مشابه, فوقت نزول السورة الكريمة يدل على ذلك.
3. ماورد في السورة الكريمة جاء بلسماً لجراحات النبي (ε) في تلك الفترة, وذلك للشبه الكبير بين حال النبي (ε) وما تعرَّض له سيدنا يوسف (υ) فمن ذلك أن سيدنا يوسف (υ) نبذه إخوته ورموه في البئر, ونبينا (ε) حاصره قومه في شعب أبي طالب, وسيدنا يوسف (υ) كان له التمكين في غير بلدته, والنبي (ε) أيضاً كتب الله له التمكين في المدينة المنورة وهو من مكة المكرمة.
4. إن مهمة القيادة ليست بالأمر الهيّن, فلا توكل إلا لمن هو أهل لها, لذلك اختار الله تعالى الأنبياء لقيادة الناس كونهم يملكون من الصبر والتحمل ما لا يملكه غيرهم فينبغي مراعات ذلك.
5. إمكانية صقل القدرات القيادية من خلال التطوير المستمر لها عبر عرض التجارب السابقة وضرب الأمثال كما هو الحال في السورة الكريمة, فقد احتوت على دروس مكثفة للنبي (ε), وإنَّ الصفات القيادية وإن كانت ذاتية في كثير من الأحيان إلا أن هذا لا يمنع من

تنميتها, بدليل أن الله تعالى تولى بنفسه رعاية قائدنا محمد (ﷺ) وقصَّ عليه القصص للاعتبار, فالقدرات القيادية تكتسب بالتجربة والتدريب.

6. التنوع الوارد في القيادات التي وردت في السورة تجعل المتدرب على القيادة على بصيرة من أمره, لأنه يأخذ ويعتبر بكل ما ورد في السورة الكريمة, فكل شخصية تعطي درساً معيَّناً يمكن الاستفادة منه, وكذلك كل من يعتبر ويأخذ من صفات تلك القيادات سيكون له حظه من التوفيق والرضا من الله تعالى ومن الناس.

7. إمكانية إسقاط الصفات القيادية التي تتمتع بها القيادات الواردة في السورة على الواقع, فتلك الصفات والمميزات ينبغي أن تتوفر في كل قائد أو مسؤول عن شؤون الناس, سواء قائد عائلة أو مجموعة أو بلد, ويمكن أن تكون مرجعاً سواء في عملية الإدارة أو الاقتصاد أو طبيعة الحكم واختيار القيادات, فهي تصلح لكل زمان, ويستطيع كل قائد أن يجعل هذه المميزات نصب عينيه, وأن يسلك طريق العدل والإنصاف في اختيار القائد وتوليته أمراً من أمور الناس, واعتبار الكفاءة عنصراً رئيساً في اختيار من يقود الناس أو يتسلط عليهم خصوصاً في الشأن الاقتصادي, كما فعل ملك مصر حينما أوكل خزائن الأرض إلى سيدنا يوسف (ﷺ) دون أن ينظر إلى ديانته أو معتقده, وهذا ما نحتاجه اليوم في جميع البلدان التي أرهقتها الحروب الطائفية والمذهبية والعرقية.

8. الأخلاق ومخافة الله تعالى وطلب رضاه هي الأساس في التعامل مع عامة الناس, وخاصة مع من يختلف معك في المعتقد, فهي تعكس صلب الدين.

9. عناية الله تعالى غير محصورة في نبي أو مؤمن دون آخر, وإنما العناية والنصر والتمكين هو حليف كل من ابتغى وجه الله تعالى, وأنه لا شيء يستحيل على قدرة الله تعالى, وأن من أراد الله تعالى له الرفعة والتمكين لن يتمكن أحد من إيقاف ذلك.

التوصيات:

1. لابد من الرجوع إلى كتاب الله تعالى سواء في تطوير سعة الفهم لدى القادة أو في اختيارهم لتولي شيئاً من أمور الناس, لأن الله تعالى هو الخالق وهو العليم بما يصلح به أمر الناس, ورأي الشارع الحكيم مقدَّم على كل رأي.
2. الصفات القيادية إذا توافرت في شخصية ينبغي دراستها والاستفادة منها وإن كانت معادية أو نختلف معها في رأي.
3. أوصي بتضمين الأمثال والقصص القرآني في المناهج الدراسية وبرامج إعداد القادة.
4. استغلال وسائل التواصل الاجتماعي في الدعوة إلى الله تعالى وطرح القصص القرآني, لأنها أسرع طريقة للوصول إلى الناس في الوقت الحاضر.

صعوبات البحث

من الصعوبات التي واجهتها هو تعدد الدراسات التي تناولت السورة الكريمة, وهذا يتطلب جهداً كي أخرج بشيء جديد من السورة كان قد أهمل أو قصر في شيء منه, فقد حاولت الغوص في الصفات القيادية لتلك الشخصيات, فاستعنت بما ورد من آيات كريمة، وتتبعت ما ورد فيهم من مميزات في كلِّ آية, راجياً من الله تعالى ألا أكون قد قصرت في حق أحد منهم أو أكون قد انتقصت من شأن أحدهم.

ومن الجدير بالذكر أن هنالك الكثير من الأسئلة التي تدور في ذهن الباحث ولم يستطع الإجابة عنها, كون البعض منها متعلق بالوحي ولا يمكن أن يجيب عنه أحد إلا صاحبه المقصود, مثال ذلك هو أن الفترة الزمنية طويلة بين استقرار سيدنا يوسف (ʊ) في بيت العزيز وبين لقائه بوالده سيدنا يعقوب (ʊ), فلماذا لم يخبر والده بأنه حي يرزق حتى يطمئنه عن حاله, ومن الأسئلة التي تحتاج إلى إجابة أكثر دقة مما ذكرنا وذكره المفسرون هو قول الله تعالى على لسان سيدنا يعقوب (ʊ): ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٩٦) ﴾ فيبقى السؤال مطروحاً ما هو الشيء الذي يعلمه سيدنا يعقوب من الله تعالى ولا يعلمه أحد سواه؟.

والكثير من تلك الأسئلة التي تحتاج إلى إجابات عسى الله تعالى أن يلهم الباحثين الآخرين فيما بعد الإجابة عنها.

وختاماً أسأل الله تعالى أن يغفر لي ما قصَّرت فيه في هذا البحث, وأن يمنحني بركة ما كان صائباً منه في الدنيا والآخرة فهو القادر على ذلك ومنه العون والتوفيق.

وصلِ اللهم على سيدنا محمد وعلى إخوانه من الأنبياء والمرسلين وخصوصاً من تشرفنا بذكرهم في هذا البحث, وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

المصادر والمراجع

بعد القرآن الكريم...

1. ابن أبي زَمَنِين, محمد بن عبد الله بن عيسى بن محمد المري، أبو عبدالله الإلبيري, المالكي (ت399هـ), *تفسير القرآن العزيز* , المحقق: أبو عبد الله حسين بن عكاشة- محمد بن مصطفى الكنز, الفاروق الحديثة-مصر/القاهرة ط1, 2002م.
2. ابن الأثير, علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري (ت630هـ), الكامل في التاريخ, تحقيق: عمر عبد السلام تدمري, دار الكتاب العربي، بيروت– لبنان, ط1, 1997م.
3. ابن حجر, أحمد بن علي العسقلاني (ت852هـ), *الإصابة في تمييز الصحابة*, دراسة وتحقيق وتعليق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض, دار الكتب العلمية _ بيروت, ط1, 1995م.

4. ابن الجوزي, جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت 597هـ), *تذكرة الأريب في تفسير الغريب*, تحقيق: طارق فتحي السيد, دار الكتب العلمية، بيروت_ لبنان, ط1 2004م.

5. ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت 597هـ), *زاد المسير في علم التفسير*, المحقق: عبدالرزاق المهدي, بيروت, دار الكتاب العربي، ط1، 1422هـ.

6. ابن جزي, محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله أبو القاسم الكلبي الغرناطي (ت 741هـ), *التسهيل لعلوم التنزيل*, المحقق: الدكتور عبد الله الخالدي, شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم_ بيروت ط1- 1416هـ.

7. ابن الخطيب, محمد محمد عبد اللطيف (ت 1402هـ), *أوضح التفاسير*, المطبعة المصرية ومكتبتها, ط6, 1964م.

8. ابن عادل الحنبلي، سراج الدين عمر بن علي أبو حفص الدمشقي النعماني (ت775هـ), *اللباب في علوم الكتاب*, المحقق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، بيروت, دار الكتب العلمية، ط1، 1998م.

9. ابن عاشور، حمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر التونسي (ت 1393هـ), *التحرير والتنوير*, تونس، الدار التونسية للنشر, 1984م.

10. ابن عجيبة، أحمد بن محمد بن المهدي الحسني أبو العباس الأنجري الفاسي الصوفي (ت1224هـ), *البحر المديد في تفسير القرآن المجيد*, المحقق: أحمد عبد الله القرشي رسلان, القاهرة, د.ط, 1419هـ.

11. ابن عطية، عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام أبو محمد الأندلسي المحاربي (ت542هـ), *المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز*, المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد, بيروت, دار الكتب العلمية، ط1، 1422هـ.

12. ابن كثير، إسماعيل بن عمر أبو الفداء القرشي البصري ثم الدمشقي (ت 774هـ), *تفسير القرآن العظيم*, المحقق: سامي بن محمد سلامة, دار طيبة للنشر والتوزيع, ط2، 1999م.
13. ابن كثير، سماعيل بن عمر أبي الفداء القرشي البصري ثم الدمشقي (ت 774هـ), *قصص الأنبياء*, تحقيق: مصطفى عبد الواحد , مطبعة دار التأليف، القاهرة, ط1، 1968م.
14. ابن منظور، جمال الدِّين محمد بن مكرم أبو الفضل الافريقي المصري (ت 711هـ)، *لسان العرب*، بيروت, دار صادر, د.ط.
15. الأزدي, محمد بن الحسن بن دريد أبو بكر (ت 321هـ), *جمهرة اللغة*, المحقق: رمزي منير بعلبكي, دار العلم للملايين _ بيروت, ط1, 1987م.
16. الأصبهاني, محمد بن عمر بن أحمد بن عمر بن محمد أبو موسى المديني، (ت 581هـ), *المجموع المغيث في غريبي القرآن والحديث*, المحقق: عبد الكريم العزباوي, جامعة أم القرى، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية مكة المكرمة, دار المدني للطباعة والنشر والتوزيع، جدة_ المملكة العربية السعودية, ط1, 1986م.
17. الآلوسي، شهاب الدين محمود بن عبدالله الحسيني (ت 1270هـ), *روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني*, المحقق: علي عبد الباري عطية, بيروت, دار الكتب العلمية، ط1، 1415هـ.
18. الأندلسي, محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين أبو حيان (ت745هـ), *تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب*, المحقق: سمير المجذوب, المكتب الإسلامي, ط1, 1983م.

19. الإيجي, محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الحسني الحسيني الشافعيّ (ت905هـ), *جامع البيان في تفسير القرآن*, تحقيق: الدكتور عبد الحميد هنداوي, دار الكتب العلمية – بيروت, ط1، 2004م.

20. البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري الجعفي (256هـ)، *صحيح البخاري*، تحقيق: جماعة من العلماء، بولاق- مصر المحمية، المطبعة الكبرى الأميرية، 1311هـ.

21. البصري, معمر بن المثنى أبو عبيدة التيمى(ت 209هـ), *مجاز القرآن*, المحقق: محمد فواد سزگين, مكتبة الخانجى – القاهرة,د.ط, 1381هـ.

22. البغا, مصطفى ديب ، محيي الدين ديب مستو, *الواضح في علوم القرآن*, دار الكلم الطيب / دار العلوم الانسانية – دمشق, ط1, 1998 م.

23. البغوي، الحسين بن مسعود أبو محمد (ت 510هـ), *معالم التنزيل في تفسير القرآن*, حققه وخرج أحاديثه: محمد عبد الله النمر وعثمان جمعة ضميرية وسليمان مسلم الحرش, دار طيبة للنشر والتوزيع, ط4، 1997م.

24. التستري، سهل بن عبدالله بن يونس بن رفيع أبو محمد (ت 283هـ), *تفسير التستري*, جمعها: أبو بكر محمد البلدي, المحقق: محمد باسل عيون السود, بيروت, دار الكتب العلمية، ط1، 1423هـ.

25. الثعلبي, أحمد بن إبراهيم أبو إسحاق(ت 42 هـ), *الكشف والبيان عن تفسير القرآن*, أشرف على إخراجه: د. صلاح باعثمان، د. حسن الغزالي، أ. د. زيد مهارش، أ. د. أمين باشه, أصل التحقيق: رسائل جامعية (غالبها ماجستير) لعدد من الباحثين, دار التفسير، جدة – المملكة العربية السعودية, ط1, 2015م.

26. الجرجاني, عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد أبو بكر الفارسي الأصل, الجرجاني الدار (ت471هـ), *درج الدُّرر في تفسير الآي والسور*, تحقيق: القسم الأول (طلعت صلاح

الفرحان), القسم الثاني: محمد أديب شكور أمرير, دار الفكر_عمان الاردن, ط1, 2009م.

27. الجصاص, أحمد بن علي أبو بكر الرازي الحنفي (ت 370هـ), *أحكام القرآن*, المحقق: عبد السلام محمد علي شاهين, دار الكتب العلمية بيروت – لبنان, ط1., 1994م.

28. الحاكم، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (ت 405هـ)، *المستدرك على الصحيحين*، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1990م.

29. الخطيب, عبد الكريم يونس(ت بعد 1390 هـ), *التفسير القرآني للقرآن*,دار الفكر العربي– القاهرة, د.ط.

30. الخازن، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن (ت 741هـ), *تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل* , تصحيح : محمد علي شاهين, بيروت، دار الكتب العلمية, د.ط.

31. الخلوتي, إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي , المولى أبو الفداء (ت 1127هـ), *روح البيان في تفسير القرآن*, دار الفكر – بيروت, د.ط.

32. الرازي, محمد ابن الحسن بن الحسين القرشي التيمي فخر الدين ت606هـ, *عصمة الأنبياء*, تقديم ومراجعة محمد حجازي, مكتبة الثقافة الدينية _ القاهرة, ط1, 1986م.

33. الرازي، محمد فخر الدين ابن العلاّمه ضياء الدين (544- 604 هـ), *تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب*, بيروت- لبنان، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع, ط1، 1981 م.

34. رضا، أحمد, *معجم متن اللغة*, بيروت، دار مكتبة الحياة، د.ط, 1960 م.

35. الزبيدي, محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني أبو الفيض، الملقّب بمرتضى الزَّبيدي(ت1205ه), *تاج العروس من جواهر القاموس*, المحقق: مجموعة من المحققين, دار الهداية, د.ط.

36. الزجّاج, إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق(ت 311ه), *معاني القرآن وإعرابه*, المحقق: عبد الجليل عبده شلبي, عالم الكتب– بيروت, ط1, 1988م.

37. الزمخشري، محمود بن عمرو بن أحمد أبو القاسم جار الله (ت 538 ه), *الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل*, بيروت, دار الكتاب العربي، ط3، 1407ه.

38. السمرقندي، نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم أبي الليث (ت 375 ه), *تفسير السمرقندي المسمى بحر العلوم*, تحقيق وتعليق: الشيخ علي محمد معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود والدكتور زكريا عبد المجيد النوتي، بيروت– لبنان, دار الكتب العلمية,د.ط.

39. السمعاني، منصور بن محمد بن عبد الجبار بن أحمد المروزي أبو المظفر التميمي الحنفي ثم الشافعي (ت 489ه), *تفسير القرآن*, المحقق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم, الرياض– السعودية, دار الوطن، ط1، 1997م.

40. السيوطي, جلال الدّين عبدالرحمن بن أبي بكر (ت911ه),*الإتقان في علوم القرآن*, ضبطه وصححه وخرج آياته محمد سالم هاشم, دار الكتب العلمية, بيروت_لبنان, د.ط.

41. الشربيني, محمد بن أحمد الخطيب شمس الدّين الشافعي ت 977ه, *السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير*, مطبعة بولاق الأميرية _ القاهرة, 1285ه.

42. الشعراوي, محمد متولي (ت 1418ه), *تفسير الشعراوي_ الخواطر*, مطابع أخبار اليوم, د.ط, 1997م.

43. الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله اليمني (ت1250هـ), *فتح القدير*, دمشق، دار ابن كثير, بيروت, دار الكلم الطيب، ط1، 1414هـ.

44. الصيرفي، محمد, *القيادة الإدارية الإبداعية* , الاسكندرية, دار الفكر الجامعي، ,د.ط, 2006م.

45. الطالبي, يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم الحسيني الطالبي العلويّ الملقب بالمؤيد بالله (ت745هـ), *الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز*, المكتبة العنصرية_ بيروت, ط1, 1423هـ.

46. الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي أبو جعفر (ت 310هـ), *تاريخ الطبري* ,تاريخ الرسل والملوك, بيروت, دار التراث العربي، ط2، 1387هـ.

47. الطبري، محمد بن جرير أبي جعفر, *جامع البيان عن تأويل آي القرآن*, (224هـ- 310هـ)، تحقيق: الدكتور عبدالله بن عبد المحسن التركي, القاهرة، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان, ط1، 2001م.

48. الطحاوي, أحمد بن محمد بن سلامة أبو جعفر الأزدي الحنفي المصري ت321هـ, *متن العقيدة الطحاوية*, دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع بيروت_ لبنان, ط1, 1995م.

49. الطوفي نجم الدين أبو الربيع سليمان بن عبد القوي بن عبد الكريم الصرصري الحنبلي (ت716هـ), *الإشارات الإلهية إلي المباحث الأصولية*, تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل, دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان, ط1, 2005م.

50. العاني, عبد القادر بن ملّا حويش السيد محمود آل غازي (ت 1398هـ), *بيان المعاني*, مطبعة الترقي – دمشق, ط1 1965م.

51. عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (ت 1376هـ), *تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان*, المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق, مؤسسة الرسالة, ط1, 2000م.

52. العليمي، مجير الدين بن محمد المقدسي الحنبلي (ت 927هـ), *فتح الرحمن في تفسير القرآن*, اعتنى به تحقيقاً وضبطاً وتخريجاً: نور الدين طالب, دار النوادر (إصدارات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ـ دار الشؤون الإسلامية), ط1، 2009م.

53. العمادي، محمد بن محمد بن مصطفى أبو السعود (ت 982 هـ), *إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم*، بيروت, دار إحياء التراث العربي,د.ط.

54. الفرّاء, يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور أبو زكريا الديلمي (ت 207هـ), *معاني القرآن*, المحقق: أحمد يوسف النجاتي/ محمد علي النجار/ عبد الفتاح إسماعيل الشلبي, دار المصرية للتأليف والترجمة_ مصر, ط1.

55. القاسمي, محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق (ت 132هـ), *محاسن التأويل*, المحقق: محمد باسل عيون السود, دار الكتب العلمية, بيروت, ط1, 1418هـ.

56. القرطبي، محمد بن أحمد الأنصاري أبي عبد الله, *الجامع لأحكام القرآن*, القاهرة، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، ط3، 1967م.

57. القشيري، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك (ت 465هـ), *لطائف الإشارات*, المحقق: إبراهيم بسيوني, مصر, الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط3.

58. قطب، سيد, *في ظلال القرآن*, دار الشروق, ط34، 2004 م.

59. القنوجي، محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري أبو الطيب (ت 1307هـ), *فتح البيان في مقاصد القرآن*, عني بطبعه وقدم له وراجعه: عبدالله بن ابراهيم الأنصاري, صيدا ـ بيروت, المكتبة العصرية للطباعة والنشر, د.ط, 1992م.

60. القيسي, مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار أبو محمد القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي (ت437هـ), *الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره*، وأحكامه، وجمل من فنون علومه, المحقق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا

والبحث العلمي- جامعة الشارقة، بإشراف: الشاهد البوشيخي, مجموعة بحوث الكتاب والسنة- كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة الشارقة, ط1, 2008م.

61. الكرماني، محمود بن حمزة بن نصر أبو القاسم برهان الدين, ويعرف بتاج القراء (ت505هـ), *غرائب التفسير وعجائب التأويل*, جدة، دار القبلة للثقافة الإسلامية، بيروت، مؤسسة علوم القرآن,د.ط.
62. الماوردي، علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي أبو الحسن (ت 450هـ), *النكت والعيون*, المحقق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الأمير، بيروت, دار الكتب العلمية, د.ط.
63. المحلي، جلال الدين محمد بن أحمد (ت 864هـ) و السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت 911هـ), *تفسير الجلالين*, القاهرة, دار الحديث، ط1.
64. مجمع اللغة العربية بالقاهرة(إبراهيم مصطفى/ أحمد الزيات/ حامد عبد القادر/ محمد النجار), *المعجم الوسيط*, دار الدعوة, د.ط.
65. محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني (ت 1354هـ), *تفسير القرآن الحكيم المشهور بتفسير المنار*, القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب, د.ط, 1990م.
66. مسلم, أبو الحسين بن الحجاج القشيري النيسابوري (206_261هـ), *صحيح مسلم*, المحقق: محمد فؤاد عبدالباقي, مطبعة عيسى البابي الحلبي_ القاهرة, د.ط, 1955م.
67. المظهري, محمد ثناء الله, *التفسير المظهري*, المحقق: غلام نبي التونسي, مكتبة الرشدية- الباكستان, ط1, 1412هـ.
68. النحّاس, أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي النحوي أبو جعفر(ت 338هـ), *إعراب القرآن*, وضع حواشيه وعلق عليه: عبد المنعم خليل إبراهيم, منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت, ط1، 1421هـ.

69. النخجواني, نعمة الله بن محمود، ويعرف بالشيخ علوان (ت 92هـ), *الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية الموضحة للكلم القرآنية والحكم الفرقانية*, دار ركابي للنشر – الغورية، مصر, ط1, 1999م.

70. النسفي، عبد الله بن أحمد بن محمود أبو البركات حافظ الدين النسفي (ت 710هـ), *مدارك التنزيل وحقائق التأويل*, حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي, بيروت, دار الكلم الطيب، ط1، 1998م.

71. هانتر، جيمس سي, *مبدأ القيادة الأكثر فعالية في العالم, كيف تصبح قائداً خادماً*, السعودية, مكتبة جرير، ط1، 2006م.

72. الهروي, أحمد بن محمد (ت401هـ), *الغريبين في القرآن والحديث*, تحقيق ودراسة: أحمد فريد المزيدي, قدم له وراجعه: فتحي حجازي, مكتبة نزار مصطفى الباز, المملكة العربية السعودية, ط1, 1999م.

73. الهيثمي, نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان (ت807هـ), *مجمع الزوائد ومنبع الفوائد*, المحقق: حسام الدين القدسي, د.ط, 1994م.

74. الواحدي، علي بن أحمد بن محمد بن علي أبو الحسن النيسابوري, *الوجيز في تفسير الكتاب العزيز*, (ت 468هـ), تحقيق: صفوان عدنان داوودي, دمشق، دار القلم, بيروت، الدار الشامية, د.ط.

السيرة الذاتية للباحث

ولد الباحث محمد جاسم محمد حسين المشهداني في بغداد في العام 1979م وأكمل دراسته الابتدائية والمتوسطة والإعدادية فيها, ثم التحق بكلية العلوم الإسلامية/ قسم أصول الدِّين في جامعة بغداد في العام 2002م, ونال شهادة البكالوريوس منها في العام 2006 م, وعمل في ديوان الوقف السني بوظيفة إمام جامع في بغداد في عام 2004م ولا يزال مستمراً في عمله.

KİŞİSEL BİLGİLER

ORCİD	
Adı Soyadı	**محمد جاسم محمد**
Doğum Yeri	
Doğum Tarihi	

LİSANS EĞİTİM BİLGİLERİ

Üniversite	**جامعة بغداد**
Fakülte	**كلية العلوم الاسلامية**
Bölüm	**قسم اصول الدين**

YÜKSEK LİSANS EĞİTİMİ

Üniversite	**جانكري كارا تكين**
Enstitü	**معهد العلوم الاجتماعية**
Anabilim Dalı	**قسم التفسير**

İLETİŞİM

Adres	
E-mail	